سِلْسِلَةُ رَسَائِلِ رَاحَةِ الأَرْوَاحِ

المجموعة الرابعة [16 - 20]

الرسالة السابعة عشرة

آياتٌ مادِحاتٌ

لِلْمُؤْمِنينَ والْمُؤْمِناتِ

(15) موضعاً في القرآن الكريم

محاضرات ألقاها راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ

الدكتور: أحمد خضر حسنين الحسن

فرغتها الشيخة : منى حسن خليفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الْحَمدُ لله الكريم المنان الَّذِي شرح صُدُور أهل الْإِسْلَام للإيمانِ ؛ وحبَّبه إليهم وزيَّنه قلوبهِم مزيد من الامتنان (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان)، والحمدُ لله حمدا كثيرا على أن فتح آذانهم للاستمتاع بالاستماع إلى القرآن ويسر لهم التمسك به على مدى الأزمان .

وَأشْهد أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الواحد الديان المتفضل على من شاء من عباده بالطاعة له والإذعان ؛ وَأشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله الداعي إلى رضوان الله تعالى ودخول الجنان ، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بعدد الإنس والجان وعَلى آله وَصَحبه وخصوصا أهل بدر وبيعة الرضوان.

وبعد: هذه الرسالة السابعة عشرة من سِلْسِلَةُ رَسَائِلِ رَاحَةِ الأَرْوَاحِ، لقد منَّ الله تعالى علي ويسَّر لي إلقاء عدد من محاضرات حول ما جاء في القرآن من ثناء على الإيمان ومدح لأهله المستمسكين به المفتخرين بما آتاهم الله تعالى من مجمله ؛ ومفصله وحُقَّ لهم ذلك؛ وكان الهدف منها هو رفع منزلة الإيمان وتعظيمه في القلوب؛ وذلك لما اعترى بعض المسلمين من ضعف ويأْس أحاطا بقلوبهم ؛ بسبب الفتن المتلاحقة ؛حتى صاروا كمن يملك كنزا ولا يعرف قيمته ولا يجد من يقوّمه له فهو يقلّب النظر فيه ولا يدري ما يفعل به.

ومما هو معلوم أن الإيمان هو العاصم الوحيد من فتن الشبهات والشهوات ، والحافظ الوحيد من الانكباب على الدنيا والانشغال بها عن الآخرة ، ومن هنا جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة التي تشيد بفضله وتبين منزلة أهله .

فمن الآيات القرآنية :

قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**) [مريم:96].

وقوله تعالى: (**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا**) [طه : 112].

وقوله تعالى:(**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى**)[طه:75].

وقوله تعالى: (**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**) [الأنعام: 82]. وقوله تعالى: (**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [النحل: 97].

ومن الأحاديث النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**الإِيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ**) رواه مسلم والترمذي.

وقد دلّ هذا الحديث العظيم على أن الإيمان منه ما يكون في القلب، ومنه ما يكون في اللسان، ومنه ما يكون في الجوارح، وأعلى الإيمان قول: لا إله إلا الله، قولها بالقلب اعتقادًا، وباللسان نطقًا وتلفظًا، مع العلم بمعناها، وفهم دلالتها، وتحقيق مقصودها وغايتها، فهذا أرفع الإيمان شأنًا، وأعلاه مقامًا.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**) متفق عليه.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يقولُ اللَّهُ تَعَالَى: أخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ مِن إيمَانٍ**) رواه البخاري.

وكان منهجي في إلقاء المحاضرة هو اختيار آية أو آيات تثني على الإيمان وأهله والقيام بتفسيرها بناءا على ما نظرتُ فيه من كتب التفسير وهي كثيرة ، منها : تفسير القرطبي وابن كثير والرازي وابن عجيبة والسعدي والشعراوي ولكل واحد من هؤلاء العلماء لفتة في الآية لا تجدها عند الآخر ، ثم قمت بضرب الأمثال في كثير من الأحيان وتنزيل معاني الآية على الواقع بحسب ما يفتح الله تعالى أثناء المحاضرة ، كما أنني حاولت التركيز على الروحانيات التي تحتويها الآية الكريمة.

وكان مجموع المواضع التي يسرها الله لي خمس عشرة ، كنت ألقيت إحدى عشرة منها في الدورة المذكورة ثم أتممت البقية كتابة وألحقتها بهذه الرسالة المباركة إن شاء الله تعالى .

هذا وقد أسميت هذه الرسالة : **آياتٌ مادِحاتٌ لِلْمُؤْمِنينَ والْمُؤْمِناتِ** توافقا مع كتابي الآخر: **آياتٌ مبشراتٌ للمؤمنينَ والمؤمناتِ** (منشور في موقع صيد الفوائد).

وختاما أتوجه بالشكر الجزيل إلى خالتي الفاضلة الشيخة منى حسن خليفة والتي قامت بتفريغ هذه المحاضرات تفريغا نصيا ؛ مما شجعني على القيام بمراجعتها ثم نشرها ليستفيد منها أكبر عدد من المؤمنين والمؤمنات.

هذا، واللهَ الكريمَ أسأل أن ينفعني بهذه الرسالة وينفع بها كل من اطلع عليها أو قام بنشرها أو دل عليها ؛ كما أساله تعالى لي وللقراء الكرام حسن الختام ودخول عالي الجنان بصحبة خير الأنام سيدنا محمد عليه أفضل صلاة وأتم سلام.

أخوكم/ أحمد خضر حسنين الحسن

تم الفراغ منه في يوم الخميس الرابع من شهر ذي الحجة/ 1444

الموافق/ 22/ يونيو/2023

الموضع الأول

قوله تعالى : (ربنا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا)

درسنا في هذه الليلة بعون الله ، وقفة مع قول الله عز وجل (**ربنا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ**) [آل عمران ١٩٣-].

هذه الآية نزلت ضمن سياق العشر آيات من أواخر سورة آل عمران وتعلمون حضراتكم أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى في السحر وهو يقرأ هذه الآيات، يقول بلال رضي الله عنه ،جئت لأوذن رسول الله لصلاة الصبح فوجدته يبكي ! قلت مايبكيك يارسول الله ؟ قال : **(لقد نَزَلَتْ علَيَّ اللَّيلةَ آيةٌ، وَيلٌ لمَن قرَأَها ولم يَتفكَّرْ فيها:** ثم قرأ ﴿**إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ**﴾ سورة آل عمران (190) الآيةَ كلَّها) ررواه ابن حبان في صحيحه بسند جيد.

الآن (**ربنا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا ربنا أننا سمعنا مناديا**) هناك منادي وهناك منادى وهناك منادى إليه أو من أجل الوصول إليه..

المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم في زمن الصحابة أو بعدهم، ويمكن أن يكون المنادي هو القرآن نفسه ، لأن القرآن كم فيه من الآيات التي تنادي البشرية للإيمان ، كم فيه من الآيات التي تلفت انتباه البشر إلى وجود الله وعظمته ووحدانيته وجلاله وجماله وكماله وكبريائه، وعظمته ، المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، باعتبار أن ذلك كان في بداية الدعوة بل

---

[1] - **قال القرطبي: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ) أي محمدا صلى الله عليه وسلم ; قاله ابن مسعود و ابن عباس و أكثر المفسرين.**

وقال قتادة ومحمد بن كعب القرظي : هو القرآن , وليس كلهم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلى آخرها حيث كان ينادي في الناس: **(أيُّها النَّاسُ قولوا لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ تُفلِحوا)** رواه أحمد بسند صحيح.

وإذا كان المنادي للإيمان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يا ترى إيمانه هو صلى الله عليه وسلم هنا يحصل الفرق بين منصب النبوة وبين بقية المؤمنين.

–لله المثل الأعلى ، انت طالب في الجامعة والدكتور قرر مادة محددة باسم كتاب محدد جئت للمحاضرة ووجدت أن الدكتور هو نفسه مؤلف الكتاب وهو مدرس المادة ،ما الفرق بينك وبين الدكتور في فهم وفي استيعاب المادة، هناك فرق كبير ؛ هكذا يكون الفرق بين إيمان النبي صلى الله عليه وسلم وبين إيمان المؤمنين.

**** *** ****

ولهذا لما نقول إن المنادي للإيمان هو الرسول صلى الله عليه وسلم، فيجب أن يكون إيمانه صلى الله عليه وسلم، مختلف عن إيمان الآخرين، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس عنده جاهلية ، إياك ثم إياك أن تظن أنه صلى الله عليه وسلم عاش جاهلية ،لايجوز أن يقال هذا في حقه صلى الله عليه وسلم ؛ تريد أن تتأكد من ذلك **تذكر أن الله تعالى أقسم الله بعمره** ، فقال ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر ٧٢] هل العمر يبدأ بعد النبوة ام من الميلاد ؟ لا شك أنه يبدأ من الميلاد،،

إذن الآن ننتبه ﴿**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا**﴾ [آل عمران ١٩٣] العجيب أن هؤلاء الجماعة لما قالوا (**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا**) ألا تدل هذه العبارة على إيمانهم قبل سماع المنادي، كيف يخاطبونه تعالى (**رَّبَّنَآ**) وهم غير مؤمنين، فقولهم (**رَّبَّنَآ**) معناها أنهم مؤمنون فنسأل هذه الكلمة كانت قبل سماع النداء للإيمان أم بعده ؟ كانت قبله ! إيمانهم كان قبله بالدليل دعاؤهم بكلمة (**ربنا**).

❋❋❋❋ ❋❋❋ ❋❋❋❋

وعليه فقولهم (رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ) هذه فيها عدد من الفوائد ، منها:

1– الثبات على الإيمان، والدليل أنت في كل صلاة تقول (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) هل قبل دخولك في الصلاة، كنت مهتديا ام ضالا ؟

لو لم تكن مهتديا لما صليت ، فأنت تقول هذا الدعاء لتثبُت على الصراط المستقيم، لأن هناك هداية لمعرفة الصراط أولا ثم هداية ثانية للعمل بالصراط، ثم هداية ثالثة إلى الثبات على الصراط هؤلاء قالوا (**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ**) كأنهم يقولون لله، هذا الإيمان الذي نناديك به غير الذي سمعناه غير الذي نسألك إياه كما في قوله تعالى (**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا**)[الفتح ٤] هذا إيمان، (مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ) هذا إيمان وهذا معه هذا شي وهذا شيء آخر ، ما قال فوقه أو فيه أو قال نفس الإيمان الموجود وسيتغير شيء فيه ، ليزدادوا هذه الزيادة سببها السكينة التي أنزلها الله (**لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ**) قال عنهم(**ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**) وقال (**لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا**) لعل آية الفاتحة، وآية الفتح ، تبين لك(ربنا إننا سمعنا) كأن هؤلاء القوم يقولون مع الإيمان الذي عندهم سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم ،لماذا الله يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم (**اتق الله**) آية الاحزاب ، وغيرها هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم، متق ام لا، كان متق معناها اثبت على ما أنت عليك من التقوى.

2– قال أحد العلماء الإيمان على ثلاثة أنواع :

– إيمان ثابت وهو إيمان الملائكة.

– إيمان يكون في ازدياد مستمر وهو إيمان الانبياء.

-إيمان يزيد وينقص هو إيمان المؤمنين.

3- (سَمِعْنَا مُنَادِيًا) هذه الجملة يؤخذ منها أن السماع موضوعه خطير ، نحن مقصرون في سماع القرآن وفي سماع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لو شئت لاستمعت لمزيد من القران ، ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، السماع يزيد في الإيمان ، ويا لفوز ويا لنجاح تلك الفئة التي سمعت هذا النداء العظيم مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم .

4- إن المنادي القرآن : ونحن نسمع القرآن الذي ينادي للإيمان وينادي غير المؤمنين للإسلام ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾ [النساء ١٣٦] إذن سمعنا مناديا، هناك علاقة بين المناديين قلنا يحتمل المنادي القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم.

والنبي صلى الله عليه وسلم ينادي للإيمان بتلاوة القرآن ، وتعلمون قصة عتبة بن الربيع عندما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم الملك ،، والجاه والنساء ، وجاء في القصة قال: **(فاسمع مني" قال: أفعل؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ)** [فُصِّلَتْ 1 – 5].

ثم مضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك). فقام عتبة إلى أصحابه فقال: بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: "ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه

فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به" قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه" قال: "هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم".

وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن على الوفود التي وفدت إليه سواء في مكة أو في المدينة بل ولو كان الوافد شخصا واحدا كما في حادثة الطفيل ابن عمرو الدوسي [1]. مما هو لافت القرآن يثني على المنادي أعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد تحدث عنه – صلى الله عليه وسلم – كثيرا وبأنه يجب الإيمان به فكان صلى الله عليه وسلم ينادي للإيمان بالله ، والقرآن ينادي للإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذن هؤلاء الذين قالوا (**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ**) سمعوا القرآن وسمعوا النبي صلى الله عليه وسلم، وكلاهما يدعو للايمان (**أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا**) هم قالوا (**ربنا**) المنادي قال لهم (**أمنوا بربكم**) .

**** *** ****

[1] - جاء في قصة إسلامه أنه حينما قدم إلى مكة للحج نهاية السنة السادسة من البعثة (617 م) استقبلته قريش وقالوا له:يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنَّه ولا تسمعنّ منه شيئا فما زالوا به حتى حشي إذنيه كرسفا فَرقا من أن يبلغه شيء منه فلما ذهب الكعبة فإذا رسول الله يصلي عند الكعبة فقام منه قريبا فلما رجع النبي إلى بيته لحقه وقال: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك، فسمعته قولا حسنا، فاعرض علي أمرك.

فتلا عليه النبي شيئا من القرأن فقال: والله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا أعدل منه، فأسلم ورجع إلى دوس يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا كلهم.

يجب أن نأخذ منها معنى هاما وهو الإلتفات إلى جانب الربوبية كلمة (رب) وردت حوالي (ثمانمائة مرة) وأغلب أدعية الانبياء كانت بقولهم (رب) ، أو (ربنا).

فهذا سيدنا موسى عليه السلام **(قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي * وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي)** سورة طه (25-26). وهذا سيدنا ابراهيم عليه السلام قال : ﴿**رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ**﴾ [إبراهيم ٤٠].وهكذا كل الانبياء كانوا يدعون الله تالى بكلمة رب أو ربنا كذلك المؤمنون هنا قالوا **(ربنا)**.

أيضا في خواتيم سورة البقرة ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة ٢٨٦].

لماذا ؟ لأن الإنسان يشعر بربوبية الله من خلال أن الله خلقه من العدم وأمده من النعم ؟؟ وربَّى جسده وربَّى روحه ، **فالرب** هو المربي والسيد والخالق والمالك ، وهو المدبر هذه كلها من معاني الربوبية لهذا أول آية تقرأ **(الحمد لله رب العالمين)**.والله تعالى يربي الكائنات كلها بمعنى أنه يمدها بأسباب بقائها ، فيمد كل كائن باسباب بقائه من الأدوية والأغذية والنجاة من المعاطب والأمراض وما شاكل ذلك .

والله تعالى بربوبيته له تربية خاصة لعباده المؤمنين بما يربيهم من تربية روحية إيمانية وهذه التربية الروحية يجب أن تنتبه لها في حياتك ما من صلاة تصليها أو آيات تتلوها أو عمل صالح تقوم به إلا هو نوع من التربية والتغذية الإيمانية لك ، وما من شيء يصيب الإنسان مما يكره من الأمراض وغيرها إلا وهي تربية روحية من حيث لا يشعر ، اذا استمسك بإيمانه وتعلق بربه.

**** *** ****

إذن لما قالوا (**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ**) لم يقل (أن آمنوا بالله) بل قال (**أن آمنوا بربكم**).

من هنا يجب الالتفات إلى قضية هامة وهي عدم صحة التفريق بين الربوبية والالوهية

والدليل هذه الآية (**أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا**) وليس (**آمنوا بالله**) فالذين يقوله البعض :إن أهل الجاهلية كانوا يعرفون توحيد الربوبية أكثر من بعض المسلمين!! هذه عبارة باطلة مئة بالمئة ، بعضهم يعبر عن ذلك ويقول توحيد الربوبية عند أبي جهل أفضل من بعض المؤمنين ! ألا تخاف الله ؟

والدليل بطلان هذا القول أنك إذا تأملت القرآن ستجد أن عددا كبيرا من الآيات التي فيها توحيد الربوبية تشير إلى الألوهية، والعكس صحيح! اقرأ ما شئت ، أواسط سورة النمل(**قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠**) .. الخ ، خمسة آيات تختم بهذه العبارة (**أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ**) وقبلها كان الكلام عن الربوبية ، هذا يعني أن الالوهيه تدعوك إلى العبادة والربوبية تذكرك بالنعم.

وكما في قوله تعالى: (**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**) (الحج: ٤٠) ، وقوله تعالى: (**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً**)(الأنعام: ١٦٤) وقوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**) فصلت (30). **وغيرها كثير**.

إذن لا فرق بين الألوهية والربوبية في الدعوة الإيمان وعبادة الرحمن كما هو واضح من الآيات السابقة ،وأيضا هنا هذه الآية (**أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا**) لكن حسب عقول هؤلاء كان يمكن أن تكون – خارج القرآن– أن تكون (**أن آمنوا بالله**) فلذا نقول : من عرف الله بربوبيته قام

بحقوق ألوهيته ولابد ، لايمكن لإنسان يعرف أن له ربا ثم يعرض عن عبادته ، وما الألوهية الا قيام بالعبودية..

قال بعضهم معنى الألوهية : ما منك إلى الله،أي قيامك بالعبادات : صلاتك ، صومك ، زكاتك ، كالخ.

ومعنى الربوبية: ما من الله إليك ؛ ما أمدك به من النعم ،على سبيل المثال ، من يعرف ما آتاه الله من النعم ، هل يعرض عن ما أمر الله به من واجب العبودية، هذا لا يستقيم لا في العقول ولا في الفطر .

**** *** ****

الآن اسمع هذا الكلام (**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ**) أما كان يكفي أن يقولوا (**فآمنا**) يعني (**أن آمنوا بربكم**) هذه ، نجعلها بين قوسين مادام نادى للإيمان بالله والمنادي قلنا هو القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم، فهل هناك إيمان اخر سوى هذا ؟ طيب كيف يقول (أن آمنوا بربكم) هنا تأتي قضية أن الله لا يكتفي فيه بالمعرفة العقلية بل لابد من الوحي الإلهي.

قال العلماء أنه لو ولد إنسان في الغابة أو في الصحراء ونشأ سويا ولم يسمع من إنسان كلام قط ،ففطرته ستقوده للإيمان بوجود الله تعالى.

انظر الى أهل الكهف من رسولهم؟ ما كان عندهم رسول إنما صفت فطرتهم وقادتهم إلى بطلان عبادة الأوثان كما قال تعالى (**نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**) سورة الكهف (13) انتبه أيضا قال (**آمَنُوا بِرَبِّهِمْ**) ثم قال (**وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**) إشارة إلى أن الإيمان بالعقل والفطرة لايكتمل الا بالوحي الإلهي.

ومن هنا نعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يتقرب إلى الله بشيء لم يرد في الوحيين ، بعض الناس يتقرب إلى الله بعقله فيقول هذا يرضي الله وهذا لايضيه بدون الرجوع للكتاب والسنة ما الذي

جعل بعض العادات والتقاليد تسيطر في بعض المجتمعات؟ السبب هو بُعدُهم عن الكتاب والسنة.

(أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا) من مقتضيات الإيمان أن تتقيد بأوامر من آمنت به ،أنت قلت آمنا – أمنت بالله – فعندما تأتي شبهات حول الاسلام– مثلا – هل يطبق في القرن العشرين أم لا ؟ أو شبهة حول بعض السيرة النبوية ، أو شبهة حول بعض الأحكام وحقوق المرأة؟

أنت بمجرد أن تبدأ في البحث عن الشبهة اعلم انك دخلت في باب من الشك لأنك آمنت بالله وهؤلاء يشككون في الله فبمجرد ما بدأت تبحث في الشبهة معناها دخلك شك في الإيمان ،أين إيمانك بالله؟؟!

لله المثل الأعلى ، لو قال لك أحدهم الدكتور فلان استشاري في التخصص الفلاني وأنت عندك مريض وذهبت معه للدكتور بعد ذلك بدأت تبحث عن دكتور غيره هذا يعني أنك شككت في صاحبك وفي الدكتور الذي دلك عليه، وكذلك الشأن إن بدأت البحث عن قضية الميراث أو أن المرأة أصبحت تعمل ولا بد من البحث في قوله تعالى **(للذكر مثل حظ الانثيين)** فحينئذ نسألك فأين إيمانك بالقرآن فكونك آمنت يعني سلَّمت لله تسليما كاملا .

ثم توسلوا إلى الله بإيمانهم فقالوا في دعائهم (رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ) لماذا جاء طلب المغفرة؟ لتعلم أن المؤمن مهما بلغ درجة من الإيمان لا يكون معصوما ولابد أن يرتكب معاصي ،لذا لابد من طلب المغفرة ، انت تأتي عليك حالات تشعر انك في القمة روحانيات عالية إيمانيات عالية وتتمنى أن تموت بهذه الحالة ، وايضا تأتي عليك حالات تيأس فيها من نفسك لما فيها من الوساخات و القاذورات! لتعلم أن الأمر بيد الله وحده، والا لو تركت على تلك الحالة الروحانية العالية كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

(**لو لم تُذنِبوا لخشيتُ عليكم ما هو أكبرُ منه العُجبَ**)[1]، فتقول في نفسك : أنا صليت وانا صمت وانا ختمت القرآن وفعلت وفعلت، قبل أن نمضي ، كم منكم يدعو بهذا الدعاء خارج الصلاة أو داخلها ، (**ربنا آمنا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ**).

الآن انظر لهذا التدرج (**فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا**) **قال العلماء**: هذه إشارة إلى الصغائر التي بينك وبين الله (**وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا**) إشارة إلى الكبائر (**وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ**) ، **قال القرطبي** : في تفسير قول تعالى (**كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ**) سورة المطففين (18) **والأبرار**: جمع برّ، وهم الذين برّوا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. وقد كان الحسن يقول: (**هم الذين لا يؤذون شيئًا حتى الذَّرّ**).

الذر : هو النمل الاحمر الذي لا يؤذي الإنسان ، لكن هنا قال : الأبرار لا يؤذون الذر، فما بالك بالذي لا يؤذي البشر .وقد قال تعالى : ﴿**فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ**﴾ [الزلزلة ٧] قال بعضهم الذرة هي النملة الصغير أو هي الهباءة ، هذا في آية الزلزلة..

الآن كم من المسلمين من يقع في جريمة قطع الارحام أو أكل الميراث أو ظلم الزوجة والإساءة للاولاد والبنات والإساءة إلى الجيران هذا قطعا ليس من الابرار...

لما تقرأ رأي الصحابة في تفسير الآية (**وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ**) تجده متطابقا مع أحوالهم وأخلاقهم ؟ لأنهم كانوا مؤمنين قبل الدعاء فكأنهم طلبوا المزيد من الإيمان وهذا دليل على قوة إيمانهم وكلما قوي إيمان الإنسان كلما بعُد عن الظلم وعن إيذاء الآخرين.

ومن هنا كان من الأهمية بمكان أن ندعو بهذه الآية العظيمة ونعمل بما فيها بحول الله تعالى وقوته والله هو الموفق.

---

[1] - رواه الشهاب القضاعي في ((مسنده)) (320/2) (1447)، والبزار كما في ((الترغيب والترهيب)) (358/3) (4431). وجوَّد إسناده المنذري، وحسنه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)).(2921)

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع الثاني

قوله تعالى : (فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً)

لا زلنا نواصل الحديث عن الآيات التي تمدح االمؤمنين والمؤمنات ،،،

ويطيب لي أن استفتح هذه الحلقة بسؤال ، لو سألت أي مسلم ماهي أكبر نعمة ؟ ستجد الإجابة على البديهة الاسلام ، وتجد العبارة المشهورة : الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة. وهي إجابة سديدة ولكنها ليست حديثا نبويا، ولذا قال بعضهم الافضل أن يقال "وما أعظمها من نعمة" لكي لا تهمل بقية النعم.

الله عز وجل نبهنا في القرآن الكريم إلى هذه القضية وهي أن الإيمان نعمة منه تبارك وتعالى، فقال سبحانه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات 7-8].

فالشعور بأن الإيمان نعمة من الله لا بكسبك كما قال تعالى : **(يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)** سورة آل عمران (74) .قال المفسرون الرحمة هنا هي الاسلام..

**** *** ****

هناك قاعدة مهمة وهي أن كلمة الاسلام وكذلك الإيمان في النص الشرعي – القرآن والسنة – إذا جاءت منفردة فهذا يعني المراد بها الإسلام والإيمان معا ؛ واذا جاءتا مقترنتان معا فمعنى الاسلام يراد به الأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام والذكر ؛ والإيمان يراد به الأعمال الباطنة

كالحب والخوف والرجاء ونحوها. كما قال تعالى :﴿**فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ**﴾ [الذاريات ٣٥-٣٦].

وكقوله تعالى (**قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا**) [الحجرات (14)] أي أن إيمانكم في الظاهر ولم يصل إلى مرحلة الرسوخ في الباطن.

**** *** ****

وقد وردت مادة نعمة ومشتقاتها في القرآن الكريم على عدة معان:

1/ النعمة بالمعنى العام، وهي ما أنعم الله به على الإنسان، من ذلك قوله تعالى: {**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**} (لقمان:20) أي: النعم التي سخرها الله للعباد مما في السموات والأرض. وبحسب هذا المعنى قوله عز وجل: {**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**} (النحل:18) المعنى: وإن تعدوا أيها الناس نِعَمَ الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها، والقيام بشكرها إلا بعون الله لكم عليها.

وعلى هذا أيضاً قوله سبحانه: {**ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**} (الأنفال:53) أي: أن الله إذا أنعم على قوم نعمة، فإنه بلطفه ورحمته لا يبدأ بتغيرها حتى يجيء ذلك منهم، بأن يغيروا حالهم التي تراد وتحسن منهم، فإذا فعلوا ذلك وتلبسوا بالمعاصي، أو الكفر الذي يوجب عقابهم، غيَّر الله نعمته عليهم بنقمته منهم. والآيات وَفْق هذا المعنى كثيرة.

2/ النعمة بمعنى المِنَّة، وما امتن الله به على عباده، من ذلك قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: {**اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**} (البقرة:40) قال ابن عباس رضي الله عنهما: "**أي: آلائي عندكم وعند آبائكم، لما كان نجاهم به من فرعون وقومه**".

وعن مجاهد قال: "نعمته التي أنعم على بني إسرائيل فيما سمى وفيما سوى ذلك، فجَّر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، وأنجاهم عن عبودية آل فرعون". ونحو هذه الآية قوله عز وجل: **{يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم}** (المائدة:20) أي: منه التي امتن بها عليكم. والآيات وفق هذا المعنى غير قليلة.

3/ النعمة بمعنى الإسلام، من ذلك قوله سبحانه: **{ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب}** (البقرة:211) يعني بالنعمة جل ثناؤه الإسلام، وما فرض من شرائع دينه.

قال الطبري: "ومن يغير ما عاهد الله في نعمته، التي هي الإسلام من العمل، والدخول فيه فيكفر به، فإنه معاقبه بما أوعد على الكفر به من العقوبة". وبحسب هذا المعنى أيضاً قوله عز من قائل: **{واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا}** (آل عمران:103) أي، صرتم بنعمة الإسلام إخواناً في الدين.

4/ النعمة بمعنى الإيمان، جاء على هذا المعنى قوله تعالى: **{فضلا من الله ونعمة}** (الحجرات:8) أي: إن الله حبب لعباده الإيمان، وأنعم عليهم هذه النعمة التي عدها فضلاً منه، وإحساناً ونعمة منه أنعمها عليهم. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: {إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل} (الزخرف:59) أي: فما عيسى عليه السلام إلا عبد من عباد الله، أنعم عليه بالتوفيق والإيمان، وجعله آية لبني إسرائيل، وحجة لله عليهم، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

5/ النعمة محمد صلى الله عليه وسلم، جاء على ذلك قوله تعالى: **{ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا}** (إبراهيم:29) كان تبديلهم نعمة الله كفراً في نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، أنعم الله به على قريش، فأخرجه منهم، وابتعثه فيهم رسولاً، رحمة لهم ونعمة منه عليهم، فكفروا به، وكذبوه، فبدلوا نعمة الله عليهم به كفراً. ونحو هذا قوله عز وجل: **{وضرب الله مثلا قرية**

كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله} (النحل:112) هذا الكفران تكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به.

ومثله أيضاً قوله جل شأنه: {يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون} (النحل:83) **قال السدي:** يعني محمداً صلى الله عليه وسلم، أي: يعرفون نبوته، ثم ينكرونها، ويكذبونه.

6/ النعمة بمعنى نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، جاء على ذلك قوله عز وجل: **{وأما بنعمة ربك فحدث}** (الضحى:11) عن مجاهد في قوله سبحانه: **{وأما بنعمة ربك فحدث}** قال: بالنبوة. وعنه أيضاً قال: بالقرآن.

7/ النعمة بمعنى الثواب، جاء وَفْق هذا المعنى ذلك قوله سبحانه: **{يستبشرون بنعمة من الله}** (آل عمران:171) قال الطبري: يعني بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه. وقال القرطبي: أي: بجنة من الله. ويقال: بمغفرة من الله.

8/ النَّعمة –بفتح النون– المال والغنى، جاء على ذلك قوله تعالى: **{وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا}** (المزمل:11) أي: أولي الغنى والترفه واللذة في الدنيا.

9/ النعمة بمعنى الطاعة والعبادة، من ذلك قوله سبحانه: **{صراط الذين أنعمت عليهم}** (الفاتحة:7) أي: أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين أطاعوك وعبدوك. ونحوه قوله عز وجل: **{ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم}** (النساء:69) أي: أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته، وحَسن عبادته.

10/ النعمة سعة العيش ورغده، من ذلك قوله عز وجل: **{فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن}** (الفجر:15) أي: فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم

والغنى **{فأكرمه}** بالمال، وأفضل عليه، **{ونعمه}** بما أوسع عليه من فضله، فيفرح بذلك ويُسر به. **ونحو قوله تبارك وتعالى: {وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه}** (فصلت:50) المعنى: إذا أنعم سبحانه على الإنسان، فكشف ما به من ضر، ورزقه غنى وسعة، ووهب له صحة جسم وعافية، أعرض عما دعاه إليه من طاعته، وصدَّ عنه.

**** *** ****

نعود إلى الآية الكريمة :(فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً) إشارة إلى نعمة الإيمان من الملاحظ في حياتنا أن الانسان يشكر الله على نعمة السكن والسيارة والمال والاولاد...

لكن متى نسأل شكرت الله على نعمة الاسلام ؟ والأهم هو أن يدفعك لهذا الشكر الشعور بالإيمان .

هل تعلم ما معنى أن تشعر بأنك مؤمن بالله؟

الإيمان بالله يعطيك تصور عن الكون ولماذا سخره الله لك وعن تصور للتعامل مع الكون ومع الأحياء والجمادات ، ودون هذا التصور المبني على الإيمان، لن تصل للطمأنينة، الإيمان يرزقك نعمة الانس بالله **تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** سورة الرعد (28) يعطيك شعور بالاصطفاء.

الآن من حولك يوجد المليارات من البشر يعرفون الاسلام ، والقرآن ، والنبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن لم يدخل الايمان في قلوبهم وهناك من يعادي الاسلام باسم الاسلام!! لكثرة الشبهات والجهالات بطبيعة الاسلام.

**** *** ****

ثم هذه النعمة بالايمان تتبعها نعم أخرى ونعم أخرى تتفرع عنها فيكون الإيمان كالشعلة التي تضيء وكالبذرة التي تنبت في القلب لما يضيء فيه نور الايمان تتغير تصوراته وأفكاره واعماله.

من اين علمنا هذا؟ من قوله تعالى نحوا من تسعين مرة **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ)** اي نداء بدأ بالإيمان ،داخل تحت هذه المنة الكبيرة بالإيمان.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ..)[المائدة ١].**(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ)** [البقرة ٢٨٢].**(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ** [الحجرات ٦]. **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ)** [الحجرات ١٢].

فالآية الاولى تنظيم للحياة المالية،والآيات الأخرى تنظيم للحياة الاجتماعية...وهكذا نجد في كل آية منها إصلاح وتنظيم لناحية معينة في حياة المؤمنين أفرادا وجماعات.

القضية ليست إنك مؤمن فحسب ، بل لا بد من الالتفات إلى علاقاتك الاجتماعية وتعاملاتك المالية؛ وفهمك للحياة من حولك لا بد أن يكون ذلك وفق هذا الإيمان فتتفرع منه منَن أخرى ونعم أخرى. حيث كان الإيمان صادقا في قلبك.

لهذا لا تظن أن الكلام الذي قاله بنو أسد خاص بهم ، بل لا يزال هناك من الناس اذا صلى أو صام أو أو ذكر الله ..إلخ ؛يريد من الله أن يفعل له شيئا بالمقابل ،وإذا حدث لشخص ملتزم، مصيبة يقول كيف يفعل الله بي كذا وكذا، اذا ابتلي بشيء يكرهه يستغرب !! وهذه مشكلة الذين لا يستشعرون نعمة الإيمان. **(قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ).**

انتبه لايزال بعض المسلمين يعيش في مرحلة الاسلام ، لأنه عمل الأعمال الظاهرة ولم يؤدها كما أراد الله – فمثلا – صلاته عشرين ، ثلاثين سنة فيها خلل ولم يستطع أن

يحسنها، وتلاوته للقرآن فيها خلل، كيف ينتقل هذا الشخص إلى أن يؤمن بالله عليه بالإيمان؟ .

**** *** ****

من استكمل هذه الأعمال الظاهرة ومن الله عليه بالإيمان سيعيش حياة مختلفة عن الناس كما أخبر سبحانه وتعالى : **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** سورة النحل (97) فكل ما قدر الله تعالى له بعد ذلك فيه سعادته وراحته وطمأنينته لأنه آمن الإيمان الذي يريده الله.

الدعاء المشهور (نسألك إيمانا يخالط بشاشة قلوبنا)[1] قال ابن القيم معلقا عليه : **"فللإيمان حلاوة وطعم وذوق يجدها العبد في قلبه، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)"** رواه مسلم .

وحلاوة الإيمان هي جنة الدنيا، وهي أثر من آثار رحمة الله بأوليائه تثبيتًا لهم؛ لما يجدون مِن هذه الحلاوة أمام ما يجدون مِن فتن وبلايا ومحن، حتى يقول القائل منهم كما قال ابن تيمية – رحمه الله–: **"ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي مِن بلدي سياحة"**[2].

---

[1] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال "أَخْبَرَنِي أبو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ، أنَّ هِرَقْلَ، قالَ له: سَأَلْتُكَ هلْ يَزِيدُونَ أمْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وكَذلكَ الإيمَانُ حتَّى يَتِمَّ، وسَأَلْتُكَ هلْ يَرْتَدُّ أحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَزَعَمْتَ أنْ لَا، وكَذلكَ الإيمَانُ، حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ لا يَسْخَطُهُ أحَدٌ" رواه الخاري. علَّق ابن القيم -رحمه الله- على كلام هرقل، فقال: "فاستدل بما يحصل لأتباعه مِن ذوق الإيمان الذي إذا خالطت بشاشته القلوب لم يسخطه ذلك القلب أبدًا، على أنه دعوة نبوة ورسالة، لا دعوة ملك ورياسة" (مدارج السالكين).

[2] - الو ابل الصيب.

ودعاء ابن مسعود رضي الله عنه (**اللَّهمَّ إنِّي أسألُك إيمانًا لا يرتدُّ ونعيمًا لا ينفَدُ ومرافقةَ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في أعلى جنَّةِ الخُلدِ**) رواه أحمد وابن حبان بسند صحيح.

يقول أحدهم دخلت على أبي الدرداء وهو يصلي، فختم التشهد بقوله (**أعوذ بك من النفاق**) ثلاثا، فقلت له : وأين انت من النفاق؟ فقال :"**ومن يأمن البلاء بعد قول الخليل عليه السلام (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ)** سورة إبراهيم (35)" فهذا يدل على أن التثبيت على هذه المنة تحتاج الى حب للإيمان وعدم الثقة بالنفس لأن النفس قد توقعك في بعض شرورها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (**إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**) رواه مسلم؛ وفي رواية (**إنْ شاءَ أقامَهُ، و إنْ شاءَ أزاغَهُ**)[1]؛ إذن مشيئة الله لك بإقامة الايمان في قلبك هذه من المنن الإلهية على عباده المؤمني.

ولذا أقول : نحن في حاجة إلى تكرار دعاء سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه وخاصة في السجود. **كما أننا بحاجة للتأمل في الإيمان لنعرف بين الفينة والأخرى هل زاد أم نقص نحن نعرف الزيادة والنقص في الصحة والمرض والرصيد في البنك ، والوظيفة هذه مقاييس ،كل إنسان يعرف ما بقي له وما عليه.**

هل الإيمان يحتاج لهذه المقاييس ،هذه تعود للنظر في الآيات التي تفتتح بالنداء بالإيمان (**يا أيها الذين آمنوا**) فينظر ماكان موجودا يحمد الله عليه، وما كان مفقوداً يحاول أن يحصله .

وفي سورة آل عمران امتنَّ الله تعالى على الصحابة بالأخوة في الله (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا) كون القلوب تتآلف على الإيمان هذه نعمة.كأن النار المراد بها نار الفرقة والاختلاف.

[1] -صححه السيوطي في الجامع الصغير.

مثلا لو صارت مشاجرة بينك وبين زميلك أو أخيك ، إنك قد لا تستطيع أن تنام بالليل وتُشغل – ذهنيا – حتى في صلاتك وتتحول الحياة إلى جحيم..قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ**﴾ [الصافات ١١٤-١١٥] بعد أن ذكر المنة كأنما من المنن النجاة ، النجاة من مشكلات الحياة.

**** *** ****

أيضا منة أخرى وهي قوله (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) سورة عبس (37) هذه أسرة واحدة ويفر بعضهم من بعض في ذلك الموقف العظيم، والسبب مشكلات هنا في الدنيا لم تحل، ظلم بالضرب بالإساءة بالمضارة بين الزوج وزوجته والاخ وأخيه، وهذا دليل على غياب الإيمان..

قال صلى الله عليه وسلم **(ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ)** فكيف بزوجته وأولاده.. نحن نتتبع مثل الأحاديث لنعلم أن نعمة الإيمان تمنع الإنسان من أذية الآخرين..وتقدم قول الحسن البصري رحمه الله تعالى: **(الأبرار هم الذين لا يؤذون شيئًا حتى الذَّرّ)**.فكيف بإيذاء مسلم ؟.

ماهي العلاقة بأن الإيمان يمنعني من إيذاء الناس حتى لو أوذيت ؟ السبب هو أن الله أعد لأهل الاحسان درجات في الجنة فأخشى أن أفقد هذه المنزلة وأقل القليل ألا أدخل النار بسبب زيد أو عمرو، فأحافظ على إيماني ، وكذلك صلتي بالله متوقفة على عدم إيذاء خلقه..

**** *** ****

رؤيا رءاها شيخنا الشيخ عثمان صلاح رحمه الله تعالى :

لعل من المناسب أن أذكر أن شيخنا الشيخ عثمان صلاح رحمه الله تعالى حدثني "أنه أوذي من قِبَل بعض الناس فدعا عليهم فعوقبوا عقوبة شديدة ، ثم رأى النبي صلى الله

عليه وسلم في المنام دخل عليه في بيته وكأنه غاضب ، قال فعلمت أن غضبه بسبب دعائي عليهم ، فما زلت أسترضيه حتى رضي وانفرجت أساريره وخرج؛ قال الشيخ : إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرضى في المؤمنين".

واستطرادا نقول : بتتبع الآيات القرآنية نجد أن التعامل مع المسيء على ثلاث درجات :

أن تعامله بالمثل أي أن تأخذ حقه منه: لقوله تعالى: **(وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا)** [الشورى ٤٠]

قال القرطبي: "**فينتصر ممن ظلمه من غير أن يعتدي**" ، وورد عن ابن عباس في تفسيرها قال: يقول أخزاه الله، فيقول: أخزاه الله.وفي معناها قوله تعالى : **(فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ)** [البقرة : 194].

أن تعفو وتصفح عنه : (فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ) قال ابن عباس رضي الله عنهما : "من ترك القصاص وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو فأجره على الله أي إن الله يأجره على ذلك" **وقال مقاتل** : "فكان العفو من الأعمال الصالحة".

الدرجة العليا أن تحسن إلى من أساء إليك، لقوله تعالى **(وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ)** سورة فصلت (34).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي : **(ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك)** . وعنه أيضا : **(هو الرجل يسب الرجل فيقول الآخر : إن كنت صادقا فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك)** .

وقال السعدي :(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله

بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

ولما ورد عن أمي بن ربيعة المرادي رحمه الله تعالى **(لَمَّا أنزَلَ اللهُ على نَبيِّه: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ)** [الأعراف: 199]، **قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لجِبريلَ: ما هذا؟ قال: لا أدْري حتى أسألَ. ثم رَجَعَ، فقال: يا مُحمدُ، إنَّ رَبَّكَ يَأمُرُكَ أنْ تَصِلَ مَن قَطَعَكَ، وتُعطِيَ مَن حَرَمكَ، وتَعفُوَ عَمَّن ظَلَمكَ)**.

**** *** ****

إذن فالشعور بنعمة الإيمان ومنة الإيمان يجعلك تحسن عبادة الله تعالى فصلاتك تختلف عن صلاة الآخرين، عندما تكبر للصلاة استشعر نعمتين ،الإيمان والصلاة. وهذا يؤدي للخشوع في الصلاة ؛ فعندما تدعو قائلا **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)** تذكر أنه تعالى أنعم عليهم بطاعته وسلوك منهجه، وأنت تقولها في كل صلاة كذلك انعمت عليهم بالصلاة.

ولما تفتح المصحف استشعر نعمة الإيمان ونعمة تلاوة القرآن..(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) سورة لقمان (20) ؛ قال بعضهم (النعمة الظاهرة الإسلام والنعمة الباطنة الإيمان ، وإن شئت قل : النعمة الظاهرة تلاوة القرآن والنعمة الباطنة الفهم والتدبر) إذن استشعر النعمتين.

هذا الشعور مع كل عبادة سيورثك عدم العجب بالعمل وبالنفس ؛ لأنك تقول هذه نعمة تحتاج لشكر وليس الإعجاب بالقيام بها ؛ قال تعالى :**(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)** سورة إبراهيم (7) ألا يمكن أن يكون الشكر هنا على نعمة الإيمان؛ لكن للأسف أغلبنا يتبادر

إلى ذهنه النعم الدنيوية ، ومن هنا نعلم لماذا كرر الله تعالى ذكر الإيمان والإسلام وهي أكثر بكثير من ذكر الدنيا ، لأنها تشير إلى استشعار هذه النعمة العظيمة الإسلام والإيمان.

**** *** ****

الذوق يختلف عن الفكر: حروف اللغة العربية لا تستطيع أن تسع التعبير عن شعورك بالإيمان أو التعبير عن الشكر على نعمة الإيمان. لأنه الإيمان غيب..(**الذين يؤمنون بالغيب**).

من المؤكد أن كل واحد منا إيمانه يختلف عن الآخر من حيث الزيادة والنقصان؛ لأن الإيمان شيء معنوي والمعاني لا توزن ولا تقاس ولتقريب الفهم ،مثلا ، إنسان شجاع كم كيلو او شهم أو كريم ؛ كذلك الاحساس بنعمة الايمان وبمنَّة الايمان يختلف من شخص لآخر والذين يشعرون بوجود الإيمان لا يستطيعون التعبير عنه لأنه غيب..

فبالتالي الخلاصة، استشعار هذه النعمة ، أن الله اختصك بها امتن عليك بها ،ورحمك بها وأكرمك بها، هذا الشعور بالإيمان يدفعك للعمل، وكأن الآخرة دائما بين عينيك، ومراقبة الله في قلبك .

نسأل الله عز وجل أن يفقهنا في ديننا وأن ينفعنا بما يعلمنا وان يعلمنا ما ينفعنا وأن يزيدنا علما ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار...

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع الثالث

قوله تعالى (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ)

قال الله تعالى : (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ) [الحجرات 7].

قبل الشروع في بيان ما في الآية من مدح وثناء على المؤمنين والمؤمنات أقول ها هنا شيئان:

الأول : تحبيب الإيمان إلى القلوب ؛ والآخر : تزيين الإيمان في القلوب.

تكلمنا في الدرس السابق عن نعمة الإيمان ومنة الإيمان ، في هذا الدرس لو أردنا ربط هذا الدرس بالدرس الماضي، نقول اذا اعطاك أحد هدية ، هذه الهدية، تكون وقعها في قلبك على قدر المعطي، فكيف إذا كان الإيمان هو الهدية ، وهو هدية من الله لنا ؟ إن هذه الهدية من شأنها أن تُحبَّ وأن يُحافَظ عليها .

نحن قلنا في الدرس السابق نحتاج للشعور بنعمة الايمان ، الآن نحتاج للشعور بحب الإيمان ...حتى لو لم تنزل هذه الآية **(وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ)** سورة الحجرات (7) لوجب علينا أن نحب الإيمان لأنه هدية من الله تعالى.

لماذا نحب الإيمان؟ أول سبب لأنه من الله تعالى: في الحديث قال صلى الله عليه وسلم (**تَهادَوْا تحابُّوا**) [1] فإذا كانت الهدية فيما بيننا، تجعل المهدي محبوباً للمهدى إليه ؛ فكيف إذا كان المهدي والمعطي هو الله تعالى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكم به من نِعَمِه**)[2].

قلت : ظاهر الحديث يحث على محبة الله لما يعطينا من النعم الدنيوية فكيف وقد أعطانا الإيمان وهو أغلى وأهم من النعم الدنيوية بل لا مقارنة بينهما.

أيضا الإيمان يدعو إلى الخير وينهي عن الشر ، يدعو إلى الفضيلة وينهى عن الرذيلة ، (**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا**) سورة النساء(27) فالإيمان يدعوا الى الطهر والعفاف ، وغيره يدعو لأرذل الاخلاق.

الإيمان يدعوك إلى أن تكون انسانا سويا في عقلك وفي فكرك وسلوكك وفي مخبرك ومظهرك ، وسواه يدعو لغير ذلك؛ فالعاقل لا يمكن أن يفضّل الشر على الخير أو الرذيلة على الفضيلة أو الصدق على الكذب ...وهكذا. ثم إن الله عز وجل ذكر شأن الكفار في الآخرة (**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**) سورة الملك (10)هنا في الدنيا ذهب عقلهم عن اختيار الإيمان وفي الآخرة عاتبوا أنفسهم على ذلك ،قال ابن عباس : (**لو كنا نسمع الهدى أو نعقله ، أو لو كنا نسمع سماع من يعي ويفكر ، أو نعقل عقل من يميز وينظر . ودل هذا على أن الكافر لم يعط من العقل شيئا**).

---

[1] - أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (594)، و أبو يعلى(6148) وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : إسناده جيد.

[2] - أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال : صحيح الإسناد، وصححه السيوطي في الجامع الصغير.

لذا وجب عليك أن تحب الإيمان ، انظر إلى الآية (**وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ**) لو قال الله (**أحبوا الإيمان**) لوجب كما وجبت الصلاة بقوله تعالى (**أقيموا الصلاة**) ووجب الصيام بقوله تعالى (**كتب عليكم الصيام**) وهذا من اعجب الأمور..

**** *** ****

إذن يجب عليك عقلا أن تحب الإيمان ولو أحببته من نفسك لن تصل إلى الدرجة التي يريدها الله عز وجل ، لهذا لطفا بنا ورحمة ،بل وكرما منه تعالى أنه هو الذي حببه إلينا، كما في الآية الأخرى (**يحبهم ويحبونه**) محبته لنا سابقة لمحبتنا له عز وجل.إذن الله حبب إلينا الإيمان ، ولابد أن تكون له علامات.

ما هي علامات صدقك في قولك : الله تعالى حبَّبَ إليَّ الإيمان؟.

البرهان الأول : أن تقدم محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم على كل محبوباتك الدنيوية : ودليل ذلك قوله تعالى :(**قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ**) [التوبة -٢٤].

استنبط العلماء من هذه الآية أن حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم فرض وليس نفل ، وهنا في هذه الآية إشارة إلى حب اخر مع حب الله ورسوله ؛ يعني انت تحب شيئا، ولكن هناك شيئا آخر أحب إليك ، أنت تحب المال ،تحب النساء ، السيارات ، وهي غريزة لتستمر عجلة الحياة، لكن الخطورة أن تصبح أحب إليك من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

نرجع لقوله تعالى (**حبَّب**) اذا كان أهل هذه الآية (**أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**) التي بسورة التوبة اذا كان عندهم نوع من تفضيل الدين على الدنيا فإن أهل الآية الأولى (**حبب اليكم**) قد أمتن الله عليهم بهذا الفضل وهذه النعمة .

بالمثال يتضح المقال: لو عندك مشوار وهو يحتاج نصف ساعة والصلاة الباقي لها عشرة دقائق فأنت بين خيارين إما أن تصلي، فتؤخر المشوار ، وإما أن تذهب وليس هناك مسجد في الطريق لتدرك فيه الصلاة، اذا حصلت في قلبك منازعة ؛ تمشي أو تنتظر ! انت ليس من أهل (**حبب**) بل من أهل (**أحب**)؛ لكن لو لم يكن منازعة فأنت من أهل (**حبب**) .

الآية الثانية : ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ**﴾ [آل عمران ١٤] ثم انظر لقوله تعالى بعدها ﴿**قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ**﴾ [آل عمران ١٥].

عندنا الآن (حبب) و (أحب) ، أما (أحب) هذه أعطوا إياها من باب الواجب لكن أهل (حبب) الأمر عندهم رفع مشقة التكليف..

بعض الناس يقول هناك من يدعي أن الله رفع عنه التكليف فهذا كفر وضلال ، ظنا منه انه ترك الصلاة وبقية التكاليف ، وما علم هذا المسكين أن دعوى رفع التكاليف المراد منها رفع المشقة عند أدائها أي أنه لا يصلي بمشقة، بل يصلي بمحبة ، وكذلك يصوم بلا مشقة بل يصوم بمحبة .

الآن "أحب " أهل سورة التوبة جاء في نهاية الآية (**فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ**) جاءهم تهديد مفتوح وهو عقوبة غير محددة ، كما أنهم وصموا بوصم قبيح، فمن يدعون تحبيب الإيمان إليهم لابد أن يأتوا ببرهان!!

وهذا البرهان الأول أن ترتقي من (**أحب**) إلى (**حبَّب**) والى (**يحبهم ويحبونه**) .

**** *** ****

البرهان الثاني : ﴿**قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾ [آل عمران ٣١] إنك تتبع النبي صلى الله عليه وسلم لأنك قلت : إن الله تعالى حَبَّب إلي الإيمان! هل الإتباع بمحبة ام بمجاهدة اذا تريد التمييز فانظر ما جاء بعدها (**يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ**) **بينما** في آية التوبة قال (**فتربصوا**).

إذن(**فَٱتَّبِعُونِي**) اتباع عن محبة كما في آية الأحزاب ﴿**لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا**﴾ [الأحزاب ٢١] نلاحظ لم يقل (أسوة حسنة) في أقواله أو أفعال بل قال في (**رسول الله**) أي في الذات المحمدية كلها اي كل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم يصلح للاقتداء وللتأسي إذن شأن الذين (حبب إليهم الإيمان) أن يأخذوا بهذه الآية.

لكن هناك آيات أخرى لكن لمن هم دونه, حوالي ثلاثين آية، منها قوله تعالى﴿**وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ**﴾ [المائدة ٩٢].

وقوله تعالى ﴿**قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [آل عمران ٣٢].

وقوله تعالى ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ**﴾ [الأنفال ٢٠].

شأن من (حبب) هم أهل آية آل عمران (قل إن كنتم تحبون) وايضا هناك آية الاحزاب (لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا).

❋❋❋❋ ❋❋❋ ❋❋❋❋

علامات ظاهرة على من حبب إليهم الإيمان:

الكلام الذي ذكرته محبة واتباع هذا كله كلام باطني ، نريد علامة ظاهرة بارزة لهؤلاء؛ يوجد في بعض الأحاديث إشارة لهذا، كحديث السبعة الذين يظلهم الله يوجد ثلاثة أصناف منهم،،

العلامة الأولى : (**ورجل قلبه معلق بالمساجد**) الذي قلبه معلق بالمساجد يجد فيها راحته وطمأنينته ، **قال الإمام مالك رضي الله عنه** (**المؤمن في المسجد كالسمك في البحر، والمنافق في المسجد كالطائر في القفص**) أي انسان يتضايق من مكوثه في المسجد ، أو يعلق على صوت الأذان أو يعلق على طول الصلاة أو ..أو ، هذا لإيجد راحته في المسجد وليس من أهل (**حبَّب**).

العلامة الثانية : (**ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**) **هل تعلم لماذا فاضت عيناه؟**

قالوا : هذا رجل جلس يتفكر في جلال الله وعظمته ويتفكر في حاله مع الله فتذكر ذنوبه لذا فاضت عيناه.

أحيانا البيئة يمكن أن تحملك على البكاء بسبب ما فيها من روحانيات كليالي رمضان والعشر الاواخر منه خصوصا ودعاء الإمام مؤثر ، والصلاة خلف إمام وتلاوة خاشعة و..و.. لكن هناك شرط في هذا الحديث وهو (**خاليا**).

العلامة الثالثة : من السبعة الذين يظلهم الله في ظله (**رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**) وهناك رواية أخرى (**حتى لا تعلم يمينه ما أنفقت شماله**) لِمَ قال (**ما أنفقت شماله**) زيادة في الاخفاء أخرجها بشماله حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، وهذا معناه أنه حببت إليه الصدقة، وفي الحديث (**والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ**)

رواه مسلم. فمن آثار هذه الآية (**وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ**) في حياتك أن تجمّل ظاهرك وباطنك بما يحبه الله تبارك وتعالى، وبما يحبه الرسول صلى الله عليه وسلم..

من هنا جاء الدعاء الذي رواه الإمام أحمد ، إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه (**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمانَ، وزيِّنهُ في قلوبِنا، وكَرِّهْ إلينا الكُفرَ والفُسوقَ والعِصيانَ، واجْعلْنا مِنَ الرَّاشدينَ**)[1].

**** *** ****

العلامة الرابعة : أن تكره الكفر والفسوق والعصيان وأن تكره أهلها : كما في تمام الآية (وَكَرِّهْ إليكم الكُفرَ والفُسوقَ والعِصيانَ) فلا يمكن أن يجتمع عند أهل **(حبب)** محبة الإيمان وأهله ومحبة العصاة فضلا عن الكفرة والفسقة ، وهذا يشهد له الواقع فلا يمكن تحب شخصا يعادي والدك أو يعادي أخاك ، اذا أحببته انت عندك خلل في محبتك ، ولله المثل الأعلى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن ولَدِهِ ووالِدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ)** رواه مسلم ، وفي رواية له **(حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن أهْلِهِ ومالِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ)**.

فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليك من المذكورين في الحديث فكيف تحب من يعاديه عليه الصلاة والسلام.

ولهذا نقول : إن المجاملات التي تقع من بعض المسلمين لبعض الكفرة من النصارى في احتفالاتهم الدينية كالاحتفال بالكريسماس دليل على ضعف الايمان وضعف محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

[1] -أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين؛ وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

وذكرت مثالا ، اذا دخل نجار بيتك وكان هناك خللا في شباك الغرفة فسيتعرف عليه مباشرة بحدسه وبحذاقته وبمحبته للنجارة سيتعرف عليه مباشرة..

هكذا يجب أن يكون المؤمن اي خلل يحدش في الإيمان أو في محبة الله ورسوله لابد أن يشعر به دون تنبيه من أحد.

(حَبَّبَ إِلَيْكُمُ) هذا مقام عالي جدا، والآية خاطبت صفوة الصحابة ، بداية **السياق (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ)**ثم قال تعالى **(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ)** وفي ختام الآية **(فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ)** [الحجرات ٦-٨] .

**** *** ****

إذن هناك درجة (حبب) ، والدرجة الأخرى (وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ) :

قال أحدهم : انت اذا احببت شيئا ما ،لن تستمر في حبه بنفس الاهتمام، بل ربما مع الزمن يصبح هذا المحبوب لك شيئا عاديا مملا ، لكن قال (زينه) والتزيين يقتضي التحسين والتلوين بين الحين والآخر ، ففي كل فترة ، إيمانك يتجمل لك ! عفوا الله يجمله لك في قلبك كما حببه إليك يزينه ويحسنه لك في قلبك...

وددت لو أن رساما يرسم لنا صورة الإيمان في قلب المؤمن ، في سورة النور ﴿**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ**

تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النور ٣٥].[1]

هذه الآية تعطيك صورة جميلة مهيبة للإيمان في قلبك، إذن زينه! ماهي الزينة ؟هي الشيء الذي لايشان ، الزين ضده الشين.

هل زين الله الإيمان في قلوبنا؟

هناك شيء مهم أنت الآن لديك سيارة آخر موديل وهي في نظرك أفضل سيارة ،فهي وجيهة، إضافة إلى أن الله زينها في قلبك من بين الالاف من السيارت ، وكذلك تنتفع بها فهي افضل شيء عندك ولن تطمح في غيرها ، الا تحافظ عليها؟ كيف؟ تغير الزيت وتنظر إلى الماء وتغسلها بأنواع الغسيل و..و ، وهذا ما يجب أن يكون عليه الإيمان في القلوب.

اذا كان هذا عطاء إلهي، يعني اذا امتن الله عليك بتزيين الإيمان في قلبك ، يريد منك أن تحافظ على هذه الزينة...هناك دعاء آخر ذكره عمار بن ياسر رضي الله عنه، بعد أن صلى بالناس قال لهم : لقد قلت دعاء ،ثم ذكره فقال (**اللَّهمَّ بعِلمِكَ الغيبَ وقدرتِكَ على الخلقِ أحيني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي وأسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ وَكلمةَ الإخلاصِ في الرِّضا والغضبِ وأسألُكَ نعيمًا لاَ ينفدُ وقرَّةَ عينٍ لاَ تنقطعُ وأسألُكَ الرِّضاءَ بالقضاءِ وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ ولذَّةَ النَّظرِ إلى وجْهِكَ والشَّوقَ إلى لقائِكَ وأعوذُ بِكَ من ضرَّاءٍ مُضرَّةٍ وفتنةٍ مضلَّةٍ اللَّهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ واجعَلنا هداةً مُهتدين**)

أخرجه النسائي واللفظ له، وأحمد صححه الألباني في صحيح سنن النسائي .

الزينة تعني الكمال ، ممكن اسكن في بيت بدون ستارة فهي من الكماليات وممكن يكون هناك مصباح واحد، وبقية المصابيح للتجميل..

[1] - سيأتي الكلام على هذه الآية في الموضع الموضع الحادي عشر.

-**الله زين لك الإيمان في قلبك** ، يعني عندك الإيمان الكامل وما هو فوق الإيمان هذا الذي فوق الكمال ، انظر لسمت صاحب هذا الإيمان نرجع للعلامات؛ اذا كان في سوء خلق، مثلا بذاءة لسان ، معناها أن الله لم يزين له الإيمان لأن ما في الباطن ينعكس على الظاهر...

قال الإمام الغزالي رحمه الله : (من أحب الإيمان بظاهر قلبه ، أحب الله حبا وسطا، ومن أحب الإيمان بسويداء قلبه ،أحب الله ولم يعصه).

ومعنى كلامه : للقلب درجتان : ظاهر القلب ، وسويداء القلب ؛ فهناك أناس عندهم إيمان في ظاهر القلب وليس في باطنه.

ويوافق كلامه رحمه الله الدعاء المنسوب لسيدنا سليمان عليه السلام **(اللهم إنا نسألك إيمان يخالط بشاشة قلوبنا حتى لا نعصيك)** .

قال التستري: أنه لما كان في الخامسة من عمره ، كان يقول له خاله -وهو الذي رباه- كان يقول له عند النوم ،قل : **(الله معي ،الله شاهدي، الله ناظر الي)** قال :"فقلته ثلاث مرات قبل النوم ثم بعد مدة طلب مني أن أكرر ذلك عشر مرات ،ثم بعد مدة أمره بزيادة العدد وهكذا إلى أن وصل إلى أن يكرره مائة مرة ، قال : **(وانا الآن بلغت الستين إن أردت أن اعصي الله لا استطيع)** ، لأن الله حبب إليه الإيمان في سويداء قلبه.

**** *** ****

قوله تعالى :**(فضلا)** هذه الكلمة المباركة تشير إلى أن الشيء يُحب للمنفعة أو لكماله أو لفضله ؟! فمثلا : أنت لم تحب مالكا والشافعي وأبا حنيفة والإمام أحمد، وقبلهم الصحابة رضي الله عنهم ، وقبلهم الانبياء عليهم السلام، الا لفضلهم ولكمالهم ،والإيمان افضل من كل ذلك بل بالإيمان الذي في قلبك أنت أحببتهم ، فكل شيء أحببته لا بد أن يكون تابعا لمحبتك لله وليس منفصلا عنه ، لأن كل حب خرج عن دائرة الإيمان فستعذَّب به ؛ كما قال ابن القيم

رحمه الله تعالى **(من أحب شيئا غير الله عذب به)** هو مأخوذ من كلام الله تعالى وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – فإن الله جل شأنه يقول في كتابه العزيز: **(فلا تُعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا)**.

قوله تعالى :**(فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً)** إشارة إلى الكمال الذي أعطاه الله لهؤلاء – أسأل الله أن يجعلنا منهم– تحبيب وتزيين للإيمان وتكريه للكفر والعصيان، من هنا تستشف إن الفضل أعظم من النعمة وان النعمة بين الفضل والمن .

لقد انتبهت إلى الفرق بين النعمة والمنة لكن ما وجدت ما يجعل الدرجة بينهما أو التمايز بينهما إلا أن تكون المنة كمنزلة الصديقين بعد النبوة ،، المنة ذكرت مع الانبياء والمرسلين.

في سورة إبراهيم [الآية (11)] خاطب الرسل عليهم السلام أقوامهم في قوله تعالى **(قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)**.

وفي سورة النساء [الآية (69)] **(وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا)** .

لو جمعت الآيات النعمة والمنة والفضل تجد المنة أقرب إلى النبوة فكلما زادك الله منة ارتفعت إلى درجة الصديقية لا إلى النبوة لآن النبوة قد ختمت ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورحم الله القائل :

ولم تَكُنْ نبوّة مكتسبَهْ ولو رَقى في الخَيرِ أعلى عقبَهْ

النبوة ليست بالكسب، بل منة من الله ، لكن الصديقية قد يدخلها الكسب وكذلك بقية المقامات التي ذُكرت بعد النبيين وهي :الصديقية والشهادة والصلاح ؛ فهذه كلها يحصل عليها الانسان بكسبه، بعد توفيق الله له، ثم يترقى فيها.

الآن (حبَّبَ إِ ليكم) ، **((فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ)** هذه تحتاج إلي شكر ، والشكر لا يكون إلا بالشعور الصادق ، فإذا كنت تشكر الله على ما أعطاك نعم دنيوية فالاولى والأحرى أن تشكر الله على نعم دينية بدءا من الإيمان والى آخر عمل صالح تقوم به.

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع الرابع

قوله تعالى (بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ)

موضوع درسنا هو امتنان الله تعالى على المؤمنين والمؤمنات بالإيمان ورد في موضعين :

أحدهما : قوله تعالى : (يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ) [الحجرات – 17].

والآخر : قوله تعالى :(وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۚ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ) [الأنعام- 53].

دلالة الامتنان في قوله تعالى : (بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ):

ولنبدأ بما ورد في آية الحجرات قوله تعالى : (يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ) [الحجرات ١٧].

سبب النزول : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : يا رسول الله ، أسلمنا وقاتلتك العرب ، ولم نقاتلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم)** ؛ ونزلت هذه الآية : (يمنون عليك أن أسلموا) لماذا ؟ لأنهم رأوا أن لهم فضلا على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى الاسلام.

فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يرد عليهم قائلا :(**قُل**) لهم: (**لم تؤمنوا**) لم تُصدّقوا بقلوبكم (**ولكن قولوا أسْلَمنا**) فالإيمان هو التصديق بالقلب مع الإذعان به، والإسلام هو الدخول في السِّلْم، والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين؛ ألا ترى إلى قوله: (**ولَمَّا يَدْخُلِ الإِيمانُ في قلوبكم**) فهو يدل على أنَّ مجرد النطق بالشهادتين ليس بإيمان، فتحصَّل أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة للقلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلبُ اللسانَ فهو إيمان، وهذا من حيث اللغة، وأما في الشرع فهما متلازمان، فلا إسلام إلا بعد إيمان، ولا إيمان إلا بعد النطق بالشهادة إلا لعذر.

قال تعالى : (**بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ**) انتقل الكلام الى المنة وهي النعمة العظيمة الجسيمة كأن هناك بينهما درجات.

فهناك من يعيش نعمة الإيمان وهناك من يعيش منة الإيمان ، ألا يحق لنا أن نستشعر إن الله منَّ علينا بالإيمان .

هناك مرحلة قبل الإيمان هي الهداية للإيمان، فالعرب قاطبة لما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام رمته عن قوس واحدة إلى حوالي واحد عشرين عاما، صلح الحديبية، بعدها في العام التاسع بعد فتح مكة جاءت الوفود للدخول في الاسلام لم؟ لأن طيلة تلك السنوات لم يشأ الله لها الهداية، وهذا يظهر فضل المهاجرين والأنصار كانوا هم المسلمين طيلة تلك الفترة ثم بعد ذلك وصل الاسلام إلى الشام والى البحرين والى مصر.

فما الذي منع أهل الجزيرة العربية من الإسلام ؟ لان الله تعالى هو الذي يقدر الهداية ، يقدرها لمن يشاء من عباده.

**** *** ****

قوله تعالى : (**بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ**) قال الرازي : يعني لا منة لكم ومع ذلك لا تسلمون رأساً برأس بحيث لا يكون لكم علينا ولا لنا عليكم منة، بل المنة عليكم، وقوله تعالى: (**بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ**) حسن أدب حيث لم يقل لا تمنوا علي بل لي المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم، ثم في مقابلة هذا الأدب قال الله تعالى:(**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**) [الشورى: 52].

(**بل الله يَمُنُّ عليكم**) أي: المنة إنما هي لله عليكم (**أنْ هداكم للإيمان**) بأن هداكم للإيمان على زعمكم (**إن كنتم صادقين**) في ادّعاء الإيمان، إلاَّ أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه.أي: إن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان فللّه المنّة عليكم.

قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : وفي سياق النظم الكريم من اللُطف ما لا يخفى فإنهم لما سَموا ما في صدورهم إيماناً، ومَنُّوا به، نفى تعالى كونه إيماناً، وسمّاه إسلاماً، كأنه قيل: يمنون عليك بما هو في الحقيقة إسلام وليس بإيمان، بل لو صحّ ادّعاؤهم للإيمان فللّه المنّة عليهم بالهداية إليه لا لهم.

وقال أحدهم : (**بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمَانِ**) إذا كتب في قلوبكم الإيمان؛ فانعكس نور الإيمان من مصباح قلوبكم إلى مشكاة نفوسكم، فتنورت واستضاءت بنور الإسلام، فإسلامكم في الظاهر من فرع الإيمان الذي أودعت في باطنكم (**إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) في دعوى الإيمان.

قلت: ولا تظن أخي الكريم أختي الكريمة أن هذه الآية خاصة بأولئك المذكورين بل لا يزال في المسلمين من يمتن على الله تعالى بإسلامهم وصلاتهم وسائر عباداتهم.

**** *** ****

وأما دلالة الامتنان في قوله تعالى :**(وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ)** [الأنعام- 53].

قال الحافظ ابن كثير: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من اتبعه في أول بعثته ضعفاء الناس، من الرجال والنساء، والعبيد والإماء، ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل، كما قال قوم نوح لنوح: **(وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ)** [هود: 27] الآية – وكما سأل هرقلُ ملك الروم أبا سفيان – حين سأله عن تلك المسائل: **(فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. فقال: هم أتباع الرسل).**

وكان مشركو مكة يسخرون بمن آمن من ضعفائهم، ويعذبون من يقدرون عليه منهم، وكانوا يقولون: **(أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا)** كقوله: **(لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)** [الأحقاف: 11].

وقال في جوابهم هنا: **(أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)**، أي: له بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم، فيوفقهم ويهديهم سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم. كما قال تعالى: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)** [العنكبوت: 69].وفي الحديث الصحيح: **(إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى ألوانكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) .**

قال القاسمي في محاسن التأويل : **(وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ)** هم الشرفاء: **(بِبَعْضٍ)** وهم المستضعفون، بما مننا عليهم بالإيمان. وقوله: **(لِيَقُولُوا)** أي: الشرفاء:(أَهَؤُلاءِ) أي: المستضعفون

(**مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا**) أي: بشرف الإيمان، مع أن الشرفاء على زعمهم، أولى بكل شرف، فلو كان شرفاً لانعكس الأمر، فهو إنكار لأن يُخَصَّ هؤلاء من بينهم بإصابة الحق، والسبق إلى الخير، كقولهم: (**لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ**) [الأحقاف: 11].

ثم أشار تعالى إلى أنه إنما منَّ عليهم بنعمة الإيمان، لأنه علم أنهم يعرفون قدر هذه النعمة، فيشكرونها حق شكرها. وأما أولئك، فلا يعرفون قدرها، فلا يشكرونها، بقوله سبحانه: (**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ؟**) ردٌّ لقولهم ذلك، وإبطالٌ له، وإشارةٌ إلى أن مدار استحقاق الإنعام، معرفة شأن النعمة، والاعتراف بحق المنعم.

كما أن فيه من الإشارة إلى أن أولئك المستضعفين عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن، والتوفيق للإيمان، شاكرون له تعالى على ذلك، مع التعريض بأن القائلين بمعزل عن ذلك كله – ما لا يخفى.

من الأمثلة الحية على الشعور بالامتنان بالإيمان والتوفيق لطاعة الرحمن :

1/ موقف الانصار بعد توزيع غنائم حنين : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **لَمَّا أصابَ رسولُ اللهِ الغنائمَ يَومَ حُنَينٍ ، وقسمَ للمُتألِّفينَ مِن قُرَيشٍ وسائرِ العربِ ما قسمَ ، ولَم يكُن في الأنصارِ شيءٌ مِنها ، قليلٌ ولا كثيرٌ ، وجدَ هذا الحَيُّ مِن الأنصارِ في أنفسِهِم حتَّى قال قائلُهُم : لَقيَ – واللهِ – رسولُ اللهِ قَومَهُ . فمشَى سعدُ بنُ عُبادةَ إلى رسولِ اللهِ فقالَ : يا رسولَ اللهِ إنَّ هذا الحَيَّ مِن الأنصارِ وَجدوا علَيكَ في أنفسِهِم ؟ قالَ : فيمَ ؟ قالَ : فيما كانَ مِن قَسمِكَ هذهِ الغنائمِ في قَومِكَ وفي سائرِ العربِ ، ولَم يكُن فيهِم مِن ذلكَ شيءٌ . قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ : فأينَ أنتَ مِن ذلكَ يا سعدُ ؟ قالَ : ما أنا إلَّا امرؤٌ مِن قَومي . فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ : اجمَعْ لي قَومَكَ في هذهِ الحظيرةِ فإذا اجتمَعوا فأعلِمني ، فخرجَ سعدُ فصرخَ فيهِم فجمعَهم في تلكَ الحظيرةِ . . . حتَّى إذا لَم يبقَ مِن الأنصارِ أحدٌ إلَّا اجتمعَ لهُ أتاهُ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ اجتمعَ لكَ هذا**

الحَيُّ مِن الأنصارِ حَيثُ أمرتَني أن أجمعَهُم . فخرجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ ، فقامَ فيهِم خطيبًا فحمِدَ اللهَ وأثنَى علَيهِ بما هوَ أهلُهُ ، ثمَّ قالَ : يا معشرَ الأنصارِ ألَم آتِكُم ضُلَّالًا فهداكُم اللهُ ، وعالةً فأغناكُم اللهُ ، وأعداءً فألَّفَ اللهُ بينَ قلوبِكُم ؟ قالوا : بلَى ! قالَ رسولُ اللهِ : ألا تجيبونَ يا معشرَ الأنصارِ ؟ قالوا : وما نقولُ يا رسولَ اللهِ وبماذا نُجيبُكَ ؟ المَنُّ للهِ ورسولِهِ . قالَ : واللهِ لَو شِئتُم لقُلتُم فصدَقتُم وصُدِّقتُم : جئتَنا طريدًا فآوَيناكَ ، وعائلًا فآسَيناكَ ، وخائفًا فأمَّنَّاكَ ، ومَخذولًا فنصَرناكَ ؛ فقالوا : المَّنُ للهِ ورسولِهِ . فقال : أوَجَدتُم في نُفوسِكُم يا مَعشرَ الأنصارِ في لُعاعَةٍ مِن الدُّنيا تألَّفتُ بِها قَومًا أسلَموا ، ووَكَلتُكُم إلى ما قسمَ اللهُ لكُم مِن الإسلامِ ! ! أفَلا تَرضَونَ يا مَعشرَ الأنصارِ أن يذهبَ النَّاسُ إلى رِحالِهِم بالشَّاءِ والبَعيرِ وتذهَبونَ برسولِ اللهِ إلى رِحالِكُم ؟ . فَوَالَّذي نَفسي بيدِهِ ، لَو أنَّ النَّاسَ سَلَكوا شِعبًا وسَلَكتِ الأنصارُ شِعبًا ، لسَلَكتُ شِعبَ الأنصارِ ، ولَولا الهجرةُ لكُنتُ امْرَأً مِن الأنصارِ ؛ اللَّهمَّ ارحَمْ الأنصارَ ، وأبناءَ الأنصارِ ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ . فبكَى القَومُ حتَّى أخضَلوا لِحاهُم . وقالوا : رَضينا باللهِ رَبًّا ، ورسولِهِ قسمًا ، ثمَّ انصرفَ ، وتفرَقوا).

صححه الألباني في فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي.

2/ شكر الصحابة الله تعالى على نعمة الإسلام : ففي الحديث خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه علَى حَلْقَةٍ في المِسْجِدِ، فَقالَ: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قالَ: آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟ قالوا: وَاللَّهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قالَ: أَمَا إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَما كانَ أَحَدٌ بمَنْزِلَتِي مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أَقَلَّ عنْه حَدِيثًا مِنِّي، وإنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَرَجَ علَى حَلْقَةٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ علَى ما هَدَانَا لِلإِسْلَامِ، وَمَنَّ به عَلَيْنَا، قالَ: (آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟) قالوا: وَاللَّهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قالَ: (أَمَا إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فأخْبَرَنِي أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بكُمُ المَلَائِكَةَ) رواه مسلم.

قال العلماء : أصلُ المُباهاةِ المفاخَرةُ، والمعنى: يُظِهرُ فَضلَكُم لهم ويُرِيهم حُسنَ عَملِكم، ويُثنِي عَليكُم عِندَهُم؛ وذلك لعِظَمِ شَأنِهم؛ حيْث أقْبَلوا عليه سُبحانه وتَعالَى، فاسْتَحقُّوا بذلك الثَّناءَ عليهم في الملأِ الأعلى، كما في حَديثِ الصَّحيحينِ: (وإنْ ذَكَرَني في مَلأٍ ذَكَرْتُه في مَلأٍ خَيرٍ منهم).

**** *** ****

قال أحد الباحثين : المقصود بكلمة الامتنان : التقدير والشكر لما يتلقاه الفرد من أشياء جيدة في الحياة، سواء أكانت هذه الأشياء مادية أو غير مادية، يمكنك الامتنان لأجل وجود المال والمنزل والسيارة، كما يمكنك الامتنان لأجل وجود الشعور بالرضا وراحة البال والاطمئنان والأمان. يُعبّر الكثير منّا عن امتنانه بقول "شكرا" لشخص ساعدنا أو قدّم لنا هدية.

قلت : إذا كان هذا في تعاملك مع مخلوق مثلك فكيف بتعالمك مع ربك جلا وعلا حيث امتنَّ عليك بنعم لا قدرة لك على إحصائها وعلى رأسها الإيمان الذي هو أساس كل خير وأصل كل فضيلة والدافع لكل عبادة .

خلال إحدى الدراسات، طلب اثنان من علماء النفس، هما الدكتور "روبرت إيمونز"، والدكتور "مايكل إي ماكولو" من جامعة ميامي، من جميع المشاركين كتابة بضع جمل كل أسبوع حول أحداث حياتهم. كتبت المجموعة الأولى عن أشياء كانوا ممتنين لها حدثت خلال الأسبوع، أما المجموعة الثانية فكتبوا عن الأشياء التي كانت تزعجهم وتُشعِرهم بالضيق، المجموعة الثالثة كتبوا عن الأحداث التي أثرت عليهم بشكل عام ومحايد مع عدم التأكيد على كونها إيجابية أو سلبية، وبعد 10 أسابيع، كانت المجموعة التي دونت أشياء تُعبر عن الامتنان أكثر تفاؤلا وشعروا بتحسن في حياتهم، أيضا لاحظ الباحثون أن هذه المجموعة

مارست أيضا تمارين رياضية أكثر وكان لديها معدل زيارات أقل للأطباء من أولئك الذين ركزوا على أسباب الانزعاج والضيق في حياتهم.

وفي المقابل قال أحد الباحثين : الإحساس بالاستغناء عن الله، قد يراود حتى أولئك الذين يبالغون في العبادة، بل وهؤلاء إن لم تكن عبادتهم قائمة على العلم به، يكونون أكثر عرضة لهذا الأمر، حيث كلما ازدادت عبادته، يغدو شعوره يزداد بكونه أشبه بملاك منزه منه بإنسان، وأنه ما دام لا يعصيه فهو في غنى عنه.

والشعور بالاستغناء عن الله له سببان:

إما بسبب الغفلة عن الله التي تصيبنا بسبب البعد عنه، وهذا هو الأكثر غالبا؛ **وإما بسبب جهلنا بالله سبحانه وتعالى**، فإن الجهل بالله سبحانه وتعالى قد يورث في نفس الإنسان شعورا بالاستغناء عنه، ربما لهذا السبب كان العلم بالله سابق على عبادته والتقرب إليه. ورحم الله القائل:

للَّه نورٌ أن أردّت بلوغَه فاسكُبْ دمُوعَ الشّوقِ في الخلواتِ

قُمْ نادِ ربّك وادعُوه ليثبّتكَ فهُو المجيبُ وسامعُ الدعوات

**** *** ****

في بعض الأحيان يشعر الإنسان بالرضا سواء كان الموقف سيء أو خير و يجب أن يقوم بذكر الله ويحمده ويشكره على السراء والضراء ذلك الأمر يجعل الإنسان قريب جدا من الله ويجعل الله قريب جدا منك فأنت عبده الصادق الرضي.

سبحانك يا ربنا لك الحمد والشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

اللهم لك الحمد والشكر ملء السموات والأرض وما بينهما وملء ما شئت من بعد .

اللهم لك الحمد والشكر عدد ذرات الكون في السموات والأرض وما بينهما وما وراء ذلك ، بعدد ما سبح الملائكة الحافين حول عرشك الكريم ، وبعدد ما سبح من شيء يسبح بحمدك ولا نفقه تسبيحهم. سبحانك اللهم وبحمدك.. سبحانك رب العرش العظيم.. والحمدلله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع الخامس

قوله تعالى : (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ)

لا زلنا نتابع بعون الله تعالى وتوفيقه الآيات التي تمدح المؤمنين والمؤمنات واليوم نتكلم عن آية هي من أجلِّ وأعظم الآيات ؛ والقرآن كله عظيم وخاصة فيما يتعلق بالإيمان بالله تعالى والتعريف بصفاته العلى وأسمائه الحسنى.

قوله تعالى:﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ**﴾ [التوبة ١٠٠] .

الآية تتحدث عن أهل السبق في الإيمان ، وللأسف كثير من الناس يظن أن هذه الآية خاصة بالصحابة ،فيظن أن هذا ثناء على الصحابة وأما بقية الأمة فلا علاقة لها بهذا النص الكريم وليس الأمر كذلك .

ولنبدأ بالتأمل في الآية من أولها (**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ**) حتى هذا النص الأمة لها فيه نصيب ولها فيه مدخل ، نحن نتساءل هل السبق زماني ؟ يعني فترة معينة لأناس معينين ؟ أم هو معنوي يمكن لكل الناس أن يتسابقوا فيه ؟ الآية تشير إلى أن السبق يمكن لكل فرد أن يتسابق فيه، لكن الصحابة يبقى لهم الحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر ؛ أي لكل زمان سابقون ،فكان الصحابة هم السابقون في زمانهم ، الصحابة المذكورون في الآية الكريمة : (**مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ**) هم السابقون للصحابة الآخرين.

وقد اختلف أهل التفسير في تحديد من هم السابقون الأولون من المهاجرين والانصار ؟

أما السابقون الأولون من المهاجرين : فقال بعضهم : السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين حضروا بدرا .

وقال بعضهم: هم الذين شهدوا صلح الحديبية وفيه بيعة الرضوان، ويرى بعضهم أنهم الذين أسلموا قبل بدر ، أي حصر السابقين فيمن هاجر قبل بدر .

ويرى بعضهم : أن الآية تشمل كل من أسلم منذ البعثة النبوية وإلى بيعة الرضوان في السنة السادسة ولعل هذا هو الأوفق والأليق بكرم الله تعالى .

**** *** ****

وأما السابقون الأولون من الأنصار : فقال بعضهم : هم من شهد بيعة العقبة الأولى وكان عددهم ستة فقط ، **وقال بعضهم**: هم من شهد بيعة العقبة الثانية وكان عددهم أكثر من سبعين .

ويرى بعضهم أن الأمر أوسع من ذلك : لعله إلى فتح مكة بدليل قوله تعالى :﴿**لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ**﴾ [الحديد ١٠] .

فمعنى الآية : أنها فاصلة بين من آمن وهاجر وأنفق وقاتل ، قبل بيعة الرضوان أو قبل فتح مكة ، لا يستوي هؤلاء بمن جاء بعدهم ،والحديث (**لا هجرة بعد الفتح**) وهناك نص نبوي واضح يرجح السابقين الأولين من الأنصار ، وهذا النص الصريح هو؛ لما حصل خلاف بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف في إحدى المعارك، كأن خالد بدرت منه كلمات في حق عبد الرحمن لما قال تفتخرون علينا بأيام سبقتمونا بها للإسلام ! قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (**لا تَسُبُّوا أصْحابِي؛ فلوْ أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ**) رواه البخاري .

نرى هنا أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نَهى عن سَبِّ الصَّحابةِ رِضْوانُ اللهِ عليهم، والمَقْصودُ بـ«**أصْحابي**» فالخِطابُ للمُتأخِّرينَ منهم، فأعلَمَهم أنَّهم لنْ يَبلُغوا مَرْتَبةَ المتقدِّمينَ ؛ فهو يخاطب خالدا رضي الله عنه ومن أسلم بعده ، ونعلم أن خالدا أسلم بعد بيعة الرضوان في العام السابع ، فقال (**لا تَسُبُّوا أصْحابِي**) إذن الحبيب صلى الله عليه وسلم ميز بين من شهد بيعة الرضوان وبين من لم يشهدها، والله أعلم.

فواضح أن السبق ابتداءً في الإيمان ، سواء كان إيمان المهاجرين أو الأنصار ، ويتبعه السبق في التضحية لأجل الدين، ومن هنا نقرأ في تراجم كثير من الصحابة شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنون بالمشاهد : المعارك والسرايا والغزوات أي شهد بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان ، وفتح مكة ... الى آخره ، أو شهد كذا وكذا وغاب عن كذا لأجل كذا وكذا ، مثلا يقولون غاب عثمان رضي الله عنه ، عن بدر لأنه كان يمارض زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه والا فإنه شهد المشاهد كلها.

إذن السبق ليس خاصا بالصحابة رضي الله عنهم : من ناحية الإيمان لأن باب المسابقة للإيمان مفتوح إلى قيام الساعة ، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم عن آخر الزمان كما في حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إنَّ مِنْ**

وَرَائِكُمْ أَيَّامًا، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَة "قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟! قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ). [رواه أبو داود والترمذي وغيرهما].

فهذا الذي استحق أجر خمسين يكون من السابقين الأولين في زمانه، لكن لن يدرك درجة الصحابي بالإجماع مهما أوتي من قوة في الإيمان أو قوة في الجهاد أو العلم أو.. أو .. مثلا يقولون عن أحد الدعاة أنه أسلم على يديه مائة ألف ، هل معناها سبق الصحابة ؟ لا ! هو أصبح من السابقين في زمانه، لأن الصحابة تميزوا في شيء لا يمكن أن يدركه من جاء بعدهم وهو رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ومجالسته عليه الصلاة والسلام ، حتى لو النظر الى وجهه ولو ثوان معدودة لا يعدله شيء من الأعمال الصالحة.

إذن (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ) فالصحابة فتحوا لنا باب المسابقة إلى الإيمان وهي تحتاج إلى صدق في الطلب وتحتاج الى إخلاص مع الرب والى صبر و إلى مجاهدة حتى يكون الإنسان سابق أهل زمانه في كل هذه المعاني.

ومما يستأنس به في هذا الباب : رؤيا رآها أحد الإخوة المؤذنين – أعرفه شخصيا – **في منطقة محصورة عددها قليل تقريبا حوالي (450) بيتا ، قال : "رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي : قل لفلان أنت الأول في المنطقة" وغلب على ظني أنه الأول في الصدقة ، لأنه لما بشرته بهذه الرؤيا قال أنا اكفل ايتاما في بلدي منذ كذا وكذا،** مع أن راتبه عادي جدا وليس لديه استثمارات،**وهذا يوافق قوله صلى الله عليه وسلم** : (أنا وكافلُ اليتيمِ كهاتَيْنِ في الجَنَّةِ، وقرَن بين إصبَعَيْهِ: الوُسْطى، والَّتي تلي الإبهامَ) وقوله عليه الصلاة والسلام (سبَق دِرهمٌ مِئَةَ ألفِ دِرهمٍ، قالوا: وكيف؟ قال: كان لرجُلٍ دِرهمانِ، تصدَّق بأحَدِهما، وانطلَق رجُلٌ إلى عُرْضِ مالِه، فأخَذ منه مِئَةَ ألفِ دِرهمٍ فتصدَّق بها).

أخرجه النسائي وأحمد وحسنه الأرناؤوط في تخريجه للمسند.

**** *** ****

ننتقل إلى كلمة سبق في المعنى لا شك أنكم تعلمون أن الإيمان يزيد وينقص ويتفاضل فيه أهله، الآن الإيمان لا يختلف من حيث الأصل في أركانه الستة لكن يختلف من حيث قوة اليقين، اذا ضربنا مثال بهذه الأنوار التي تضئ المكان : كلما أضفنا لها عددا زائدا من الأنوار أو المصابيح هي قابلة للزيادة ؛ وهكذا الإيمان في القلوب .

الآن نحن بينا السبق الحسي عند المهاجرين والأنصار بما ذكرنا من أهل بدر وبيعة الرضوان ...وإلى آخره ، هناك سبق آخر وهو قوة الإيمان واليقين التي ظهرت آثارها في تضحياتهم ؛ قال الحسن البصري رحمه الله قال : (والله ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بما وقر في قلبه) ربما ترى إنسانا بسيطا ليس لديه عبادات ظاهرة لكن لديه إيمان في قلبه كالجبال ، فهذا من صميم السبق وكيف يصل الإنسان إلى قوة اليقين في الإيمان التي تحتاج إلى معرفة اعمال القلوب ؛ الحب، الخوف ،الرجاء، الطمع، الخشية ، الإنابة ، الوجد ، الشوق ، الصدق ، الإخلاص ؛ فهذه المعاني هي التي تجعل المؤمن من السابقين الأولين في أهل زمانه وهذا ثناء كبير من الله سبحانه وتعالى أن يكون العبد في هذه المنزلة، والعبارة التي بعدها **(من المهاجرين والأنصار)** هذه خصوصية اختصهم الله تعالى بها لا تدرك ، يمكن الإدراك في الأجر وليس في المنزلة عند الله ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه **(إنَّ اللهَ نظرَ في قلوبِ العبادِ فوجدَ قلبَ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خيرَ قلوبِ العبادِ فاصطفاهُ لنفسِهِ فابتعثهُ برسالتِهِ ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ محمدٍ فوجدَ قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قلوبِ العبادِ فجعلهم وُزَرَاءَ نبيِّهِ يُقاتلونَ على دِينِهِ)**.

قال ابن العربي المالكي : السبق يكون بثلاثة أشياء : الصفة وهو الإيمان ، والزمان ، والمكان . وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات ، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح : **(نحن الآخرون الأولون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم**

الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غدا والنصارى بعد غد) ؛ فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه ، والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والاحتمال لوظائفه ، لا نعترض عليه ولا نختار معه ، ولا نبدل بالرأي شريعته كما فعل أهل الكتاب ، وذلك بتوفيق الله لما قضاه ، وبتيسيره لما يرضاه ; وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

**** *** ****

قوله تعالى (وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ) :أول ملحظ في الآية ان الله جعل الصحابة قدوة : في كل شئ وعلى سبيل الإطلاق بدلالة قوله (**ٱتَّبَعُوهُم**) دون تقييد لهذا الاتباع في جانب معين ؛ وهذا هو الدليل على أنهم هم الاسوة والقدوة في كل أبواب الخير بدءا من العقيدة ومرورا بالعبادات وانتهاءا بمكارم الأخلاق.

ثم قيد سبحانه الاتباع كونه (**بِإِحۡسَٰنٖ**) وقد كثرت الدعاوى في هذا الزمن فتسمع من يقول **نحن نتبع الصحابة أو السلف** وهم أسوأ الناس خلقا ومن أقل الناس عبادة.

(**بِإِحۡسَٰنٖ**) هذه قال عنها بعض المفسرين كلمة عجيبة ، قال " أي الذين أحسن الله إليهم فوقع منهم الإتباع " وهذه لها شاهد وهو قوله تعالى ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ**﴾ [الأنبياء ١٠١].

ولهذا (وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ) الاحسان هو الاتقان ومعناه الإحكام ومعناه أن يأتي الإنسان بالاعمال الصالحة على أكمل وجهها بحسب الكمال البشري وبحسب القدرة البشرية.

وملحظ آخر في الآية : الاتباع لأي شخص تقتضي التعرف عليه ؛ إذن لا بد من معرفة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، فمن لا يعرف شيئا عن سيرة النبي صلى الله عليه

وسلم ولا عن الصحابة رضي الله عنهم كيف سيتبع ، حتما لن يتبع؛ وإن اتبع لن يكون بإحسان.

ولهذا كله أردنا أن نذكر هنا بعض ما يجب علينا أن نعرفه عنهم وأن تبعهم فيه:

أولاً: الإيمان : بدليل قوله تعالى **(فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ)** [البقرة ١٣٧] أي أن من ياتي بعد الصحابة فعليه أن يؤمن بمثل إيمانهم فهذا هو المطلوب في الجانب الإيماني العقدي ، وموضوع هذه الرسالة مشحون بهذا الجانب فلا حاجة لنا في التكرار.

ومما تجدر الإشارة إليه في مفهوم الآية : أنه قد وردت آيات أخر في ذكر التابعين لهم بإحسان ودليل ذكر ما ورد في الأثر أن سيدنا عمر رضي الله عنه سمع أحد الصحابة لعله زيد بن ثابت يقرأ **(وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ)** قال له عمر : لا **(الذين اتبعوهم)** بدون واو – فهذا يدل على أنه لم يكن يعلم بوجود الواو التي ميزت ، فقد جاء في الأثر أن عمر رضي الله عنه فقال له : هكذا أقرأنيها النبي عليه الصلاة والسلام : فقال عمر ادعو لي أبياً – هو أبي بن كعب – حجة في القرآن فلما جاء وسأله عمر ؛ قال : نعم هكذا انزلت ، فقال عمر رضي الله عنه : لقد كنت أظن أننا رفعنا رفعة لا يدركها أحد بعدنا! قال له أبيٌّ رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ولها شواهد أخرى **(وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)** [الجمعة ٣] ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ...** ﴾ [الأنفال ٧٥]. ﴿**وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر ١٠].

قلت : آية الجمعة والحشر واضحة جدا لأن آية الحشر ذكرت الفقراء المهاجرين ﴿**لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ**﴾ [الحشر ٨].**ثم ذكرت الأنصار** ﴿**وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ**

وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر ٩].ثم ذكرت المتبعين لهم بإحسان ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر ١٠].

آية الجمعة ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة ٢].

ثم ذكرت ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الجمعة ٣] والمعنى لما يلحقوا بهم زمانا ؛ ولهذا قال العلماء هذه الآية يدخل فيها كل مؤمن جاء بعد الصحابة إلى قيام الساعة ، فيكون ذلك دليل على أن (**والذين اتبعوهم بإحسان**) لها شواهد أخرى وهذا دليل على فقه سيدنا أبي رضي الله عنه، ولاشك أنكم تعلمون أنه قد دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم مرة وقال : أمرت أن أقرأ عليك سورة البينة ،فقال : أو سماني الله ؟ قال اقرا على أبي ؟ وفي رواية، أو قد ذكرت ثم ؟ قال نعم فجعل ابي يبكي فرحا بهذا الكرم وهذا التشريف الإلهي،لهذا اعطي من الفقه ما أعطي من القرآن الكريم.

**** *** ****

ثانيا : ما كان عليه الصحابة من الاجتهاد في القيام بعبودية الله تعالى :

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان يصلي من الليل ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم: الصلاة الصلاة .

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه: لما اجتمع عليه أؤلئك، وأرادوا قتله قالت امرأته: إن تقتلوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن، ولهذا قال حسان رضي الله عنه: يمدح عثمان رضي الله عنه:

ضَحَّوْا بأشمطَ عنوانُ السجودِ به يُقطِّع الليلَ تسبيحاً وقرآنا

يقول عبد الرحمن بن عثمان: قلت ليلة: لأغلبن على مقام إبراهيم – أي يريد أن يصلي الليل خلف المقام – يقول: فبكرت، وسبقت إليه، فقمت أصلي، فإذا برجل يضع يده على ظهري، فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه في أيام خلافته كأنه ينحيه قليلاً، يقول: فتنحيت عنه، فقام فافتتح القرآن حتى فرغ منه، ثم ركع، وجلس، وتشهد، وسلم في ركعة واحدة لم يزد عليها، فلما انصرف قلت: يا أمير المؤمنين إنما صليت ركعة قال: (هي وتري)، سبحان الله ختم القرآن خلف المقام في ركعة واحدة.

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مع ما جرى في وقته من الفتن، والمصائب العظام، والحروب بين المسلمين؛ دخل عليه رجل من أصحابه بعد هجعة الليل، وهو قائم يصلي، فقال: يا أمير المؤمنين: صوم بالنهار، وسهر بالليل، وتعب فيما بين ذلك، فلما فرغ علي رضي الله عنه من صلاته قال: سفر الآخرة طويل يحتاج إلى قطعه بسير الليل.

وهذا ابن الزبير رضي الله عنه كان متحصناً بالمسجد الحرام، وكان المنجنيق ربما أصاب ثوبه، وهو كالغصن يصلي لا يتحرك، ولربما مرت حجارة المنجنيق بجوار أذنيه، وهو قائم يصلي لا يتحرك، ولا يفزع، ولا يلتفت؛ لأنه مستغرق في صلاته كأنه غصن شجرة.

وهذا علقمة بن قيس النخعي بات مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يقول: فنام أول الليل، ثم قام يصلي حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها، ثم أوقف.

وأما أنس بن مالك رضي الله عنه: فقد كان يصلي حتى تقطُر قدماه دماً من طول القيام.

وهذا تميم الداري رضي الله عنه من علماء الصحابة كان يصلي بالناس في زمن عمر، فكان يقرأ القرآن في ركعة إذا صلى لنفسه، ولربما بقي يردد آية واحدة حتى يصبح، وكان يردد ليلة قول الله تعالى : (**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) [الجاثية21] رددها ليلة كاملة.

**** *** ****

ثالثا : ما كان عليه الصحابة من مكارم الأخلاق :

ننتبه هنا إلى قضية مهمة وهي تعدد مواهب الصحابة أو عطاياهم الإلهية التي منحهم الله إياها وبثها فيهم بصورة مدهشة، أما كان الواجب على المسلم أن يتعرف عليهم، ولا بأس من ذكر نماذج مشرقة من حياتهم رضي الله عنهم :

من مشاهد الإيثار عند الصحابة رضي الله عنهم :

نزل عند النبي صلى الله عليه وسلم ضيف ولم يكن عنده شيءفقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**من يُضيف هذا الليلة؟**)، فقال رجلٌ من الأنصارِ: أنا يا رسول الله، فانطلَق به إلى رَحْلِهِ، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوتُ صبياني، قال: علِّليهم بشيءٍ، وإذا أرادوا العَشاء فنوِّميهم، وإذا دخل ضيفُنا، فأطفِئي السراج، وأَريهِ أنَّا نأكُل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويينِ، فلما أصبح، غدا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له : (**لقد عَجِبَ الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**) ، قال بعض المفسرين : هذا المشهد نزلت فيه الآية الكريمة (**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**) سورة الحشر (9)،هذا مشهد في الكرم قد لا يتكرر إلا نادرا..

من مشاهد الشجاعة عند الصحابة رضي الله عنهم :

وعن عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: **(بينا النَّبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم وقال: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ)** ([غافر: 28] رواه البخاري).

وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: (خطبنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فقال: أيها النَّاس، أخبروني بأشجع النَّاس، قالوا: لو قلنا أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع النَّاس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر الصديق، إنا لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشًا فقلنا: من يكون مع النَّبي صلى الله عليه وسلم لا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه، وهذا أشجع النَّاس، قال علي: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش فهذا يجؤه، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، قال: فوالله ما دنا منه إليه أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله، ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى أخضل لحيته، ثم قال علي: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ قال: فسكت القوم، فقال: **(ألا تجيبوني ؟ والله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه)**. رواه البزار وأبو نعيم في ((فضائل الخلفاء)) (181)، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (49/9): فيه من لم أعرفه.

**** *** ****

من مشاهد زهد الصحابة رضي الله عنهم:

جاء أن عمر رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تله ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حوائجك، فقال: وصله الله ورحمه كما وصلنا، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها كلها وانتهت، فرجع الغلام إلى عمر بن الخطاب فأخبره ووجده قد أعد مثلها لـ معاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل ثم تله في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إلى معاذ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في حاجتك فقال: وصله الله ورحمه، يا جارية! اذهبي إلى فلان بكذا وإلى بيت فلان بكذا وأهل بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ من البيت فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا فلم يبق في الخرقة إلا ديناران فدحا بهما إليها، هذا حظ زوجة معاذ من زوجها، ديناران، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك عمر، وقال: **(إنهم إخوة بعضهم من بعض)** رواه ابن المبارك في كتاب الزهد.

وحتى أغنياء الصحابة كانت لهم وقفات إذا جاءهم شيء من الدنيا، أتي عبد الرحمن بن عوف يوماً بطعام وكان صائماً فلما نظر إلى الطعام أمامه تذكر أشياء فماذا تذكر عبد الرحمن بن عوف؟ قال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني –يقولها تواضعاً– فلم يوجد ما يكفن به إلا بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطيت رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير مني، لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا أو قال: **ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام**، رواه البخاري.

من مشاهد ورع الصحابة رضي الله عنهم:

دخل على عمر بن الخطاب في أول خلافته فقال : يا عمر ، أوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله ، وألا يخالف قولك فعلك ، فإن خير القول ما صدقه الفعل ... يا

عمر : أقم وجهك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم ، واحب لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك ، وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم . فقال عمر : ومن يستطيع ذلك يا سعيد ؟! فقال : يستطيعه رجل مثلك ممن ولاهم الله أمر أمة محمد ، وليس بينه وبين الله أحد . عند ذلك دعا عمر بن الخطاب سعيدا إلى مؤازرته وقال : يا سعيد إنا مولّوك على أهل "حمص" فقال : يا عمر نشدتك الله ألّا تفتنّي؟ فغضب عمر وقال : ويحكم وضعتم هذا الأمر في عنقي ثم تخليتم عني !! والله لا أدعك ، ثم ولاه على "حمص "وقال : ألانفرض لك رزقا ؟ قال : وما أفعل به يا أمير المؤمنين ؟ فإن عطائي من بيت المال يزيد عن حاجتي ، ثم مضي إلى " حمص " .

وما هو إلا قليل حتى وفد على أمير المؤمنين بعض من يثق بهم من أهل " حمص " ، فقال لهم : اكتبوا لي أسماء فقرائكم حتى أسد حاجتهم . فرفعوا كتابا فإذا فيه : فلان وفلان وسعيد بن عامر ، فقال : ومن سعيد بن عامر ؟! فقالوا : أميرنا . قال : أميركم فقير ؟! قالوا : نعم ، ووالله إنه ليمر عليه الأيام الطوال ولا يوقد في بيته نار . فبكى عمر حتى بللت دموعه لحيته ، ثم عمد إلى ألف دينار فجعلها في صرة وقال : اقرؤوا عليه السلام مني ، وقولوا له : بعث إليك أمير المؤمنين بهذا المال لتستعين به على قضاء حاجاتك.

جاء الوفد لسعيد بالصرة فنظر إليها فإذا هي دنانير ، فجعل يبعدها عنه وهو يقول: **إنا لله وإنا إليه راجعون** – كأنما نزلت به نازلة أو حل بساحته خطب – فهبَّتْ زوجته مذعورة وقالت : ماشأنك يا سعيد ؟! أمات أمير المؤمنين؟! قال : بل أعظم من ذلك ، قالت : أأصيب المسلمون في وقعة ؟! قال: دخلت علي الدنيا لتفسد آخرتي ، وحلت الفتنة في بيتي . قالت : تخلص منها . وهي لا تدري من أمر الدنانير شيئا . قال : أو تعينيني على ذلك ؟ قالت : نعم . فأخذ الدنانير فجعلها في صرر ثم وزعها على فقراء المسلمين.

ولعل فيما سبق توضيح للمقصود مما كان عليه الصحابة من علو الكعب في محاسن الخلال وجميل الصفات ، ولايمكن حصر أو احصاء ما أعطوا من فضائل ومناقب، لذا قلنا (**وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ**) تقتضي معرفتهم.

كذلك يجب على النساء معرفة سيرة الصحابيات على رأسهن امهات المؤمنين وزوجات الصحابة وبنات الصحابة وأحفاد الصحابة ذكورا وإناثا وهذا باب واسع وهو من الأمور التي تقوي الإيمان وتثبت القلوب (**وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ**) [هود ١٢٠]؛ ومما يثبت القلوب قصص الانبياء وقصص الصحابة رضي الله عنهم .

**** *** ****

قوله تعالى : (رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ) رضي عنهم، بسبب ما ارتضاه منهم من مجاهدتهم وقيامهم على الصراط المستقيم هذا الرضا ظل ملازما للصحابة وكذلك من سياتون بعدهم ، وهنا قصة ؛ جاء أحد الخوارج في زمن عمر بن عبدالعزيز وأراد أن يطعن في الصحابة ، فقال له عمر بن عبدالعزيز : **(ياهذا إن الله تعالى أخبرنا أنه قد رضي عنهم فهل عندك خبر عن الله أنه قد سخط عليهم بعد أن رضي عنهم)**.

وليست هذه الآية الوحيدة:(**لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا**) [الفتح ١٨].

وفي سورة آخر البينة الآية الثامنة (**رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ**). (**وَرَضُواْ عَنۡهُۚ**) بما وهبهم من التوفيق للإيمان ورضوا عنه بما وفقهم لصالح الأعمال ولولا أنه رضي لما وفقوا لهذه الأعمال المرضية عند الله جل وعلا.

قال جعفر الصادق رضى الله عنه: (ما كان سبق لهم من الله من عناية وتوفيق، ورضوا عنه بما منَّ عليهم بمتابعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وقبول ما جاء به، وإنفاقهم الأموال وبذل المهج).

وقال الجنيد رحمة الله عليه: (الرضا سرور القلب بمر القضاء، وقال: الرضا باب الله الأعظم).وقال النصرآباذى: (ما رضوا عنه حتى رضى عنهم، فبفضل رضاه عنهم رضوا عنه).

**** *** ****

قوله تعالى :(وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) وهي الآية الوحيدة التي بدون **(من)** في كل القرآن **(جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)** إلا هذه الآية ، هذا الإنفراد في هذا التعبير يدل على ان هؤلاء السابقون الأولون في كل زمان هم أفراد في أزمانهم ، لابد أن هناك حكمة في هذا الحذف ،هي موجودة معنى لكن حذفت لفظا بلفت الانتباه **(تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا)** .

قوله تعالى(ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) [التوبة ١٠٠].الفوز في مصطلح العرب يشير إلى النجاة من مهلكة كبيرة ، ولهذا يسمون الصحراء بالمفازة ! المفازة تفاؤلا بأنه سيتجاوزها ويفوز وينجو بحياته من أسباب الهلاك، وهي كثيرة إما قاطع طريق ،إما سباع أو شدة العطش أو يضل ولا يعرف طريقه فيموت، لذا يقولون هذه مفازة ، انظر إلى وصف الفوز بأنه **(ٱلْعَظِيمُ)** وكأني بالآية تشير إلى الفوز بمعنى النجاة من فتن الدنيا ، والا ماذا بعد **(رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا)** يأتي بعدها **(ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)** فاز من فتن ومشاكل ومصائب ومصاعب كثيرة في الدنيا ، نجاه الله منها بإحسانه السابق ،اتبعوهم بإحسان أزلي سابق من الله تعالى ، ننتبه إلى هذا العطاء الإلهي للعبد المؤمن في هذه الدنيا ولعل هذا القدر يكفي.

أسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا واختم بالصالحات أعمالنا ،وبالسعادة آجالنا، وبلغنا ما يرضيك عنا ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا آتنا في الدنيا حسنه وفي الآخره حسنة وقنا عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع السادس

قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ)

من الآيات المادحات للمؤمنين والمؤمنات قوله تعالى (**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ**) [الرعد ٢٨] .

وهذه الآية ، جاءت آيات أخر مشابهة لها ، قال تعالى : (**إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ**) [النحل ١٠٦] .وقال تعالى :(**يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ**) **[الفجر ٢٧]**.

وقال تعالى : (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى**) ونحوها من الآيات.

لكن انا اخترت آية الرعد لأنها جمعت بين الإيمان والاطمئنان والذكر لله تعالى (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ) [الرعد 28-27].

تعريف الطمآنينة: الطمآنينة لها عدة معان ، منها الوثوق بالشيء أو الوثوق بالانسان ، تقول قلبي اطمأن لهذا الرجل اي وثقت به، ومن معانيها السكون (**فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ**) [النساء ١٠٣] هذا سكون بعد حركة لأنهم كانوا في حالة الخوف يصلون وهم متحركون في المعركة..

والمعنى اللائق بهذا المقام : هو اطمئنان القلب بمعنى سكونه وثقته بالرب تبارك وتعالى ، وسبب هذه الثقة وهذه الطمأنينة هو الإيمان **لهذا قال تعالى** : (**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ**) لولا إيمانهم بالله لما اطمأنت قلوبهم بذكر الله .

**** *** ****

لدينا في الآية الكريمة أربع كلمات : آمنوا – تطمئن – قلوب – ذكر الله .

نلاحظ أن الآية تكررت فيها كلمة (**تطمئن**) مرتين وفي المرتين بصيغة المضارع وهذا يدل على ان الإنسان في حاجة لاستمرارية الطمآنينة معه في سائر أحواله وتقلبته في هذه الحياة.

نحن في حاجة لهذه الثلاثة **آمنوا – تطمئن – ذكر الله** ، وهي التي ربطت بالقلب لأنه سبحانه قال لنا (**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ**) .

(**ألا**): أداة تنبيه وهي تعني تنبه أيها المستمع سيأتي كلام مهم (**أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ**) والقلوب على ثلاث درجات كلها مؤمنة، وهي: درجة الإيمان ، ودرجة الأحسان بقسميه أعني ما ورد في الحديث النبوي الشريف بأنه (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**).

الدرجة الأولى : هو اطمئنان الإيمان :ويندرج تحته شيئان : اطمئنان إلى شريعة الله و اطمئنان إلى اقدار الله تبارك و تعالى ، مادام المؤمن عرف الله بوحدانيته وبقدرته على كل شئ وعرفه بأسمائه وبصفاته وبأفعاله جل جلاله وتباركت أسماؤه، وامتلأ القلب بهذه المعاني فلا بد أن يطمئن إلى حكمة الله في خلقه وفي شريعته .

حكمة الله في تشريعاته لأن الله غني عن العالمين ، ولانه شرع ما شرع لمصلحة الإنسان ولسعادته في الدنيا والآخرة، وهذا يورثه اطمئنان إلى ما شرع الله ؛ واطمئنان اخر إلى قدر الله.. وتأمل قول الحبيب صلى الله عليه وسلم قال (**واعلَم أنَّ ما أصابَكَ لم يكُن ليُخطِئَك وما أخطأكَ لم يكُن ليُصيبَكَ، رفعتِ الأقلام وجفت الصحفُ**)، فأصحاب الإيمان المطمئن ، يطمئنون إلى شرع الله والى قدر الله.

ثم إن قدر الله ، مداره الحكمة والرحمة والعلم، فما يقدر الله على عبده من شيء إلا وهو وفق رحمته وحكمته وعلمه، بل وهذا في الكون كله .

ثم نقول أصحاب هذه الدرجة : اطمئنانهم هذا تنتج عنه عدة أعمال قلبية كالرهبة والرغبة والخشية والخوف والرجاء ، وما شاكل ذلك، وهذه عند أهل الاختصاص تسمى بالأحوال ، ليست مقامات ، لأنها تتوارد على القلب حسب ما يمر به من تقلبات وليست ثابتة.

بالمثال يتضح المقال، انت عندما تتلو القران الكريم ، كما ورد عن الحبيب صلى الله عليه وسلم أنه لايمر بأية فيها تعوذ الا تعوذ، ولا اية فيها رحمة الا وسأل ، ولا آية فيها تسبيح الا سبح،، إذن توارد هذه المعاني على القلب ، الرغبة، الرهبه والخشية ، هذه نتيجة **للاطمئنان الإيماني** الذي هو الدرجة الأولى ونحن في حاجة لهذه الدرجة بل لابد منها لنقيم عبادة الله وفق

مراده ولتثمر تلك العبادة ثمراتها ! والا فما معنى أن يصلي الإنسان ثلاثين سنة أو خمسين سنة و صلاته لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر إذن هو لم يطمئن إلى حكمة الله في إيجاب الصلاة عليه ، وما معنى أن يصلي الإنسان، وأن يقرأ القرآن يوميا أو شبه يومي ولا يظهر ذلك في سلوكه ! إذن الإطمئنان لم يأخذ حظه (**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ**) .

**** *** ****

قلت نتيجة هذه الدرجة من الاطمئنان أعمال قلبية:والآية تقول : (**وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ**) وهذه الأعمال القلبية تكون سببا في ثقتهم برحمة الله عز وجل ، هذا الاطمئنان بهذا الذكر يورث الوثوق في رحمة الله، فينشط **صاحب الاطمئنان الإيماني** إلى طاعة الله تبارك وتعالى حيث رأى لها ثمرات، هذه الطمأنينة عامل أساسي في ثبات الإنسان على إيمانه وإسلامه ، والا فإن الذي يصاب بالانتكاس ، ويتنكَّب الطريق ويترك الصراط المستقيم معناها لم يصل للاطمئنان الإيماني!

وايضا اذا نظرنا إلى الحكمة الإلهية في القدر مثلا زلزال تركيا وسوريا في هذا – العام 2023 ميلادي – الذي ليس عنده اطمئنان ايماني يشك في رحمة الله وحكمته عياذا بالله تبارك وتعالى .

وبالمثال يتضح المقال : أنت ترمي بنفسك بين يدي الطبيب ولا تسأله ماذا يفعل مهما طلب منك من أدوية وفحوصات تقول حاضر! فأنت لا تسأله عن هذه الطلبات اطمئنانا إلى خبرته وعلمه مع أنه مخلوق مثلك ، وحتى لو أمرك بأشياء انت لا تقتنع بها ، تقول حاضر !! والسبب هو طمأنينتك وثقتك بهذا الطبيب .

إذن لما عندما يفعل ربنا سبحانه وتعالى في كونه ما يشاء لا يكون هناك اطمئنان وثقة في رحمته وحكمته !!؟ إن من يعترض على هذا الفعل الرباني لا عقل له!!

إذن أصحاب الاطمئنان الإيماني في هذه الدرجة الأولى من الآية الكريمة (**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ**) لابد أن تكون هذه معاملاتهم مع الله تبارك وتعالى .

**** *** ****

الدرجة الثانية : الاطمئنان في درجته الوسطى وهم أصحاب مقام الاحسان في درجته الثانية (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ولبيان الفرق بينهم وبين الدرجة الأولى نقول : أصحاب اطمئنان الإيمان الاول قد يحتاجون إلى شيء من الدلائل في الكون ليثبت إيمانهم أو إلى شيء من التدبر لبعض معاني القرآن ليثبت إيمانهم لكن هؤلاء أصحاب الإحسان (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) لقد قذف الله في قلوبهم إيمانا به يصلون إلى مقام الشهود ، وهؤلاء هم أصحاب (**عين اليقين**) أما الدرجة الأولى يمكن أن نقول هم أصحاب (**علم اليقين**) **لأن العلم يحتاج إلى فكر وتدبر وتأمل ، لكن أصحاب الشهود الإيماني لا يحتاجون إلى هذا كله.**

بعض الناس ربما قرأ الحديث عشرات المرات لكن انظر الى قوله (فإنه يراك) هذا مقام المراقبة الذي يولّد الاخلاص والرضى والصدق والتسليم وكثرة العبودية لله تبارك وتعالى .

لله المثل الأعلى : لو جاء صباغ لدهان بيت ما ، وفي أثناء عمله جاء أحدهم وقال لصاحب هذا البيت : إن هذا العامل يأتي بمواد مزيفة ويفرغها في علب المواد الأصلية ويدهن بها البيت ، فقام صاحب البيت بتركيب كاميرا لمراقبة العامل ، إذا علم الصباغ بوجود هذه الكاميرا ماذا سيفعل ؟ سيترك التزوير وضعف الأداء بمعنى أن سيتحول إلى صادق ومجتهد في عمله.

ومن هنا قلنا هذه الدرجة سينتج عنها الاتقان في العمل والصدق في التعامل مع الله تعالى والتسليم له.

❋❋❋❋ ❋❋❋ ❋❋❋❋

إذن لا بد من استصحاب (فإنه يراك) في سائر أحوالك :

أنت تصلي تذكر (**فإنه يراك**) ؛ وأنت تقرأ القرآن تذكر (**فإنه يراك**) وأنت جالس في مجلس تتجاذب أطراف الحديث مع جلسائك تذكر (**فإنه يراك**) وقد قال تعالى (**أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ**) [العلق ١٤]. وقال تعالى : (**أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ**) [المجادلة ٧] .

إذن هذه الدرجة الثانية في الاطمئنان بذكر الله (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ) في مقام المراقبة ، في الشهود القلبي لأنه يراك، بالله عليك هل يحتاج صاحب هذا المقام لمن يقول له صل أو يقول له اقرأ القرآن أو لا تغفل؟ أم أنه تأتي هذه الأفعال لا إراديا!

لعل هذا ما وصل إليه أبو عبدالله التستري الذي رباه خاله على مراقبة الله بأن اوصاه أن يقول كل ليلة (**الله معي ، الله شاهدي، الله ناظري إلي**) قال أنا وصلت إلى درجة أنه إذا أردت أن أعصي الله لا استطيع ! لأن هذا المعنى خالط شغاف قلبه ، إذن هؤلاء أصحاب عين اليقين ،، أنتم تعرفون علم اليقين عين اليقين حق اليقين هذه درجات معلومة لديكم ،، وهؤلاء أصحاب عين اليقين فلم يحتاجوا إلى بحث فكري في قضية الوحدانية والحكمة الإلهية والقدرة الإلهية ، والتدبير الإلهي للكون ، لم يحتاجوا لهذا ، إنما هو نور قذفه الله في قلوبهم.

الآن اذا نظرت في حياة الصحابة تجد أن هذا حالهم ، لا يحتاج إلى أن ينبه في بعض أعمالهم، عندما أتاه قرار العزل سلّم الراية بدون تردد إلى أبي عبيدة بن الجراح، وقال: ما عليّ أن أقاتل في سبيل الله قائداً أم جندياً.أي: ما دام أن ذلك كله في سبيل الله فلا فرق بين أن أكون قائداً أم جندياً؛ لأنه في النهاية كله في سبيل الله، والغاية هي إرضاء الله عز وجل، سواء أرضاه في

كرسي الحاكم، أو في كرسي المحكوم، أو في كرسي القائد، أو في كرسي الجندي، ففي النهاية أنت ترضي الله عز وجل.

ثم قام يخطب في الجيش ويقول: بعث عليكم أمين هذه الأمة، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) ولم يقل: بماذا فُضِّل عليّ؟ ولم يقل: ما الذي فعله أبو عبيدة قبل أن آتي من العراق؟ ولم يخبر أنه قد ظُلم بهذا القرار، مع أن كل الجيش كان يحبه حباً لا يوصف، لكن لو كان قال هذا الكلام لأحدث فتنة، لكنه لا يريد ذلك.

الأعجب من ذلك لما توفي خالد رضي الله عنه كان الوصي على بناته وأولاده، هو عمر رضي الله عنه فإذا كان في نفسه شيء تجاه عمر رضي الله عنه، لم يكن ليجعله وصيا عليهم.إذن قضية أن تصل لهذا المقام ، وهو شهود درجة الاحسان في درجته الثانية هذه الا بنور من الله تعالى ودورنا أن نتضرع إلى الله أن يعطينا هذا المقام الآن تأمل هذا الاطمئنان ، فالاطمئنان الاول يختلف عن الثاني .

**** *** ****

قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى:واعلمْ أن طمأنينة الإيمان تزيد وتنقص، وطمأنينة العيان – يعني مقام الإحسان –، **إن حصلت، تزيد ولا تنقص.**

فمواد أسباب زيادة طمأنينة الإيمان أشياء متعددة:

فمنهم من تزيد طمأنينته بالتفكر والاعتبار :

إما في عجائب المصنوعات وضروب المخلوقات، فيطمئن إلى صانعٍ عظيم القدرة باهر الحكمة.

وإما بالنظر في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وباهر علمه، وعجائب حكمه وأسراره، وإخباره بالأمور الغيبية السابقة والآتية، مع كونه نبياً أمّياً. فإذا تحقق بمعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تحقق بمعرفة الله، واطمأن به؛ لأنه الواسطة العظمى، بين الله وبين عباده. ومنهم من تزيد طمأنينته بموالاة الطاعات وتكثير القربات، كالذكر وغيره.

ومنهم من تزيد طمأنينته بزيارة الأولياء أحياء أو ميتين. ومادة الأحياء أكثر، ونور طمأنينتهم أبهر، لا سيما العارفين، وفي الأثر: (تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين).

**** *** ****

الدرجة الثالثة : الاطمئنان في درجته العليا : وهم أصحاب مقام الاحسان في درجته الأولي (أن تعبد الله كأنك تراه) وهذا الكلام من الحبيب عليه الصلاة والسلام ليبث فينا جملة من معاني الإيمانية ، **ولعل المراد:**

أن أصحاب هذا المقام جل معلوماتهم إنما هي عن الصفات الإلهية ، ربما أصحاب الدرجة الأولى والثانية يكون عندهم شيء من التفكر في الأفعال الكونية لكن هؤلاء عملهم في الصفات الإلهية والأسماء الإلهية، يعني كأن الكون في ناحية وهم في ناحية اخرى !! لهذا أصحاب هذا المقام يتولد عندهم الشوق والحب لله تعالى. بما يسمى بمقام الفناء **(الا بذكر الله تطمئن القلوب)** هؤلاء لا يلتفتون إلى ذكرهم ، إنما يلتفتون إلى ذكره إياهم.

وهذا كله عند أصحاب المقام الثالث أصحاب الدرجة العليا لا يشعرون بذلك.

لو تأملنا في عظمة مخلوقات الله أنت ماذا تسوى في هذا الكون ؟ انت ذرة في هباء بل الكرة الأرضية كلها ذرة في هباء، فكم حجمك بالنسبة للكرة الأرضية وكم حجم الكرة بالنسبة للمجرات المجموعة الشمسية وغيرها، انت تقول عندي ذكر وعندي صلاة ! أين كل هذا من تلك العظمة؟ لكن من رحمة الله وفقك ونسب إليك العمل، خلع عليك ومدحك – خلع

عليك اي البسك حللا جميلة – الذي يلتفت لهذا المعنى يرى أن كل ما يصدر منه من أعمال صالحة، إنما هي من الله تبارك وتعالى ،كل شيء بيده أنت صحتك بيد الله ، عقلك بيده ، فكرك بيده ، روحك بيده ، انت كلك ظاهرك وباطنك بيد الله ،فاذا عملت صالحا علمت أنه من الله تعالى وحده ،(**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله**) درجة.

**** *** ****

من الآيات التي ذكرتها في أول الدرس؛ قصة إبراهيم عليه السلام، لما طلب من الله أن يريه كيف يحيي الموتى (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قلبي**).

نحن قد انتهينا من بيان موضوع الإيمان واليقين، بعضهم يأتي في هذه الآية فيظن السوء بأن الخليل شك في قدرة الله ، وهذا لا يليق بالمؤمن العادي فكيف بنبي ،وكيف بالخليل ! قالوا إن الخليل عليه السلام، أراد أن ينتقل من الرؤية القلبية إلى الرؤية العينية ، وأراد أن يتحقق من بلوغه درجة الخلة ! فلا يأت أحدهم ليقول لك لابد من الوصول إلى درجة اليقين كما وصل الخليل عليه السلام! الخليل وصل لليقين قبل أن يسأل هذا السؤال وقبل أن يطلب هذه الرؤية ، (**رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ**) ،سأل عن الكيفية وليس عن القدرة .

قال الإمام الطبري : واختلف أهل التأويل في سبب مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموت؟ فقال بعضهم: كانت مسألته ذلك ربه، أنه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير، فسأل ربه أن يريه كيفية إحيائه إياها مع تفرّق لحومها في بطون طير الهواء وسباع الأرض ليرى ذلك عيانا، فيزداد يقيناً برؤيته ذلك عياناً إلى علمه به خبراً، فأراه الله ذلك مثلاً بما أخبر أنه أمره به. (**قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [البقرة ٢٦٠].

يأخذ رأس الحمامة فينادي ياحمامة تعالي ! فتأتي أعضاء الحمامة وريش الحمامة من هذه الجبال فتتركب الحمامة وهو ممسك برأسها (**أرني كيف**) رآها رأي العيان ، وهكذا مع كل الطيور.

بعضهم ظن أنها أربعة جبال،لا لم يقل أربعة جبال، بل أربعة طيور (ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا) ليس معروفا عدد الجبال، إذن الخليل أراد أن يرى – فما راءٍ كمَن سمعا – وحتى هذا يعتبر دون ما عليه الخليل عليه السلام .

**** *** ****

نحن قلنا هذه الدرجات الثلاث في الطمأنينة كلها مندرجة تحت الإيمان ولكن بعضها أعلى من بعض، نحن لم نتكلم عن القلوب ، تكلمنا عن هذه الدرجات ، والا فإن القلوب شأنها مختلف قلنا هي ثلاث كلمات – إيمان ، اطمئنان، ذكر لله – كلها في القلب ، والقلوب متفاوتة قال بعض العلماء القلوب أربعة: قلوب عوام وقلوب مؤمنين وقلوب علماء ، وقلوب اهل الشهود ، وكل واحد من هذه الأربع ، لابد أن يكون له حظ من هذه الطمأنينة .

اما قلوب العوام فهمهم إن يذكروا الله فيؤثر هذا الذكر في قلوبهم ، ليشعر براحة وانشراح وألطاف إلهية كما لو أنه صلى .

وأما القلوب المؤمنين : فهذه لا تلتفت إلى الذكر اللساني بمعنى لا تنظر إلى كثرته وقلته وانما تلتفت الى تأثيره في القلب . **وأما قلوب العلماء ،** فهم الذين يجدون لذتهم وحلاوتهم في تدبر آيات القرآن الكريم.**وأما القلوب أهل الشهود** فقد تكلمنا عنهم في الدرجة الثالثة في درجات الإحسان.

وفي الختام نلخص حال كل واحد من أصحاب هذه الدرجات:

فأصحاب الدرجة الاولى : يكون ذكرهم تسبيح وتهليل ويلتفتون إلى الأجر والثواب ويكثرون منه لأجل الثواب .**وأصحاب الدرجة الثانية :يلتفون إلى الأعمال القلبية فينمُّون معاني الصدق والإخلاص وما شاكلها من صفات ذلك.وأصحاب الدرجة الثالثة :فهؤلاء لا يشعرون بأن لهم يد في الموضوع !! كما قال ابن القيم : (فعاد الذاكر مذكورا**).ما معنى ذلك ؟ معناه هذا الذي قال "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر" ،**أصبح مذكورا عند الله ، فهذا الذي عاد مذكورا لا يلتفت إلى ذكره لأنه يعلم يقينا أن الله هو الذي ذكره ثم وفقه تعالى فذكر ربه.**

(فاذكروني اذكركم) هذه فيها درجات : اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة ، اذكروني بالأعمال اذكركم بالثواب، اذكروني عند الشدة أذكركم عند الرخاء ، اذكروني بالصلاة أذكركم بالترقية.

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع السابع

قوله تعالى :(ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ)

اليوم حديثنا عن آية من أعجب الآيات في مدح المؤمنين والمؤمنات ورفعهم الإيمان إلى منزلة قد لا يتخيلها أحد السامعين وإن كانت الآية متلوة ومحفوظة ، لأن المفهوم العام للولاية يختلف عما تشير إليه الآية!

قال تعالى ﴿**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾ [البقرة ٢٥٧].

المفهوم السائد أن الأولياء هم الذين ذكروا في يونس (62-63) **(أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)**.

آية البقرة هذه أعجب!! لأن آية سورة يونس بينت ولاية المؤمن لله تعالى ، وآية البقرة بينت ولاية الله للذين امنوا ؛ والفرق بينهما كبير جدا كما سنرى إن شاء الله تعالى.

من هنا نقول أن الولاية خمسة أنواع:

الولاية الأولى: ولاية الله للمؤمنين : وقوله تعالى : **(ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ)** وقوله تعالى: **(بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ)** [آل عمران ١٥٠]. وفي سورة هود **(وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)** . **وقال تعالى (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ)** [محمد ١١].

الولاية الثانية : ولاية المؤمنين لله تعالى : قال تعالى :﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس ٦٢].

الولاية الثالثة: ولاية المؤمنين لله وللرسول صلى الله عليه وسلم : قال تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ) [المائدة ٥٥].

الولاية الرابعة: ولاية النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ، قال تعالى **(ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ)** [الأحزاب ٦].

الولاية الخامسة :ولاية المؤمنين بعضهم لبعض : قال تعالى **(وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [التوبة 71].

أعلى وأعجب هذه الولايات الخمس، هي ولاية الله للمؤمنين، **(ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)** ؛ وهي موضوع درسنا.

فما معنى ولاية الله للمؤمنين؟

التحليل اللغوي لكلمة **(ولي)** تعني القرب، والقرب يعني الحب ، يعني النصر يعني التأييد يعني الإصلاح ، الآن اذا قلنا –فلان قريب فلان– لا يأتيك الشك في أن كلا منهما سيفزع لقريبه عند الحاجة ، إن صحت العبارة.**فمعنى الله ولي الذين آمنوا** أي هو الذي يتولى رعايتهم وصيانة أمورهم وإصلاح شؤونهم خاصة الدينية.وتعني أنه قريب من المؤمنين .

هذه الولاية من الله للمؤمنين سببها إيمانهم ولهذا يجب أن يعلو الإيمان في قلبك ، كل ما سبق ذكره من حب الإيمان وزينة الإيمان وحلاوة الإيمان.إنما هي فرع عن **(ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)** ، فولايته تبارك وتعالى لهم تقتضي ما بعدها.

**** *** ****

قوله تعالى : (يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ) والناس غالبا يفهمون **(يخرجهم من الظلمات)** أن كافرا قد أسلم ! لكن **(يخرجهم)** الضمير يعود إلى (الذين امنوا) يخرجهم من الظلمات إلى النور ف هناك ظلمات كثيرة في سيرك لله تعالى ، **ومنها** :

1/ **تأتيك شكوك وأوهام فيخرجك الله منها** بأن يهديك إلى ازاحة هذه الشكوك والأوهام إما بدلالة عقلية أو دلالة قرآنية أو إشارة نبوية ، لذا لما قال الصحابة : **(يا رسولَ اللهِ إنَّا نجد في أنفسِنا شيئًا ما نُحبُّ أن نتكلَّمَ بهِ وإنَّ لنا ما طلَعتْ عليهِ الشَّمسُ قال أوقد وجدْتُمْ ذلكَ قالوا نعَم قال ذاكَ صَريحُ الإيمانِ)** أخرجه البخاري في الأدب المفرد، واللفظ له، والبزار وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

وفي رواية عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : (**جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ أحَدَنا يَجِدُ في نَفسِه، يُعرِّضُ بالشَّيءِ، لأنْ يكونَ حُمَمةً أحَبُّ إليه من أنْ يتكلَّمَ به، فقال: اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، الحَمدُ للهِ الذي ردَّ كَيدَه إلى الوَسْوَسةِ، قال ابنُ قُدامةَ: ردَّ أمْرَه، مكان: ردَّ كَيدَه**). أخرجه أحمد (2097)، والنسائي وأبو داود وإسناده صحيح.

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**لا يَزالُ النَّاسُ يَتَساءَلُونَ حتَّى يُقالَ: هذا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فمَن خَلَقَ اللَّهَ؟ فمَن وجَدَ مِن ذلكَ شيئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ**) رواه مسلم.

هناك آثار تبين أن العلاج بناءا هذا الحديث في تلاة قوله (**ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ**) [البقرة ٢٨٥].

2/ هناك شبهات من الظلمات تطرأ على الناس : ولعلي قد بينت ذلك في دروس سابقة وقد ذكرت أنه يجب على المؤمن الا يلتفت الي الشبهة ابدا ولايفكر في الرد عليها لماذا ؟

لأنك آمنت بالله عز وجل، انظر لهذا الرد المفحم لكل شبهة مهما عظمت! فأنت آمنت بالله والله بيده كل شيء؟ وبيده أمر الدنيا والآخرة ؟ وبيده العقول والأفكار، نعم، الاسلام حق ؟ نعم النبي صلى الله عليه وسلم حق؟ نعم ، الآخرة حق؟

إذن عندما يأتي أحد بشبهة انت بمجرد أن تفكر في الرد عليها فقد أصبحت في صفه وكأنك تؤيد أن تطرح مثل هذه الشبهة !! هذا من الظلمات التي يهدي الله المومنين إلى كيفية الخروج منها.

3/ يخرجهم من ظلمات النفس : كالحسد ، الكبر ، الاعجاب ، الحقد ، المكر ، حب الدنيا ، الكراهية ... إلى اخره..

يبحث المؤمن في كتاب الله لما يشعر بمثل هذه الأمراض القلبية ولا بد أن تحدث بحكم الطبيعة البشرية ، وهذا هو الفرق بين المؤمن والكافر أنه لا يمتلئ بالحسد بل يبحث عن علاج للمرض، لا يمتلئ غيظا ولا حقدا على انسان بل يفكر في علاج من الكتاب والسنة ، كذلك الكبر والإعجاب وغيرها..

مهما أوتيت انت من أعمال مثل الصلاة والصوم والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تأتيك نفسك فتقول من مثلك ، انت افضل من هؤلاء .

ذكر الإمام السبكي؛ أنهم كانوا في سفر أو في حج ،فقام في الثلث الاخير ومعه ابنه للصلاة والبقية كانوا نائمين الى اذان الفجر ، فقال ابنه لم يقم من هؤلاء غيرنا انا وانت ! فقال له :(يا بني ليتك لم تقم) ، يعني أن هذه الكلمة ضيعت عملك لأنك رأيت نفسك أفضل من النائمين.

وهذه الظلمة تطرأ على الإنسان من كبر أو اعجاب ، تتعاون فيها النفس مع الشيطان لإيقاع الإنسان فيها ولا يبرأ منها إلا القليل ، إذا لم يراجع الإنسان حساباته مع نفسه بين الحين والآخر وهو لا يشعر ، لذلك يخرجهم .. يخرجهم ، عملية تنظيف مستمرة كمن به جرح غائر ،يحتاج إلى تنظيف مستمر.

لذا قال شبخنا إبراهيم الزين حفظه الله تعالى :(لا تعتاد على مسجد واحد حتى لا ترسم لنفسك صورة في أذهان الآخرين بأنه لا يغيب عن الصلاة وحتى إذا تغيب، لا يقول في نفسه ماذا سيقول عني الآخرون).

وهذا سفيان الثوري رحمه الله تعالى – كان يسمى امير المؤمنين في الحديث وكان من شدة خوفه من الله يتبول في بعض الأحيان دما – قال عن نفسه (**كلما اجتثثت الرياء من قلبي نبت بلون آخر**).

وهذا سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : حدثت له مشكلة مع زوجته فقالت له: انت مرائي !قال لها: والله ما علم حقيقتي من أهل العراق الا أنت.

ولهذا كان من المعاني الدقيقة لقوله تعالى (يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ) أنت لا تستطيع لنفسك نفعا ولاضرا، بل الله هو الذي أخرجك (يخرجهم) إذن أنت تثق في الله أكثر من ثقتك في نفسك.

وأيضا **(يُخۡرِجُهُم)** جاءت بالمضارع فيخرجهم من ظلمات الشبهات وأمراض النفس والشكوك والأوهام ، عملية مستمرة.

**** *** ****

قوله تعالى (مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ) تكرر أربع مرات :

آية البقرة ، (ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ) وهي التي نتكلم في معانيها.

وآية الحديد (9) في قوله تعالى **(هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ)**.

وآية الطلاق (11) في قوله تعالى **(رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ)** [الطلاق ١١].

وآية الأحزاب[41 – 44] : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا).

ولنبين ما ترمي إليه كل آية منها فيما يتعلق بالخروج من الظلمات إلى النور :

فآية البقرة : بينت أن الإخراج من الظلمات إلى النور يدخل فيها عموم المؤمنين وقد سبق بيان نوع الظلمات وكيف يخرج منها المؤمن .

وآية الطلاق :(لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) بينت الخصوص من المؤمنين بدلالة زيادة وصفهم بأنهم **عملوا الصالحات** ومع ذلك يحتاجون للإخراج من الظلمات إلى النور، ووجه الخصوصية أنهم يبحثون في دقائق عيوب النفس كالرياء الخفي والحسد العابر والكبر المؤقت.

آية الحديد بينت حال خاصة الخاصة وهم الصحابة لأن قوله تعالى (لِّيُخۡرِجَكُم) خطاب للصحابة وهؤلاة الذين تلقوا التربية الخاصة من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا أهل الخوف والخشية من الله تعالى في سائر أحوالهم .

فنجد مثلا ما ورد عن عبد الرَّحمنِ بن شِماسةَ المهْريّ – التابعي جليل – قال (**حَضَرْنا عَمْرَو بنَ العاصِ، وهو في سِياقَةِ المَوْتِ، يَبكِي طَوِيلًا، وحَوَّلَ وجْهَهُ إلى الجِدارِ، فَجَعَلَ ابنُهُ يقولُ: يا أبَتاهُ، أما بَشَّرَكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بكَذا؟ أما بَشَّرَكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بكَذا؟ قالَ: فأقْبَلَ بوَجْهِهِ، فقالَ: إنَّ أفْضَلَ ما نُعِدُّ شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، إنِّي قدْ كُنْتُ علَى أطْباقٍ ثَلاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وما أحَدٌ أشَدَّ بُغْضًا لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِنِّي، ولا أحَبَّ إلَيَّ أنْ أكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ منه، فَقَتَلْتُهُ، فلوْ مُتُّ علَى تِلكَ الحالِ لَكُنْتُ مِن أهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإسْلامَ في قَلْبِي أتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قالَ: ما لكَ يا عَمْرُو؟ قالَ: قُلتُ: أرَدْتُ أنْ أشْتَرِطَ، قالَ: تَشْتَرِطُ بماذا؟ قُلتُ: أنْ يُغْفَرَ لِي، قالَ: أما عَلِمْتَ أنَّ الإسْلامَ يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ؟ وأنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَها؟ وأنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ؟ وما كانَ أحَدٌ أحَبَّ إلَيَّ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، ولا أجَلَّ في عَيْنِي منه، وما كُنْتُ أُطِيقُ أنْ أمْلأَ عَيْنَيَّ منه إجْلالًا له، ولو سُئِلْتُ أنْ أصِفَهُ ما أطَقْتُ؛ لأنِّي لَمْ أكُنْ أمْلأُ عَيْنَيَّ منه، ولو مُتُّ علَى تِلكَ الحالِ لَرَجَوْتُ أنْ أكُونَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ ولِينا أشْياءَ ما أدْرِي ما حالِي فيها، فإذا أنا مُتُّ فلا تَصْحَبْنِي نائِحَةٌ، ولا نارٌ، فإذا**

دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرابَ شَنًّا، ثُمَّ أقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ ما تُنْحَرُ جَزُورٌ ويُقْسَمُ لَحْمُها، حتَّى أسْتَأْنِسَ بكُمْ، وأَنْظُرَ ماذا أُراجِعُ به رُسُلَ رَبِّي) رواه مسلم. لم يقل عندي جهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قال عندي قيام ولا صيام ولا تلاوة قرآن .. الخ.

وأما آية الأحزاب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) فهي بيان لوسيلة مهمة من وسائل الخروج من الظلمات إلى النور وهي الإكثار من ذكر الله تعالى.

قال السعدي في تفسيره: يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرا كثيرًا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك، أن يلازم الإنسان، أوراد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب. وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح. **(وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أي:** أول النهار وآخره، لفضلها، وشرفها، وسهولة العمل فيها.**(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)** أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم، وثنائه، وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان، والتوفيق، والعلم، والعمل، فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين، تستدعي منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله، الذي لطف بهم ورحمهم، وجعل حملة عرشه، أفضل الملائكة، ومن حوله، يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا فيقولون: **(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمْ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِي السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** .

❋❋❋❋ ❋❋❋ ❋❋❋❋

إذن (ليخرج الذين آمنوا) ،لابد أن ننتبه لها في سيرنا إلى الله تعالى ،مثال قد يحدث لبعض الناس يظن أنه بريء من الكبر تماما فيوضع في موقف ما فمثلا : يرى بعض الناس أمامه فيدور في خلده أنه دونه ، أو يسيء إليه إنسان يراه دونه ، أو تطلب منه زوجته أو أحد والديه فعل شيء لم يعتد أن يفعله فيتأفف فحينها يعلم أن فيه شيء من الكبر..

ومما يحسن ذكره في هذا المقام قصة الشيخ الشعرواي :

عندما ذهب الشعراوي رحمه الله ، إلى جامعة القاهرة كان فيها طلبة ملحدين ايام الشيوعية في مصر لما انتهى من الرد على الملحدين فرح الطلبة الاسلاميين بردوده واعجبوا به جدا ، فلما ركب سيارته تفاجأ بأن الطلاب يرفعون سيارته ويمشون بها ،السائق كان ابنه مع ذلك مشوا بسيارته وهم يرفعونها ،فنهاهم عن ذلك ،، ولما مشى قليلا أوقف السيارة عند أحد المساجد ودخل في وقت غير وقت الصلاة، فلما تأخر ذهب ابنه عبد الرحيم ليتفقد أمره فوجده يغسل الحمامات فلما سأله ! قال الشيخ : يا ابني لما رفع الطلبة السيارة وقع في نفسي شيء فقلت لابد من اخراجه!!

هذه هي المتابعة ،انظر ، الله ألهمه بأن يفعل هذا الفعل **(يخرجهم من الظلمات إلى النور)** فلاتظن إن نفسك إذ تبرأت عيب شفيت ،هذا هو الابتلاء نفسه ،﴿**أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ**﴾ [العنكبوت ٢] هل تظن ان الابتلاء هو مرض وديون وفقر فقط ؟! بل هذا أشد لأنه ابتلاء في الدين لهذا(يخرجهم) لابد أن تستمر معك في كل لحظة مستندا إلى **(الله ولي الذين آمنوا)** ومادمت مؤمنا فلك مواصفات خاصة ،واجعل تحت **(ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)** خطوطا ، وكم مرة ذكر الله **(الذين آمنوا)** لتنظر لصفات الذين آمنوا ؛ ثم أتى بضدها مباشرة **(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ**

أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) تنبه لرفعة مكانة المؤمنين حيث أن الله تولى مهمة إخراجهم من الظلمات إلى النور وانظر إلى الكفرة ماذا فعلت بهم الطواغيت.

**** *** ****

قال تعالى في حق المؤمنين **(ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)** جاءت بالإفراد إشارة إلى التوحيد ، وقال في حق الكفار **(أَوۡلِيَآؤُهُمُ)** بالجمع إشارة إلى الشرك ولأنهم تتنازعهم مشارب شتى .. مصالح دنيوية، الشيطان، الأوثان، الشهوات، الملذات ونحوها .

الله عز وجل يخرجك منها بأنواعها ، شهوة جمع المال ، شهوة النساء، شهوة الطعام، بعضهم يسرف في الطعام ويتوسع في المباحات اذا لم يمسك الإنسان نفسه شهوته تهلكه ، مثلا يقول لا أستطيع أن أترك مستوى معيشيا معينا ، أو انتقل من وظيفة إلى اخر أدنى مستوى ، وهذا معناها انك راعيت نفسك وشهواتك اكثر من اي شي آخر ، اذا سلم لك دينك. **كما قال الإمام أحمد رحمه الله :** إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس ، حتى نلقى الله ، الإمام أحمد لبس نعله 16 سنة ولم يبدله ، اشتهى ذات مرة طعاما فطبخوه له بسرعة وأحضروه ، فقال من أين أتيتم بالحطب ؟ قالوا: من بيت ابنك صالح ! فقال **(ردوه انا لا آكل من بيت صالح) لأن ابنه يعمل مع الخليفة ، وفي مرة أهداه أمير المؤمنين هدية –مبلغ من المال– فرده للخليفة وبعد سنة ذكر أولاده وقال: اتذكرون المال الذي أعطانا له الخليفة ؟ مضى على رده سنة كاملة ولو اخذناه لكان نفد الآن ونحن لم نحتج اليه).**

مجاهدات الأئمة لشهواتهم في هذه الناحية ذكر منها الغزالي الشيء الكثير في كتابه الإحياء وكذلك غيره ممن تحدثوا في تراجمهم ،فقالوا إن موضوع الزهد في الدولة العباسية كان ردة فعل لكثرة الترف الذي كان يعيشه بعض الأغنياء فظهر مايسمى بالزهد والا فالصحابة لم يكن لهم مثل هذه الأشياء أصلا .

(**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ**) انظر كم ظلمة مرت بك وكم نور كان سببا في شفائك منها، الناس ينظرون الي الشفاء أنه يكون للأمراض العضوية فقط! لا لا ، فالجهل مرض شفاؤه العلم والدليل الحديث **(لا سألوا إذْ لم يعلَموا ، إنَّما شفاءُ العيِّ السُّؤالُ)** أخرجه أبو داود (336)، والدارقطني، كذلك الكفر مرض ، شفاؤه الإيمان والاسلام ، وقس على ذلك ، فالإيمان شفاء لكل الامراض النفسية والقلبية والعقلية والفكرية فهو شفاء للأمراض المنحرفة، كل هذا يدخل ضمن إطار **(يخرجهم)** هذا الاخراج الوصول إليه الرجوع الي كتاب الله ، فهل لما تعرض لأحدنا مشكلة معينة يرجع لكتاب الله؟ قلما يحدث ذلك ، لذا تظل الأمراض موجودة ، ألا يعرف آكل الربا أن هذا داء في ماله لماذا لايبحث عن علاج في القرآن.

العجيب أن الآية ختمت ببيان حال الكفار (**أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ**) لكن لم تبين ختام أهل الإيمان، **قال بعض المفسرين :** ليعملوا دون بحث عن ثواب وانما يعملون الصالحات ابتغاء وجه قال تعالى ﴿**وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ**﴾ [الرعد ٢٢] أي :صبروا ابتغاء وجه ربهم أي تعظيما له سبحانه. فاذا تغافل الإنسان موضوع الثواب وانما كان ابتغاؤه للملك الوهاب أتاه الثواب في الدنيا وفي الآخرة ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا**﴾ [النساء ١٣٤].

الآية الثانية التي تبين ولاية الله للمؤمنين وولاية الرسول صلى الله عليه وسلم، وولاية المؤمنين بعضهم لبعض (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ**)[المائدة ٥٥]. إذن هنا تكتمل الصورة، انت تحتاج إلى نصرة على نفسك ،تحتاج الى إن ينصرك الله على نفسك تحتاج إلى مجتمع يعينك على طاعة الله عز وجل تحتاج إلى قدوة هذه الآية جمعت كل هذا ، إنما وليكم الله ورسوله لأنه صلى الله عليه وسلم هو الاسوة والقدوة.

تأمل في قوله (**الذين آمنوا**) ليس أي مؤمن بل : (**ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ**) جاء في تفسيرها أثر ضعيف بأن عليا كان يصلي فجاءه سائل سأله فخلع خاتمه ورماه إليه وهو راكع لكن هذا الأثر لا يتفق مع سياق الآية؛ لأن الركوع لو كان المراد به هنا الصلاة لكان في الكلام تكرار حيث قال يقيمون الصلاة ثم ذكر الركوع فلهذا الاليق بالمقام أن الركوع هنا بمعنى أن تذل نفسك لله تعالى، الركوع عند العرب يعني الانحطاط ، كما قال الشاعر: **لا تهين الفقير علّك أن ... تركع يوما والدهر قد رفعه**

فمعنى البيت أن الله عز وجل قد يرفع الفقير يوما وانت منحط فالدهر يتقلب بأهله.

إذن الركوع معناه خاضعون خاشعون لأوامر الله فجمعت هذه الكلمة الامتثال لأوامر الله تعالى كلها ، وبالنظر للصلاة انت راكع معناها ممنوع من الحركة فإخراج الخاتم ورميه، كلها حركات خارج الصلاة ... إذن ولاية الله للمؤمنين وولاية الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين، وولاية المؤمنين بعضهم لبعض ، بها تكتمل مسيرتك إلى الله تبارك وتعالى .

**** *** ****

الموضع الثامن

قوله تعالى :(أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ)

من الآيات التي تمدح المؤمنين والمؤمنات أنه موصوفون **بالإيمان الحق** ، وذلك في الآيات الواردة في سورة الانفال [٢-٤] قال تعالى (**إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ**).

سبب نزولها : عندما اختلف الصحابة رضي الله عنهم ، في كيفية تقسيم غنائم بدر فالله عز وجل أجل حل مشكلة توزيع الغنائم إلى حين ، فقد أبعده تماما قال تعالى ﴿**يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ**

ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال ١] ، الاختلاف الذي صار بينكم إصلاحه أعظم خطرا من معرفة كيفية توزيع الغنائم .

قال ابن جزي : كان الصحابة يوم بدر على ثلاث فئات ، فئة كانت تحرس النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وفئة دحرت الأعداء ؛ وفئة حرست الغنائم؛ وزعمت كل فئة أنها أولى بالغنائم.. فالله صرف عنهم توزيع الغنائم وقال لهم :(**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**) ثم بين من هم المؤمنون حقا.

من باب الاستطراد نقول إن الله تعالى لم ينزل الآيات التي تبين توزيع الغنائم الا بعد أربعين آية ، في الآية الأولى تكلم عن الغنائم ثم في الآية رقم واحد وأربعين قال ﴿**وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ**﴾ [الأنفال ٤١]. هذا كله ليلفت الانتباه إلى أهمية معرفة صفات المؤمنين إيمانا حقا.

الحق لغة : الثابت الذي لا يجوز إنكاره ، ومنه قولهم: القرآن حق.

وفي اصطلاح أهل المعاني : هو الحكم المطابق للواقع، أي أن الشيء الذي في ذهنك يكون موافقا للواقع، ويأتي بمعنى الشيء الثابت الذي لا يتزحزح ولا يتزلزل ولا تؤثر فيه الاغيار .

وهو من المعاني التي يتمسك بها جميع الناس لأنه الموافق للفطرة وفيه مصالح العباد.

**** *** ****

بعض معاني كلمة الحق في القرآن الكريم :

ولفظ (الحق) ورد في القرآن الكريم في ثلاثة وثمانين ومائتي (283) موضع على معان عدة، نذكر منها[1]:

جاء بمعنى الله سبحانه، من ذلك قوله تعالى: {ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض} (المؤمنون:71). قال مجاهد وغيره: الحق هو الله عز وجل.

وجاء بمعنى القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: {فقد كذبوا بالحق لما جاءهم} (الأنعام:5). قال البغوي وغيره: القرآن. ونحوه قوله سبحانه: {حتى جاءهم الحق} (الزخرف:29). يعني: القرآن، كما قال الشوكاني وغيره .

وجاء بمعنى الإسلام، من ذلك قوله تعالى: {وقل جاء الحق} (الإسراء:81). قال القرطبي: يعني دين الله الإسلام. ونحوه قوله سبحانه: {ليحق الحق} (الأنفال:8). قال القرطبي: أي: يظهر دين الإسلام ويعزه.

وجاء بمعنى العدل، من ذلك قوله تعالى: {ويعلمون أن الله هو الحق المبين} (النور:25). قال ابن كثير: أي: وعده ووعيده وحسابه هو العدل، الذي لا جور فيه. ونحوه قوله سبحانه: {فاحكم بيننا بالحق} (ص:22). قال الطبري: فاقض بيننا بالعدل .

وجاء بمعنى التوحيد، من ذلك قوله تعالى: {فعلموا أن الحق لله} (القصص:75). قال ابن كثير: أي: لا إله غيره. ونحوه قوله سبحانه: {له دعوة الحق} (الرعد:14). قال ابن عباس رضي الله عنهما: {دعوة الحق} لا إله إلا الله. وقال الطبري: عنى بالدعوة الحق، توحيد الله، وشهادة أن لا إله إلا الله .

[11] - نقلا عن مقال : لفظ (الحق) في القرآن – إسلام ويب.

وجاء بمعنى الصدق، من ذلك قوله تعالى: (قوله الحق) (الأنعام:37). قال البغوي: أي: الصدق الواقع لا محالة، يريد أن ما وعده حق كائن. ونحوه قوله سبحانه: (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) (البقرة:176). قال الشوكاني: أي: بالصدق.

وجاء بمعنى وجوب العذاب على الكافرين، من ذلك قوله تعالى: (ولكن حق القول مني) (السجدة:13). أي: وجب العذاب مني لهم.

وجاء بمعنى الحق الذي يضاد الباطل، من ذلك قوله تعالى: (ذلك بأن الله هو الحق) (الحج:6). أي: إنه سبحانه هو الحق الذي لا شك فيه، وأن من سواه باطل. ونحوه قوله سبحانه: {ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق} (الأنعام:62).

**** *** ****

وفي هذا المقام لا بد لنا أن نعرف أن أهل الإيمان الحق يتميزون عن المؤمنين بصورة عامة وهم أهل الخصوص من بين المؤمنين، **لهذا عندما سأل رجل الحسن البصري رحمه الله : أمؤمن انت؟ قال رحمه الله : إن كنت تسأل عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر ، فأنا مؤمن ، أما اذا كنت تقصد الإيمان المذكور في الاية (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)** فأنا لا أدري ، لأنه لو قال بأنه من أهل الإيمان الحق يكون قد قطع على نفسه بالجنة، وهذا غير ممكن لأنه أمر غيبي.

إذن الإيمان الحق لابد تكون فيه هذه الصفات الخمس المذكورة في الآية الكريمة والتي سنشرحها لاحقا إن شاءالله .

وجاء في السنة ما يشير إلى الإيمان الحق : روى الطبراني وغيره عن الحارث بن مالك الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : **(يا حارث كيف أصبحت ؟ أو كيف أصبحت**

يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، اعلم ما تقول – أو انظر ما تقول – فإن لكلّ قولٍ حقيقةً ، فما حقيقة إيمانك ؟ قال : يا رسول الله : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون ، وكأني أسمع أهل النار يتعاوون فيها ، فقال صلى الله عليه وسلم : عبدٌ نوّر الله قلبه ، يا حارث : عرفت فالزم ... ثلاثاً)[1] .

لهذا قال ابن عباس كلاما مختصرا جدا عن أهل الإيمان الحق : (تبرؤوا من الكفر والشك) ، اظنه يقصد بالكفر كفر النعمة، والشك في قوة اليقين وليس الشك في أصل الايمان ؛ فمن يتبرأ من الكفر والشك فهذا أصبح من اهل الإيمان الحق.

ثم تأمل إن الذي قال (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) هو الله ، وهذه شهادة لهذه الفئة وليس المقصود بهم فقط الصحابة، بل يجب على كل مسلم أن يتصف بهذه الصفات الخمس.

وبعض أهل القراءات يقرأ **(أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ)** ثم يقف ، ثم يقرأ **(حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)**.

ثم إن كلمة **(ٱلْمُؤْمِنُونَ)** بالتعريف تفيد الاختصاص، وقال بعض المفسرين أن معنى **(أولئك هم المؤمنون حقا)** هو خبر ، كما قال في الإخبار عن الكافرين في سورة النساء **(أولئك هم الكافرون حقا)**.

ثم في الإخبار بأن من اتصف بهذه الصفات ، الله تعالى قد امتدحه واسبغ عليه هذه النعمة وهذه الشهادة العظمي بأنه من أهل الإيمان الحق.

---

[1] - الحديث ضعفه العراقي في تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين ، كما ضعفه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة .

ولهذا فإن صاحب الإيمان الحق لايمكن إن يتزحزح مهما عرضت عليه الفتن كما في الحديث قال صلى الله عليه وسلم : (تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ) رواه مسلم[1].

نحن في هذا الزمن بالذات في حاجة لهذا الإيمان الحق لكثرة الفتن التي تعرض على القلوب وعلى الأفكار وعلى الحواس كفتنة العين بالنظر الحرام والنظر إلى العورات فتنة الاذن في سماع الحرام وللاسف تلك الفتن منتشرة في كل مكان وفي كل وقت كما لا يخفى.

---

[1] - قال العلماء في شرحه :

قوله : (تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ) أي عَرْضَ الحصيرِ(عُودًا عُودًا)؛ قيل: عُودًا: بضمِّ العينِ؛ بمعنى أنَّ الفِتنَ تُلصَقُ بعَرْضِ القلوبِ؛ أيْ: بجانبِها، كما يَلصَقُ الحصيرُ بجنبِ النائمِ ويُؤثِّرُ فيه بشدَّةِ لصقِه به، وقيل: بفتحِ العينِ؛ ومعناه: تُعادُ الفِتنُ على القلبِ وتُكرَّرُ، والعَوْدُ: تَكرارُ الشيءِ.

قوله : (فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها) استجابَ لها وخالَطَها، واستقَرَّتْ في قلبِه، وحلَّتْ فيه محلَّ الشرابِ كما يَستقِرُّ الماءُ بالأمعاءِ، قوله : (نُكِتتْ فيه نُكْتةٌ سوداءُ) تُرِكُ في قَلبِ صاحِبِها نُقطةٌ وعلامةٌ سوداءُ مِن أثَرِ تلك الفتنةِ، فلا يزالُ هكذا حتى يَسْوَدَّ قلبُه كلُّه مِن جميعِ جو انبِه.

قوله : (وأيُّ قلبٍ أنكَرَها) فلم يَستجِبْ لها، وعَمِل على إنكارِها بالقلبِ أو اللِّسانِ أو اليدِ، (نُكِتتْ فيه نُكْتةٌ بيضاءُ) تُرِكَ في قلبِ صاحِبِها نُقطةٌ وعلامةٌ بيضاءُ أثرًا لهذا الإنكارِ.

قوله : (حتى يصيرَ القلبُ أبيضَ) وهو الذي كثُرتْ فيه العلاماتُ البيضاءُ مِن أثرِ تكرُّرِ إنكارِه لتلك الفِتنِ، (مِثلَ الصَّفَا) وهو الحَجَرُ المَرْمَرُ الأملَسُ الذي هو في غايةِ البياضِ والصَّفاءِ، مِن شِدَّتِه على عَقْدِ الإيمانِ، وسلامتِه مِن الخَلَلِ، وأنَّ الفِتنَ لم تَلصَقْ به، ولم تُؤثِّرْ فيه كالصَّفا، (لا تضُرُّه فتنةٌ ما دامتِ السمواتُ والأرضُ) جعَلَ اللهُ لهذا القلبِ بصيرةً يَرى فيها بنورِ اللهِ فلا يَختلِطُ عليه الحقُّ والباطلُ.

قوله : (والآخَرُ أَسْوَدُ) وهو القلبُ الذي كثُرتْ فيه العلاماتُ السوداءُ مِن أثرِ تكرُّرِ استجابتِه لتلك الفتنِ، (مُرْبَدًّا كالكُوزِ مُجَخِّيًا) والرُّبْدةُ لونٌ بينَ السَّوادِ والغُبْرةِ، فأصبَحَ القلبُ أسْودَ كالرَّمادِ، وكالإناءِ المائلِ المنكوسِ لا يَستقِرُّ فيه شيءٌ، ولا يَعلَقُ به خيرٌ ولا حِكمةٌ، فيَخْلو ويَفرَغُ عمَّا أُودِعَ فيه مِن المعارفِ ومحاسنِ الأخلاقِ والآدابِ.

قوله : (لا يَعرِفُ معروفًا، ولا يُنكِرُ منكَرًا) لا يُميِّزُ بينَ المعروفِ والمنكَرِ، ويَخلِطُ بينَهما قصدًا وعمدًا، (إلَّا ما أُشرِبَ مِن هواهُ) إلَّا ما يَتَّبِعُ فيه هواهُ أنْ يَجعَلَ هذا معروفًا فيَفعَلَه، وهذا منكَرًا فيُنكِرَه، وإن خالَفَ تمييزُه هذا القواعدَ التي يَنطلِقُ منها الحقُّ والباطلُ. (نقلا عن موقع الدرر السنية – الموسوعة الحديثية).

**** *** ****

شرح موجز لصفات أهل الإيمان الحق التي وردت في السياق الكريم:

قال تعالى :(**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**).

الصفة الأولى: (ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) ما معنى (**وَجِلَتْ**) ؟ يعني خافت وارتعدت ، والسبب هو (**ذُكِرَ ٱللَّهُ**) ؛ وجاءت" ذُكر " مبني لغير معلوم، فمن الذاكر ؟ قد تكون أنت ، فهل إذا ذكرت الله يوجل قلبك ؟ وربما يكون الذاكر لله شخص آخر أنت تسمعه ربما مؤذنا أو انسانا يذكر الله بالتهليل والتكبير.

وربما شخص خاطبك انت بقوله " اتق الله" بسبب خطأ وقعت فيه!!بعض الناس لو خوطب بهذه العبارة (**اتق الله**) ربما تأخذه العزة بالإثم ويظن أنه فوق أن ينصح بهذه النصيحة ، لقد قيلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه! هل أنت افضل من عمر ؟! وقيلت للصحابة .

إذن إذا ذكر الله أيا كان مصدر الذكرفإن قلب المؤمن يوجل.

مما يحكى في سيرة الخليل عليه السلام ، الذي كان الموحد الوحيد في فترة من الفترات في بلده – و ربما على ظهر الأرض – فيحكى ان الله تعالى أمر ملكا إن ينزل إلى الأرض ، ويذكر الله تعالى في حضرة الخليل عليه السلام، فنزل الملك وقال : الله أكبر ، فطرب لها ابراهيم طربا كبيرا، وفرح فرح شديدا ! وقال له ماذا قلت ؟! قال لن أعيدها إلا أن تعطيني نصف ما تملك !قال: لك نصف ما أملك ! قال : الله الكبر ، قال أعدها علي قال لن أقولها إلا أن تعطيني كل ما تملك! قال لك كل ما أملك ، قال : الله اكبر ، هذا قلب عجيب..

الآن ذكر الله عند كثير من الموحدين لا يهم! التلفاز شغال في محاضرة ،أو اليوتيوب او الأذان، أو درس ديني، أو محاضرة ، وهو لا يستمع !

هناك شيء اسمه وصال القلب بالرب، اذا حصل الوصال، فإن الذكر يستفزك ، لذا جاءت مبني لغير معلوم ،يستفزك (**ذُكِرَ ٱللَّهُ**) لهذا قال :(**وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ**) ، ننتبه للعبارة (**إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ**) يعني في كل مرة، متى ما ذكر الله وجلت قلوبهم، عملية الوصال تجد الانسان ينتبه ،لله المثل الأعلى إذا عندك طفل يحب مقطع معين سواء انشودة او لحن جميل، عندنا تشغله بهذا المقطع الذي يحبه يترك الألعاب ويتوقف للاستماع إليه بل احيانا حتى لو كان يبكي يترك البكاء.

**** *** ****

جاء في التفسير الوسيط ما نصه : والمعنى: إنما المؤمنون الصادقون الذين إذا ذكر اسم الله وذكرت صفاته أمامهم، خافت قلوبهم وفزعت، استعظاما لجلاله وتهيبا من سلطانه، وحذرا من عقابه، ورغبة في ثوابه، وذلك لقوة إيمانهم، وصفاء نفوسهم، وشدة مراقبتهم لله- عز وجل- ووقوفهم عند أمره ونهيه..

وقد جاء التعبير عن صفاتهم بصيغة من صيغ القصر وهي «إنما» ، للإشعار بأن من هذه صفاتهم هم المؤمنون الصادقون في إيمانهم وإخلاصهم، أما غيرهم ممن لم تتوفر به هذه الصفات، فأمره غير أمرهم، وجزاؤه غير جزائهم.

قال الفخر الرازي: (فإن قيل: إنه- تعالى- قال هاهنا: وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وقال في آية أخرى: **(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ)** فكيف الجمع بينهما؟

قلنا: الاطمئنان: إنما يكون عن ثلج اليقين، وشرح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل: إنما يكون من خوف العقوبة – ولا منافاة بين هاتين الحالتين – بل نقول: هذان الوصفان اجتمعا في آية واحدة وهي قوله- تعالى: **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ**

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ) والمعنى تقشعر الجلود من خوف عذاب الله، ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند رجاء ثواب الله) انتهى.

**** *** ****

الصفةالثانية: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا) : الصفة الأولى بينت الذكر عموما والثانية جاءت خاصة بالقرآن – لأن القرآن أفضل أنواع الذكر – **(تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُ)** أيضا مبني لغير معلوم قد تكون التلاوة خارج الصلاة أو خلف الإمام أو مع المذياع متى ما سمع شخصا ما يتلو آيات من القرآن زادته إيمانا ، قال تعالى ﴿**وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ**﴾ [التوبة : ١٢٤- ١٢٥] آية واحدة وتأثيرها في القلوب يختلف، قلوب زادتهم إيمانا وقلوب أخرى زادتهم رجسا! لماذا ؟ لأن القلوب التي زادتها إيمانا معها أصل الايمان ، والقلوب الأخرى معها أصل الرجس، وهو النفاق أو الكفر.

اذا كان في قلبك اصل الايمان ومعك محبة الله ، محبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، الشوق إلى الجنة ، الخوف من النار الآية الكريمة ،تزيدك إيمان معناها انت تزداد إيمانا هذه ،قال أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص.

لذا قال أحد المفسرين : أى أن من صفات هؤلاء المؤمنين أنهم إذا قرئت عليهم آيات الله أى: حججه وهي القرآن زادتهم إيمانا، أى: زادتهم قوة في التصديق، وشدة في الإذعان، ورسوخا في اليقين، ونشاطا في الأعمال الصالحة، وسعة في العلم والمعرفة.

**** *** ****

الصفة الثالثة : (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) أي يثقون في وعد الله ويصدقون بوعيده، والتوكل هو تفويض أمرك إلى شخص آخر للقيام به نيابة عنك ،فمثلا اذا أردت أن تبيع سيارة ووكلت معرض سيارات ليبيعها لك بسعر السوق، أنت لا يمكن أن توكله الا وانت تثق فيه،، لله المثل الأعلى انت لما تقول دعاء الخروج **(بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولاقوة إلا بالله)** أخرجه أبو داود والترمذي أو الرواية الأخرى **(بسمِ اللهِ، آمَنتُ باللهِ، اعتصَمتُ باللهِ، توكَّلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ)** حسنه ابن القيم في الوابل الصيب.

ما معنى توكلت على الله؟ اي يارب ثقة بك اعتمدت عليك لتقوم بشؤوني كلها..

لما تقول **(توكَّلتُ على اللهِ)** اذا لم يكن في قلبك كل تلك الثقة لن يكون توكلك صحيحا ، لا تكن كلمة تجري على اللسان ولا تفقه معناها أو ليس عندك الإيمان الذي بمستواها،اذا لم تقبل في وظيفة،هل توكلت على الله لتتوظف ام ترضى بالنتيجة أيا كانت سواء قبلت ام لم تقبل ؟! نرجع للمثال لنفترض أن صاحب المعرض ارجع لك سيارتك وقال لم يجد لها مشتر هل تقول له كذاب ؟! أنت بداية وثقت به فلابد أن ترضى بالنتيجة.

ولهذا قال ابن رجب رحمه الله تعالى (حقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه).

ولابد مع التوكل من الأخذ بالأسباب كما نص على ذلك العلماء وفي الحديث المشهور **(لو توكلتم على اللهِ حقَّ توكُّلِه لرزقكم كما تُرْزَقُ الطيرُ تَغْدُوا خِماصًا وتَرُوحُ بِطانًا)** أخرجه أحمد الترمذي وابن ماجه.

قد يقول بعض الناس : لا يجب علينا الأخذ بالاسباب مثل هذه الطيور التي خرجت من وكرها ورزقت ! والرد عليه: انت لم تنتبه بأنها أخذت بالأسباب والدليل أنها (تغدو) أي لم تجلس في وكرها ، وهذا عين الأخذ بالأسباب وهو خروجها من الصباح، ولذا قال: **(تَغْدُوا)**

أي تخرج في الصباح الباكر ؛ وهي لا تعرف أين الرزق ولا كمية الرزق ولا كيفية الوصول إليه.

فالمطلوب منك أن تأخذ بالأسباب بظاهرك وإن يكون وقلبك مع مسبب الأسباب جل جلاله وتباركت أسماؤه، وهذا باب كبير.

**** *** ****

قال سعيد بن جبير: (التوكل جماع الإيمان) قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 22] **فهو حال المؤمن في جميع الأحوال والأحيان.**

- **ففي مقام العبادة: قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾** [هود: 123].
- **وفي مقام الدعوة: قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [التوبة: 129].
- **وفي مقام الرزق قال الله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** [الطلاق: 2، 3].
- **وفي مقام الحكم والقضاء قال الله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** [الشورى: 10].
- **وفي مقام الجهاد: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [آل عمران: 159].
- **وفي مقام الهجرة والسفر: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** [النحل: 41، 42].

•وفي مقام العهود والمواثيق: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: 66].

•وفي كل ما يقوله الإنسان ويفعله ويعزم عليه يتوكل فيه عليه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3][1].

تنبيه : إن هذه الثلاث صفات في الآية كلها صفات قلبية :﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال 2] هذه الثلاثة هي رؤوس ومفاتيح ، بقية الأعمال القلبية؛ الحب الخوف الخشية الإنابة الطمع إلى آخره.ثم أتي بصفتين من الصفات الظاهرة وهما إقامة الصلاة والإنفاق (**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**) [الأنفال 3] قالوا الثلاثة الأول كانت باطنة قلبية ، بينما الأخيرتين: الصلاة عبادة بدنية والإنفاق عبادة مالية.

الصفة الرابعة: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) توقفنا كثيرا عند إقامة الصلاة – في دروس سابقة – هناك فرق كبير بين من يقيم الصلاة وبين من يؤدي الصلاة! من يقيم الصلاة يخشع فيها يكثر من ذكر الله فيها يطيل الأركان فيها يطمئن فيها، يتعلق قلبه بربه فيها ، باختصار كما قال ابن القيم :(**الإقبال على الله هو لب الصلاة**) فهل عندما تصلي تكون مقبلا على الله أم أن قلبك يجول في كثير من الأفكار البعيدة عن الذكر وعن الصلاة ؟!

[1] - هذه المقامات نقلتها عن مقال بعنوان : التوكل على الله طريقك إلى السعادة - للدكتور شريف فوزي سلطان – موقع شبكة الألوكة الشرعية.

ينبغي علينا أن ننتبه لقضية مهمة لها تأثير كبير في الخشوع في الصلاة وفي إقامة الصلاة قال تعالى (**قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ**) قال بعدها (**وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ**) فالصلاة دائما مقرونة بالزكاة إلا في موضعين وقع التفريق بينهم: هذا موضع والآخر في قوله تعالى (**وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ**) قال العلماء أتى بصفة الإعراض عن اللغو أي أنهم يمسكون ألسنتهم عن كل كل كلام لا فائدة منه ، لأنه كلما كثر اللغو بين الصلوات ، كلما قل الخشوع والعكس بالعكس،فكل كلام فارغ له تأثير في قلبك وله تأثير في الصلاة.

وهل تعلم أن هذه الصفات الثلاث – الوجل عند الذكر وزيادة الإيمان عند التلاوة والتوكل – لها تأثير في القلب ، وفي المعارف الإلهية، ولا أبالغ إن قلت أن المعارف الإلهية مبنية على هذه الصفات القلبية لأن من يضعف توكله ويضعف خوفه من ربه ويضعف تأثره بالقرآن لا يمكن أن يقول أنا عارف بالله! لأن حياته كلها يخالط الناس ولا يخلو بربه ولا يتأثر بكلام ربه ويقول أنا عارف بالله، فحاله ينبئك عما في ضميره!

إذن ننتبه اذا أردت تكون من أصحاب المعرفة بالله يجب أن تنتبه لهذه الصفات الثلاث، بل تدخل الصفة الرابعة وهي إقامة الصلاة ، قال صلى الله عليه وسلم (**واللهِ، إنِّي لأَعلَمُكم باللهِ عزَّ وجلَّ، وأَخْشاكم له**) متفق عليه ؛ والآية التي في سورة يونس تعلمك بعظمة ما في قلبه صلى الله عليه وسلم من العلم والخشية ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ**﴾ [يونس ٦١] فهذه الآية تخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم وتبين أن لديه خصوصية عجيبة جدا جدا ، قال بعض المفسرين النبي صلى الله عليه وسلم شأنه لا يخرج عن الدعوة إلى الله ولا عن مناجاة الله؛ ثم خاطب من سواه صلى الله عليه وسلم (**وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ**

تُفِيضُونَ فِيهِۚ) فهذه الآية لها علاقة بموضوع المعرفة بالله وتلك الصفات ، فخشوعك في الصلاة يكون على قدر معرفتك بالله قال صلى الله عليه وسلم (**وجعلت قرة عيني في الصلاة**) ، **قرة عينه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ؛ لأنه أعلمنا بالله! فإذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل ، هل قرة عينك في الصلاة؟! قال العلماء كل مسلم تكون قرة عينه في الصلاة على قدر معرفته.**

**** *** ****

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها، وقد ذكر الله عز وجل (**والخاشعين والخاشعات**) في صفات عباده الأخيار، وأنه أعد لهم مغفرة وأجراً عظيماً.

وَقَدْ عَلَّقَ – سُبحانَهُ – الْفَلاحَ بَخُشُوعِ الْمُصَلِّي فِي صَلاتِه، فَمَنْ فَاتَهُ خُشُوعُ الصَّلاةِ لَمْ يَكُنْ من أهلِ الْفَلاحِ، وَيَسْتَحِيلُ حُصُولُ الْخُشوعِ مَعَ الْعَجَلَةِ والنَّقْرِ في الصلاة، بل لا يَحْصُلُ الْخُشُوعُ إلا مَعَ الطُّمَأنينةِ، وَكُلَّما زادَتْ الطمأنينةُ ازدَاد خُشُوعًا.

وهناك أسبابٌ يُرجَى لمن فعلها أن يُرزَق الخشوع في الصلاة:

وأول طريق الخشوع يَبدأ من قبل أداء الصلاة، فهذه الرحلة الإيمانية للصلاة تبدأ من حين سماع الأذان فهو يحمل الدعوة للفلاح **(حي على الفلاح)**، والفلاح يعني السعادة في الدنيا والآخرة فيُقبِل المسلم إلى الصلاة لأنّه لا شيء يوازي هذا الفلاح.

ثم إنّ المرحلة الثانية من مراحل هذه الرحلة المباركة يتمثل في الوضوء فهذه القطرات التي تتساقط معها الذنوب والسيئات تذكيرٌ آخر بالاستعداد للصلاة.

ثم محرك آخر لهذا الخشوع يتمثل في استشعار الأجر العظيم المتمثل في الذهاب إلى المسجد، فخطوة ترفع درجة وأخرى تحط خطيئة، فكم من الحسنات المكتسبة! وكم من السيئات المكَفَّرة!!

ثم قبل الصلاة يأتي تذكير ثانٍ بـ(**حي على الفلاح**) عند إقامة الصلاة فتنهض الهمة قبل الجسم، وهكذا لكي يُقبل الإنسان إلى الصلاة وهو في أتم الاستعداد لها.

ومن أعظم أسباب الخشوع في الصلاة تدبر ألفاظ الصلاة وما يتلى من الآيات، (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر: 21].

ومن أعظم أسباب الخشوع: استشعار عظمة الله جلاله، فأنت في الصلاة واقف أمام الله تناجيه وتدعوه، تعبده وتستعين به وتسبحه بـ"سبحان ربي العظيم" في ركوعك فتصفه بالعظمة، و"سبحان ربي الأعلى" في سجودك، فتصفه بالعلو، فهو سبحانه العلي الأعلى المستوي على عرشه –جل جلاله– فتفكر أيها المسلم أنّك في هذا الموضع –أعني: موضع السجود– حين تضع جبهتك على الأرض وتذل نفسك لخالقك أتعلم أن هذا الموضع –هو موضع العزة والارتفاع والقرب– وصدَق إمام الخاشعين صلى الله عليه وسلم: (**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**)[1].

**** *** ****

الصفة الخامسة: قال تعالى (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) قلنا الانفاق هو العبادة المالية هذا لا يقصد به الانفاق المالي لأن قوله **(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ)** وإن كانت هذه الآية في المال ولكن ذلك يؤخذ ويُعتبر بأنواع من الدلالة أن الذي رزق الله تعالى العبد قد يُرزق الجاه فيُنفق من هذا الجاه فيكون يشفع للناس وما إلى ذلك، وقد يُرزق العلم فيبذل هذا العلم للناس وينتفعون به؛ فالعلم رزق من الله – تبارك وتعالى – والجاه رزق من الله تعالى وهكذا مما رزق الله تعالى فالعبد يُنفق ويبذل ولا يبخل بشيء من ذلك، فهذا الإنفاق أسبابه كثيرة والمنفق أنواعه وصنوفه كثيرة،

---

[1] - **وقد وفقني الله وكتبت كتابا ضخما بعنوان (المجلي عن روحانيات المصلي) فصلت فيه الخشوع مع كل ذكروكل حركة في الصلاة - وهو منشور في موقع صيد الفوائد.**

وكذلك هؤلاء الذين يُنفق عليهم أهل الإنفاق أهل الاستحقاق، هؤلاء كُثر، فهو يبذل ويُقدم ويرجو ما عند الله –تبارك وتعالى– في ذلك كله ولا يرجو منهم جزاء ولا شكورا.

**** *** ****

ناحية أخرى في الآية فهم بعض أهل العلم فهم منها أنه لا يُشرع أن يُنفق الإنسان كل ما في يده (وَمِمَّا) لأن من تبعيضية ، وقد ذكر الشاطبي –رحمه الله– تفصيلاً في هذا، وأن ذلك يختلف باختلاف الناس، فمن كمُل يقينه بأن الله –تبارك وتعالى– بيده العِوض والأجر يُعجل له ما يُعجل في الدنيا، ويُدخر ما يُدخر في الآخرة، فهو عظيم الثقة واليقين إذا أنفق كل ما في يده فإنه لا يلتفت ولا يتطلع إلى الناس، فمثل هذا يُنفق لو أنفق كل ما في يده فلا يكون بذلك ملومًا، ولا يكون فعله معيبًا، واستدل على ذلك: **بفعل أبي بكر رضي الله عنه لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالنفقة لما دعا النبي ﷺ فقال: ما تركت لأهلك؟، قال: تركت لهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على هذه النفقة، أنفق كل ما يملك، وجاء عمر رضي الله عنه بنفقة أيضًا فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: ما تركت لأهلك؟، قال: تركت لهم مثله، يعني: أنه أنفق شطر ماله، فأقره صلى الله عليه وسلم مع أنه صلى الله عليه وسلم قال لغيره في الوصية: (الثُلث والثلث كثير) وعلل ذلك صلى الله عليه وسلم بأنه: (إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس).**

**** *** ****

وللإنفاق في سُبل الخير فضائل عديدة؛ فمن فضائله :

1– مضاعفة الأجور، قال –جل وعلا–: (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) [الحديد:18].

وقال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً) [التوبة:245]، وقال: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة:261].

2 – الصدقة برهان على قوة الإيمان، كما قال صلى الله عليه وسلم: (الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ).

3– طُهرةٌ للمال، وقف النبي على التجار فقال: (يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، يَحْضُرُ الْبَيْعَ الْحَلفُ وَاللَّغْوُ فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ).

4– المتصدق يُدعى يوم القيامة من باب الصدقة، جاء في الحديث: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُنْفِقُ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلا دُعِي فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِي مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِي مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِي مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِي مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصدّيق رضي الله عنه: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِي مِنْ هذه الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى منها أَحَدٌ؟ قَالَ: (نَعَمْ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ).

5– من فوائدها انشراح الصدر، وطيب النفس، يقول الله جل وعلا : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) [الليل:5-7].

ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ البخيلِ والمتصدّقِ، كمَثلِ رجلَيْنِ عليْهِما جُبَّتانِ من حديدٍ، من ثُديّهِما إلى تَراقِيهِما؛ فأمّا المُنفِق فلا يُنفِقُ شيئًا إلَّا سبغَتْ على جِلدِهِ، حتى تُخْفِي بنانَهُ، وتَعفُو أثرَهُ؛ وأمَا البخيلُ فلا يُريدُ أنْ يُنفِقَ شيئًا إلَا لزِقَتْ كلُّ حلَقةٍ مَكانَها، فهوَ يُوَسِّعُها فلا تتَّسِعُ).

6- من فوائدها النجاةُ من النَّار، يقول -صلى الله عليه وسلم- مخاطباً النساء: (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ)، قيل: (لماذا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (تَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ) .

7- من فوائدها أن المتصدق يعيش يوم القيامة تحت ظل صدقته إلى أن يقضى بين الناس، كما في الحديث: (كُلُّ امْرِئٍ تحت ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ).

8 - من فوائدها أن هذا العمل أحب الأعمال إلى الله، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على أخيك المسلم؛ تكشف كربا، أو تقضي دينا، أو تطرد عنه جوعا).

9- من فوائدها أن الله -جل وعلا- يتلقاها بيمينه، كما قال صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم ينفق نفقة في سبيل الله ولو تمرة إلا تلقاها الله بيمينه فينميها له كما ينمي أحدكم فلُوَّه حتى تكون مثل الجبل العظيم).

10- من فوائدها أن الله يخلف على المنفق خيرًا مما أنفق، يقول صلى الله عليه وسلم-: (ما من يوم يصبح الناس فيه إلا وملكان يناديان، يقول أحدهما: اللهم أعط كل منفق خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط كل ممسك تلفا).

11- من فوائدها أن هذه الصدقة لا تنقص الأمانة معنويا؛ بل هي تعود عليه بالخير، كما في الحديث: (ومَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ).

12 - من فوائدها أن أعمالها تجري على صاحبها في لحده، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَث: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ).

**** *** ****

ماذا لمن حقق هذه الصفات الخمس ؟ قال تعالى (لهم درجات عند ربهم) الفهم السائد أن الدرجات بالجنة ،ما المانع أن تكون في الدنيا ، كما قال ابن عطاء الله : جل الله أن تعامله نقدا فيعاملك نسيئة! أنت حققت الخوف والوجل عند سماع الآيات ، والصلاة والانفاق، هل يقول لك" انتظرني في الآخرة".

(لهم درجات) في الدنيا ، كل يوم يترقى في المعرفة بالله والمعرفة بالله لا نهائية، قال تعالى ﴿**وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ**﴾ [النجم ٤٢].

لما قال (**لهم درجات**) هناك آيات تدل على ان هناك درجات في الدنيا (وللرجال عليهن درجة) درجة القوامة او درجة الولاية الكبرى كما تسمى الإمامة الكبرى، كما تسمى في كتب الفقه ، قال تعالى (**يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ**) قال أحد المشايخ (**إن اهل العلم هم سبب في رفع درجات المؤمنين يرفعونهم درجات في المعرفة، فكأن أهل العلم كأنهم سلم يترقى بهم إلى المعرفة الالهية).**

إذن (لهم درجات عند ربهم) فهي لاتكون في الآخرة فقط بل في الدنيا كذلك..

وبناء على كل ما سبق على العبد المسلم الذي يريد أن يصل إلى درجة الإيمان الحق ان ينظر هل عنده شيء من هذه الدرجات هذا فقه يجب أن ننتبه له وهو أن يعرف الانسان حاله مع الله هل هو في زيادة أو نقص، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : (**من استوى يوماه فهو مغبون**) لعله يريد استوى يوماه في الخشوع في الصلاة وفي الذكر وفي تلاوة القرآن بل في الخشوع لله عموما ، لا بد أن تكون في زيادة ،زيادة علم على الأقل، حتى لو معلومات في الشريعة والتفسير والفقه في الحديث، لابد تكون لك زيادة ! يقول لابد أن يفقه الرجل أحواله هل هو في زيادة أو نقص ، اذا كان كل شخص يعرف أحواله الدنيوية، كيف رصيده كيف حاله في وظيفته كيف حاله في علاقاته مع المجتمع.

مثلا يقول بعض الموظفين – وهو يشعر بالحزن والألم– نحن محتاجين أن نتطور محتاجين دورة محتاجين ورشة عمل ، يقولون نحن لنا خمسة سنوات في نفس السلم الوظيفي ، طيب في الدين لماذا لم ترتفع درجات ، وكيف صلاتك ؟! هي نفس تحية المسجد عندك دقيقة ونصف أو دقيقتين ! لم تزد ولا ثانية منذ أربعين سنة !! لم لم تحزن ؟! إذن فقه أحوالك مع الله امر ضروري جدا.

**** *** ****

أريد أن أقف مع آية وردت فيها كلمة الحق ولها علاقة بالتكاليف الشرعية وتبين لك عظمة هذه التكاليف ،نحن ذكرنا بعضها وقلنا هي رؤوس الأعمال الصالحة، في سورة الجاثية ﴿**وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ**﴾ [الجاثية ٢٢] .

ابتداء ما هي العلاقة بين خلق السموات والأرض وبين الجزاء؟! ألم تنتبه إلى أن هذا يدل على عظمة التكاليف ؟ ترى أن تكاليفك ترتقي بالسموات والأرض صلاتك صومك حجك تلاوتك هل تعتقد أن لها علاقة بالسموات والأرض.

لو أخذت ورقة شجرة وتأملت فيها ماذا ترى ؟ ترى فيها عرق في وسطها يتشعب منه عروق تتصاغر إلى أن تصل إلى درجة لا ترى بالعين المجردة وقد أودع الله في هذه الورقة خاصية امتصاص الغذاء من قعر الأرض!! هذه العروق المتشعبة من جذر الشجرة إلى هذه الورقة وكيفية توزيع هذا الغذاء لا يعلمه إلا الله ويعجز البشر أن يدركوا بعقولهم هذه العملية الغذائية وهذه العروق المتشعبة في ورقة واحدة في شجرة واحدة ، فكيف بخلق السموات وما فيها من مجرات وكواكب والأرض وما فيها من جبال وحيوانات ونباتات وبشر ،كيف خلقها ، أنت عجزت عن مغرفة ما في ورقة واحدة من شجرة واحدة (**وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ**

مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) [الأنعام ٥٩].

هذه الورقة أنت ربما لا تراها شيئا ،مثلا هبت ريح وأسقطت ورقة يابسة هذه مكتوبة عند الله ، يعني ما معنى **(وخلق الله السموات والأرض)** أي أنه خلق هذه الكائنات لحكمة يعلمها بل فيها حكم بالغة وأسرار إلهية عظيمة، فكيف يدرك الإنسان ربه إذا لم يستطع أن يدرك هذه الكائنات، بهذه المعرفة وهذا التفكر يجعل الإنسان يزداد إيمانا.

ولهذا، من أجَلّ العبادات التي نحن نقصر فيها هي عبادة التفكر ، في سورة آل عمران ﴿**ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ**﴾ [آل عمران ١٩١].

ومن الأشياء المهمة حول التفكر أنه يجعلك لا تعتد بعباداتك، ولا تعجب بها، ولا يكون لها اعتبار في نفسك ، وهذا يثبت الإيمان ويزيد العبد في طاعة ربه .

**** *** ****

قوله تعالى : (لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ) : الدرجات ادخلتنا في التفكر ، اربط التفكر في ورقة الشجر أو السموات، فهذا ايضا سبب للمعرفة الإلهية.

(وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٌ) في الآخرة رزق ، قال بعضهم الدرجات جاءت في مقابل الأعمال القلبية الثلاث هذا جمع وهذا جمع **(إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ)** [الأنفال ٢] يقابلها **(لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ)**.

ثم قال **(عِندَ رَبِّهِمۡ)** ولم يقل**(عند الله)** وهذا أعظم إكرام أن يكون لهم عند ربهم هذه الدرجات، والربوبية من ألصق الصفات الإلهية بالإنسان **لأن الرب**: المربي وهو السيد وهو الخالق وهو المدبر وهو المعطي.

قالت آسيا امرأة فرعون في آخر سورة التحريم، (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) انظر لهذا التطلع **(عندك)** وهنا **(لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ)**.

إن أوتيت شيئا من الإحساس بهذه الصفات فأنت أصبحت من أهل الإيمان الحق،هذه الثلاث الصفات تقابلها درجات بالجمع ، ثم قال **(ومغفرة)** مقابل إقامة الصلاة **(الذين يقيمون)** وفي حديث ،الصلوات الخمس مكفرات، و**(رزق كريم)** مقابل **(الانفاق)** ، لأنك أنفقت ،مقابل الانفاق اعطاك ربك رزقا كريما ، كريم هنا بمعنى كثير بمعنى دائم بمعنى نفيس ولا شك أن هذه المواصفات تنطبق على رزق أهل الجنة في الجنة **(لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ)**.

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع التاسع

قوله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)

نواصل بعون الله تبارك وتعالى حديثنا عن الآيات المادحات للمؤمنين والمؤمنات ، وفي هذه الحلقة يدور حديثنا حول مدح الله تعالى إياهم بأنهم قاموا بحق كلام الله تعالى عليهم بحسن تلاوته والاتباع له فقال تعالى : **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)** سورة البقرة (121).

وقال تعالى : (**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**) سورة فاطر (29-30) . ونحوهما من الآيات.

قوله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) :

قال القرطبي : قال قتادة : هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، والكتاب على هذا التأويل القرآن . وقال ابن زيد : هم من أسلم من بني إسرائيل . والكتاب على هذا التأويل : التوراة ، **والآية تعم .**

اختلف أهل التفسير في معنى يتلونه حق تلاوته على خمسة أقوال:

الأول : يتبعونه حق اتباعه ، باتباع الأمر والنهي ، فيحللون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويعملون بما تضمنه ، قال عكرمة : أما سمعت قول الله تعالى :(**وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا**) [الشمس: 2] أي أتبعها ، وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما : **(إن حقّ تلاوته أن يحلّ حلاله، ويحرّم حرامه، وأن يقرأه كما أنزله الله عز وجل، ولا يحرّفه عن مواضعه)** ؛ وقال أبو موسى الأشعري : **من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة.**

الثاني : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله ، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها**، وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم : (**كان إذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مر بآية عذاب تعوذ**).

الثالث : قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : هم الذين يعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه.

الرابع : وقال آخرون (**يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ**): يقرءونه حقّ قراءته.

الخامس : قال الرازي رحمه الله تعالى : خامسها: أن تحمل الآية على كل هذه الوجوه لأنها مشتركة في مفهوم واحد، وهو تعظيمها، والانقياد لها لفظاً ومعنى، فوجب حمل اللفظ على هذا القدر المشترك تكثيراً لفوائد كلام الله تعالى.

وضرب الأستاذ مثلا رجلا يرسل كتاباً إلى آخر فيقرأه المرسل إليه هذرمة أو يترنّم به ولا يلتفت إلى معناه ولا يكلّف نفسه إجابة ما طلب فيه، ثم يسأل الرسول أو غيره: ماذا قال صاحب الكتاب فيه وماذا يريد منه؟ أيرضى المرسل من المرسل إليه بهذا، أم يراه استهزاء به؟ فالمثل ظاهر وإن كان الحق لا يقاس على الخلق، فإنّ الكتاب لا يرسل لأجل ورقه، ولا لأجل نقوشه، ولا لأجل أن تكيّف الأصوات حروفه وكلمه، ولكن ليعلم مراد المرسل منه ويعمل به.

وقال الأستاذ : إن الإستهداء بالقرآن، واجب على كلّ مكلّف في كل زمان ومكان، فعلى كل قارئ أن يتلو القرآن بالتدبّر وأن يطالب نفسه بفهمه والعمل به، ولا شك أن كل مَنْ له معرفة ولو قليلة باللغة العربيّة، فإنّه يفهم من القرآن ما يهتدي به، ومَنْ كان أمّياً أو عجميّاً فإنّه ينبغي له أن يسأل القارئين أن يقرأوا له القرآن ويفهموه معناه.

بل قال الأستاذ في هذا المقام: إنّني أعتقد أنه يجب على كلّ مسلم أن يقرأ القرآن أو يسمعه كلّه ولو مرّة واحدة في عمره، ومن فوائد ذلك أن يأمن من إنكار شيء منه إذا عُرض عليه أو سمعه مع التشكيك فيه.

**** *** ****

قوله تعالى: (حَقَّ تِلاَوَتِهِ) وكيف فهمها الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

قوله تعالى: (حَقَّ تِلاَوَتِهِ) هذا الوصف مبالغة في صفة اتباعهم الكتاب ولزومهم العمل به، كما يقال: إن فلانا لعالم حَقّ عالم، وكما يقال: إن فلانا لفاضلٌ كلّ فاضل.

قال السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى :أي يفهمون أسراره ويفقهون حكمة تشريعه، وفائدة نوط التكليف به، لا يتقيّدون في ذلك بآراء مَنْ سبقهم فيه، ولا بتحريفهم كلمه عن مواضعه.**ثم قال رحمه الله تعالى** : وجملة القول: إنّ هذا التعبير (**حَقَّ تِلاَوَتِهِ**) أفاد حكماً جديداً وإرشاداً عظيماً، وهو أن الذي يتلو الكتاب لمجرّد التلاوة، مثله كمثل الحمار يحملُ أسفاراً، فلا حظّ له من الإيمان بالكتاب؛ لأنّه لا يفهم أسراره ولا يعرف هداية الله فيه. وقراءة الألفاظ لا تفيد الهداية، وإنّ كان القارئ، يفهم مدلولاتها، كما يقول المفسّر والمعلّم لها؛ لأنّ هذا الفهم من قبيل التصوّر، ما التصور إلاّ خيال يلّوح ويتراءى، ثم يغيب ويتناءى، وإنّما الفهم فهم التصديق والإذعان، ممّن يتدبّر الكتاب مستهدياً مسترشداً ملاحظاً أنّه مخاطب به من الله تعالى ليأخذ به فيهتدي ويرشد.

قال صلاح الخالدي في كتابه مفاتيح للتعامل مع القرآن:

إن وقوف القارئ على تعامل الصحابة مع القرآن، واعتناءه بالمعانى والإيحاءات التى حصّلوها من الحياة فى ظلال القرآن، يعرّفه كيف تقبل القلوب الطاهرة على القرآن وتتفاعل به، فيسعى ليكون واحدا من هؤلاء.

والنماذج فى هذا كثيرة، والأمثلة عليه وافرة، نقتطف منها ما يلى:

روى مسلم وأبو داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه (أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يصلى نحو بيت المقدس، فنزلت: (**قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**) [البقرة: ١٤٤] فمر رجل من بنى سلمة وهم ركوع فى صلاة الفجر، قد صلوا ركعة، فنادى: ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم ركوعا إلى الكعبة).فهذه الرواية تدلنا على نظرة الصحابة للتوجهات والتكاليف الربانية، وعلى قلوبهم المتبوئة للإيمان وهى تتفاعل معها، وعلى الاستجابة الفورية فى التنفيذ والالتزام.

وأخرج البخارى والترمذى والنسائى وأبو داود- والرواية لأبى داود- عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: كنت إلى جنب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فغشيته السكينة، فوقعت فخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على فخذى، فما وجدت ثقل شيء أثقل من فخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم سرى عنه: فقال لى: أكتب، فكتبت فى كتف: (لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [النساء: ٩٥]، فقام ابن أم مكتوم- وكان رجلا أعمى- لما سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله: فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فلما قضى كلامه، غشيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم السكينة، فوقعت فخذه على فخذى، ووجدت من ثقلها فى المرة الثانية كما وجدت فى المرة الأولى، ثم سرى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: اقرأ يا زيد. فقرأت: **(لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ .. الآية كلها. قال زيد، أنزلها الله كلها فألحقها)** .

وروى البخارى ومسلم والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: (لما نزلت الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين، وقالوا: أينا لا يظلم نفسه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(ليس ذلك: إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول العبد الصالح: يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ)** [لقمان: ١٣].

وروى أحمد فى مسنده عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال: يا رسول الله: كيف الفلاح بعد هذه الآية: **(لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَلا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ)** [النساء: ١٢٣]، فكل سوء عملناه جزينا به- وفى رواية أخرى قال: فلا أعلم قد وجدت انفصاما فى ظهرى حتى تمطيت لها! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(ما لك يا أبا بكر؟** فقلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله وأينا لم يعمل السوء، وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: **(غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ قال: بلى! قال: فهو مما تجزون به).**

**** *** ****

قوله: (أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) أي: بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم إذا تلوا التوراة حق تلاوتها وجدوه مكتوباً فيها. فهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرورة إذا أنصفوا في التلاوة.

قال الطبري رحمه الله تعالى : وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من متبعي التوراة، وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم لأن في اتباعها اتباع محمد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وتصديقه، لأن التوراة تأمر أهلها بذلك وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوّته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم، وإن في التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم التكذيب لها.

قوله تعالى :(ومَنْ يَكْفُرْ بِهِ فاولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) والكفر بالكتاب يتحقق بتحريفه وانكار بعض ما جاء فيه ، **قال الطبري رحمه الله تعالى** : **(وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ)** ومن يكفر بالكتاب الذي أخبر أنه يتلوه من آتاه من المؤمنين حقّ تلاوته، ويعني بقوله جل ثناؤه: **(يَكْفُرْ)** يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، وتصديقه، ويبدّله، فيحرّف تأويله .

(فاولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) أولئك هم الذين خسروا علمهم وعملهم فبخسوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله واستبدلوا بها سخط الله وغضبه.

وأيضا قيل **(فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ)** لهذه السعادة، المحرومون ممّا يكون للمؤمنين من المجد والسيادة، سواء كان كفرهم بتحريفه ليوافق مذاهبهم التقليديّة، أم بإهماله إكتفاء بقول علمائهم.

**** *** ****

الآية الثانية : قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ) سورة فاطر (29) .

قوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ) أي: يُداومون على تلاوة القرآن، قال قتادة: كان مُطرِّف إذا مرَّ بهذه الآية: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللَّهِ) قال: هذه آية القراء.

وقال ابن الجوزي : في قوله: (يَتْلُونَ) قولان.أحدهما: يقرؤون.

والثاني: يَتبَّعون. قال أبو عبيدة: (وأقاموا الصلاة) بمعنى ويُقيمون، وهو إدامتها لمواقيتها وحدودها.

ومن اللطائف في قوله (كِتَابَ ٱللَّهِ) أي الذي لا ينبغي لعاقل أن يقبل على غيره لما له من صفات الجمال والجلال، ولما ذكر السبب الذي لا سبب يعادله، ذكر أحسن ما يربط به.

وقال البقاعي : وعبر في التلاوة **(يَتْلُونَ)** بالمضارع لأن إنزالها كان قبل التمام وتصريحاً بتكرار التلاوة تعبداً ودراسة لأن القرأن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(أشد تفلتا من الإبل في عقلها)** أخرجه مسلم.

وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى :"كل ما ورد في فضل أهل القرآن، فالمراد به في حق مَن عَمِلَ به، وأخلص في قراءته، وحافظ على حدوده، ورعاه حق رعايته. وقد ورد فيمن لم يعمل به، أو قرأه لغير الله، وعيد كبير، وورد أنهم أول مَن يدخل جهنم ؛ **قال شيخ شيوخنا، سيدي عبد الرَّحمن الفاسي**، بعد ذكر الحديثين في فضل حامل القرآن [1]: وهذا مقيد بالعمل، أي:

---

[1] - يعني قوله صلى الله عليه وسلم : (إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة، حين ينشق عنه القبر، كالرجل الشاحب، يقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلتك، فإنَّ كل تاجروراء تجارته. قال: فيُعطى المُلك بيمينه، والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حُلَّتين، لا تُقوّم لهما الدنيا، فيقولان: بِمَ كُسِينَا هذا؟ فيقال لهما: بأخْذِ وَلَدِكُما القرآنَ. ثم يقال له: اقرأ، واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود مادام يقرأ) أخرجه أحمد فى المسند وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وقوله صلى الله عليه وسلم (ثلاثةٌ لا يَهولُهُمُ الفزعُ الأكْبرُولا يَنالُهُمُ الحسابُ هُم على كثبٍ من مسكٍ حتَّى يفرغَ مِن حسابِ الخلائقِ : رجلٌ قرأَ القرآنَ ابتغاءَ وجهِ اللَّهِ وأمَّ بِهِ قومًا وَهُم بِهِ راضونَ وداعٍ إلى الصَّلواتِ ابتغاءَ وجهِ اللَّهِ وعبدٌ أحسنَ فيما بينَهُ وبينَ ربِّهِ وفيما بينَهُ وبينَ مَواليهِ) أخرجه الترمذي وأحمد بنحوه، والطبراني في المعجم الصغيرباختلاف يسير.

فإنَّ منزلتك عند آخر آية مما عملتَ، لا مما تلوت بلسانك وخالفتَ بعملك لأنه لو كان كذلك لا نخرقت أصول الدين، ويؤدي إلى أن مَن حفظ سرد القرآن اليوم، يكون أفضل من كثير من الصحابة الأخيار، والصالحين الأبرار فإن كثيراً من خيارهم مات قبل حفظ جميعه".هـ.

قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى : وقوله تعالى: **(وأقاموا الصلاة)** إشارة إلى العمل البدني. وقوله: **(وَأَنْفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ)** إشارة إلى العمل المالي، وفي الآيتين حكمة بالغة، فقوله: إنما يخشى الله إشارة إلى عمل القلب، وقوله: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ)** إشارة إلى عمل اللسان.

وقوله: (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم) إشارة إلى عمل الجوارح، ثم إن هذه الأشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله والشفقة على خلقه، لأنا بينا أن من يعظم ملكاً إذا رأى عبداً من عباده في حاجة يلزمه قضاء حاجته وإن تهاون فيه يخل بالتعظيم، وإلى هذا أشار بقوله: عبدي مرضت فما عدتني، فيقول العبد: كيف تمرض وأنت رب العالمين، فيقول الله مرض عبدي فلان وما زرته ولو زرته لوجدتني عنده، يعني التعظيم متعلق بالشفقة فحيث لا شفقة على خلق الله لا تعظيم لجانب الله.

**** *** ****

كيف عاش الصحابة مع القرآن الكريم :

قال صلاح الخالدي في كتابه مفاتيح للتعامل مع القرآن:

أقبل الصحابة على نصوصه فعاشوا بها، ولم يقيدوها فيهم أو يقصروها عليهم، وأقبل التابعون عليها فعاشوا بها، وأقبل تابعوهم عليها كذلك فعاشوا بها، وهكذا كل طائفة من العلماء، كانت تجد عند القرآن ما تريد، وتلقى عند نصوصه ما هى بحاجة إليه .. فعلى قارئ القرآن أن ينظر إلى القرآن بهذا المنظار، وأن يتعامل معه على هذا الأساس، لا يجوز أن يقيد نصوصه بحالة من الحالات أو فترة من الزمان- إلّا ما كان مقيدا بذلك- ولا أن يقصرها على شخص ما أو قوم

ما- إلّا ما كان مقصورا عليه- إنه لا بدّ أن يحرر هذه النصوص من قيود الزمان والمكان والأشخاص والأقوام، لتعطى دلالاتها لكل الناس، وتطلق إشعاعاتها لكل جيل، وتنشر أضواءها على العالمين.

لا بدّ من الحضور الفاعل الحى المؤثر أثناء تلاوة القرآن وتدبره والتعامل معه بكافة مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته، واستخدام كل أجهزة كيانه الإنسانى .. فلا يكون هدف القارئ من نظراته فى القرآن مجرد الأجر والثواب فهذا وارد وسيحصل عليه بإذن الله .. كما لا يكون هدفه «تثقيف» نفسه بثقافة قرآنية شاملة، وحشو ذهنه المجرد وعقله النظرى بألوان شيقة من المعرفة والثقافة، وزيادة رصيده من الثقافات والعلوم والمعارف .. وإن الوقوف عند الثقافة وحدها لا يولد عملا ولا التزاما ولا سلوكا سليما .. كل ما فى الأمر أنه يملأ عقله بهذه المعلومات، فتتحول إلى قضايا ومعلومات وثقافات نظرية، وتوضع هناك فى «خانة» المنطق الذهنى النظرى المجرد، وتتجمد فيه إلى أن تضعف فتزول وتتلاشى، أو تبقى مجمدة عاجزة عن الوصول إلى منافذ التوجيه والقيادة والتربية .. فترى هذا الإنسان يردد ما فى عقله من معلومات، وما فى ذهنه من ثقافات، ويتحدث عنها- بلباقة وفصاحة- ولكن أين هو فى شخصيته واستقامته مما يقول؟ وأين هو فى مسلكياته وحياته مما يبشر به؟ وأين هو فى ارتباطه وصلته بمن حوله مما يتحدث عنه؟

ثم قال رحمه الله تعالى : على القارئ أن يتلقى إيحاءات القرآن بمشاعره وأحاسيسه وانفعالاته، أن يتلقاه معلومات وثقافات، وأن يتلقاه أفكارا وتصورات، وأن يتلقاه حقائق وبدهيات، وقيما حية، وتوجيهات حياتية، ومبادئ معاشة، وأوامر عملية ميدانية، ودليلا عمليا لحياته فى يومه ونهاره .. عليه أن يتلقاه بعقله وذهنه وخياله، وأن يتلقاه بفكره ووعيه وإدراكه، وأن يتلقاه بقلبه وروحه ووجدانه وضميره، وأن يتلقاه بشعوره وإحساسه وهمته وطاقته، وأن يصل بين كل الأجهزة فى كيانه، وأن ينسق بين ما تلقاه كل منها، وأن يجمع هذه الحصيلة مجتمعة، وأن يربط بينها بخيوط متينة دقيقة، وأن يحولها إلى برنامج يومى، وسلوك عملى، وحقائق معاشة، وإيمان قرآنى

حى فاعل مؤثر وأن يقتدى فى ذلك برسول الله صلّى الله عليه وسلّم- كما تقول السيدة عائشة رضى الله عنها- كان خلقه القرآن، وأن يقتدى بأصحابه الكرام رضوان الله عليهم الذين كانوا يتلقون القرآن «تلقيا للتنفيذ» لينفذوه فور سماعه.

قوله تعالى: (يَرْجُونَ تجارة لن تبور) قال الفراء: هذا جواب قوله: **(إِنَّ الذين يَتْلُونَ). قال المفسرون: والمعنى:** يرجون بفعلهم هذا تجارة لن تفسُد ولن تَهْلِك ولن تَكْسُد **(لِيُوَفِّيَهم أُجورهم) أي: جزاء أعمالهم (ويَزيدَهم منْ فضله)** قال ابن عباس رضي الله عنهما : **(سوى الثواب مالم تر عين ولم تسمع أُذن).وقال البقاعي رحمه الله تعالى : (يرجون)** أي في الدنيا والآخرة **(تجارة)** أي بما عملوا **(لن تبور)** أي تكسد وتهلك بل هي باقية، لأنها دفعت إلى من لا تضيع لديه الودائع وهي رائجة رابحة، لكونه تام القدرة شامل العلم له الغنى المطلق.

**** *** ****

الموضع العاشر

قوله تعالى : (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ)

نواصل بعون الله تبارك وتعالى حديثنا عن الآيات المادحات للمؤمنين والمؤمنات ، وفي هذه الحلقة يدور حديثنا حول مدح الله تعالى إياهم لما في قلوبهم من عظمة الإيمان؛ وذلك بتعظيم الله سبحانه وتعالى فعلى قدر تعظيم العبد لله جل جلاله ، تكون عظمة الإيمان في قلبه.

ذكرنا سابقا أن بعض الناس يعتبر الإيمان شيئا عاديا ولا يلتفت إلى عظمته وبهائه وجلاله ، فالله تبارك وتعالى نبه إلى هذا النوعية من الناس، قال تعالى ﴿**إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ**﴾ [الحاقة ٣٣].

لماذا جاء وصف العظيم؟ ليعلم أن هناك من يؤمن بالله العظيم ، وهناك من يؤمن بوجود الله أو يعلم بوجود الله ، ولكن لا يعلم شيئا عن عظمته ، ولهذا المشركون يعلمون بوجوده؛ لكن هل يعلمون أنه تعالى عظيم، لو يعلمون أنه عظيم لما أشركوا به ولما عصوا أمره.

الله تحدث عن نفسه ، على ألسنة بعض رسله مثلا نوح عليه السلام قال ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح ١٣] وهذا الخطاب للكفار ،قال ابن عباس رضي الله عنهما : اي مالكم لا تعظِّمون الله حق عظمته!

(**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ**) قال بعض المفسرين أراد الله أن يصور عظمته جل جلاله وتباركت أسماؤه في قلب عبده المؤمن.

وردت ثلاث آيات مفتتحة بقوله تعالى: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ) :

آية الانعام (٩١) وهي قد ربطت بين عظمة الله تعالى وعظمة كتبه ورسله : وهي قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

وآية الزمر (67)) وهي التي بينت تجليه بالعظمة في يوم القيامة : (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

وآية الحج (74) وهي قد ربطت بين عظمة الله تعالى وقوته وعزته :(مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ).

**** *** ****

وحديثي سيدور حول آيتي الزمر والأنعام:

أما آية الزمر (67): (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ).قال القرطبي : (قال النحاس : أي وما عظموه حق عظمته إذا عبدوا معه غيره ، وهو خالق الأشياء ومالكها).

ثم أخبر عن قدرته وعظمته فقال : (وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ) ثم نزه نفسه عن أن يكون ذلك بجارحة فقال : (سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء يهودي إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فقال : (يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول : أنا الملك) فضحك النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى بدت نواجذه ثم قال : وما قدروا الله حق قدره) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وعن عبد الله بن عمرو رضي عنهما قال :(سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو على المنبرِ وهو يقولُ : يأخذُ الجبَّارُ عزَّ وجلَّ سماواتِه وأرضيه بيدِه ، وقبض يدَه وجعل يقبِضُها ويبسُطُها ثمَّ يقولُ : أنا الجبَّارُ وأنا الملِكُ ، أين الجبَّارون ؟ أين المتكبِّرون ؟ ويتميَّلُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن يمينِه وعن شمالِه، حتَّى نظرتُ إلى المنبرِ يتحرَّكُ من أسفلِ شيءٍ منه ، حتَّى إنِّي لأقولُ أساقطٌ هو برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المنبر) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. لو اهتز من الجانب حيث يقف الرسول صلى الله عليه وسلم او من الاعلى ، فهو شيء عادي لكن أن يهتز من أسفله حيث تثبيت القواعد فهذا غير طبيعي.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال :**(أتى رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أعرابيٌّ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ جَهِدتِ الأنفسُ، وضاعتِ العيالُ، ونُهِكتِ الأموالُ، وَهَلَكَتِ المواشي، فاستقِ لَنا ربَّكَ، فإنَّا نستشفعُ بِكَ على اللَّهِ، ونستشفعُ باللَّهِ عليكَ، فما زالَ يسبِّحُ حتَّى عُرِفَ**

ذلِكَ في وجوهِ أصحابِهِ ثم قالَ: (ويحَكَ إنَّهُ لا يُستَشفَعُ باللَّهِ على أحدٍ من خلقِهِ، شأنُ اللَّهِ أعظمُ من ذلِكَ، ويحَكَ أتدري ما اللَّهُ إنَّ اللَّهَ فوقَ عرشِهِ، وعرشُهُ فوقَ سماواتِهِ، وإنَّهُ ليئطُّ بِهِ أطيطَ الرَّحلِ بالرَّاكبِ) أخرجه أبو داود.

**** *** ****

وأما آية سورة الأنعام فقد نزلت ردا على اليهود وسبب نزولها أنه لما سألهم الرسول صلى الله عليه وسلم" اسالكم بالله ألم اذكر في التوراة بوصفي " فانظر إلى عنادهم واستكبارهم حيث قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء، لا موسى ولا غيره ، فأنزل الله تبارك وتعالى،﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ**﴾ [الأنعام ٩١]. وهذه غاية في الغرابة أن يدعي اليهود هذا الكلام!!

وإذا ربطنا بين الآيتين فكأن القيامة قدقامت ، لأن آية الزمر خاصة بما سيقع يوم القيامة وآية الانعام في بيان عظمة إرسال الرسل وانزال الكتب ،كأن تعظيم الله كما هو سيقع يوم القيامة يجب أن يكون هنا في الدنيا (**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ**) .

الله عز وجل بين عظمته في آيات أخر مع الانبياء وذلك في آية التجلي لموسى عليه السلام ،عندما سأل ربه ﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ [الأعراف ١٤٣].

الشاهد منها : **(فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ)** سبحانك دلالة على التعظيم ، لأن التسبيح يعني التنزيه والتعظيم ؛ لأنك عندما تنزه الله عما لا يليق بجلاله فإنك تصفه بما يليق بجلاله من العظمة والجلال والكمال.

**** *** ****

ولقد تعلم الصحابة وسلف الأمة التعظيم لله تعالى من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فهذا ابن عباس يقول لبعض أصحاب المراء والجدال (إن لله تعالى عبادا أصمتتهم خشيته من غير بكم ولا عي وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء العلماء بأيام الله عز و جل غير أنهم اذا تذكروا عظمة الله عز و جل طاشت لذلك عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله عز و جل بالأعمال الزاكية فأين أنتم منهم).

وقال أحد السلف عن مثلهم (الذين يجادلون في اسماء الله وصفاته، قال هؤلاء يتمندلون بكلمة الله باسم الله تعالى).

فأما الإمام مالك رضي الله عنه : لما سأله رجل عن قوله تعالى (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:٥] **، قال له كيف استوى ؟ يقول الراوي :فما وجد – أي ما غضب – على أحد كما وجد على هذا الرجل؛ وسكت حتى علته الرحضاء اي عرق عرقا شديدا ونظر إلى الأرض وعلاه الكرب، كيف يسأل أحد مثل هذا السؤال عن الله ، وهذا من شعوره بهيبة الله تعالى بهذه الجهالة ؛ ثم قال رحمه الله : (الاستواء معلوم ، والكيف غير مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا ضالا) فأمر به فأُخرج.**

وأما الإمام أحمد رضي الله عنه : يحكي عنه ولده عبد الله ذهبت مع أبي إلى مجلس وعظ فقال الواعظ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(إذا كانت ليلة النصف من شعبان فإن**

الرب تعالى ينزل إلى سماء الدنيا) – الى هنا انتهى الحديث – فالرجل زاد من عنده **(بلا زوال ولا انتقال لا تغير حال)** ، قال عبد الله : فارتعد ابي ارتعادا شديدا وتلون وجهه، وأمسك بيدي فأمسكته حتى سكن، ثم قال له مر بنا على هذا الخراص ، ووقف أمامه وقال له: ياهذا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اغير منك على ربه قف حيث وقف أو قل، كما قال ! من أتيت بهذا الكلام!؟

**** *** ****

ما هي العلامات التي تدل على أننا نعظم الله تعالى ؟

1/ لقد ظهر تعظيم الله تعالى في سلوك السلف ابتدأ من العبادات مرورا بالاخلاق :

فمما ورد في باب الصلاة عن عليّ رضي الله عنه أنه كان اذا دخل وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه ويقول: **(والله قد جاء وقت أمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها).**

وكان ابن الزبير اذا دخل في الصلاة كأنه خشبة عود لايتحرك منه شيء ! قالوا إنه اشتهر بهذا السكون التام في الصلاة حتى ذكر أنه لما حاصر الحجاج الكعبة وضربها الجنود بالمنجانيق مر حجر بين لحية ابن الزبير وصدره ولم يتحرك منه شيء..

وكان عثمان رضي الله عنه يصلي في المسجد فسقط سقف المسجد وسمع الناس صوته في السوق ولم يسمع ذلك الصوت..

وكان سعيد التنوخي اذا دخل في الصلاة انهمرت دموعه ولا تتوقف إلا إذا سلم ، فسأله أحدهم هل تحدث نفسك اذا دخلت في الصلاة؟ قال بالجنة والنار وعظمة الله؟ قالوا : لا ، نعني أن تحدث نفسك بالدنيا ؟ قال التنوخي : لأن تختلف السيوف في جسدي أهون

علي من هذا اهون علي من ذلك، أوتحدثون أنفسكم بشأن الدنيا وأنتم بين يدي الله عز وجل؟!

وورد عن رجل من السلف أنه في ليلة زفافه أراد أن يصلي بعروسه ركعتين ـ معلوم أنه من السنة – فلما دخل في الركعتين نسي نفسه ولم يسلم إلا قبل الفجر، قالت له زوجته ياهذا ما لنا فيك نصيب! قال : (والله لقد نسيتك).

قال الإمام الغزالي :(إياك أن تبدأ الصلاة بالكذب تقول" الله اكبر" وهو ليس اكبر في نفسك ،اذا قلت؛" الله أكبر" معناها لا تذكر شيئا معه) ، اذا قلت "الله أكبر" وفكرت في شيئا اخر معناها هذا الشيء أكبر ! عياذا بالله تعالى..

وقد اختلف العلماء في حكم الخشوع في الصلاة هل هو واجب أم مندوب؟ لكن لم يختلفوا في كون لحظة التكبير الأولى أن الخشوع فيها فرض ، فالخشوع فرض من فرائض الصلاة في اللحظة الأولى من الصلاة ، فانظر التعظيم لله على قدر معرفته ، وتعظيمك للإيمان الذي في قلبك على قدر تعظيمك لله عز وجل.

2/ مما ورد في تعظيم القرآن : قال ابن عمر : **(تعلمنا الإيمان قبل القرآن فازددنا بالقرآن إيمانا** ؛ ماذا تعني هذه العبارة معناها أنت تحتاج أن تتأمل في هذا الكون تتأمل في تدبير الله لهذا الكون ، قال **تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ)** لو إجتمع أهل الأرض والسموات البشر والملائكة والجن لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة واحدة..

بقية الآية **(وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ)** [الحج ٧٣] اذا سلبت منك سكر او شربة لا يستطيع إرجاعه لأن الذبابة لأنها مجرد ارتشافها لأي شيء تصب عليه مادة حمضية فتحوله لشئ آخر.

❋❋❋❋ ❋❋❋ ❋❋❋❋

عندما تسمع (مالكم لا ترجون لله وقارا) تأمل في هذا الكون ، بل (**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) منذ أن كنت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ..ثم خرجت، (**ثم السبيل يسره**) هذا يدعوك لتعرف الله عز وجل.

قال بعضهم اذا سمع الإنسان صفة من صفات الله عز وجل سواء من القران الكريم أو من الأحاديث الصحيحة ، يحاول أن يملأ صدره منها بعظمة الله تبارك وتعالى ، لو وقفت مع اسم الله الخالق وأثره في الكون من هذه اللحظة إلى أن تموت لن تنتهي من عجائبه، الآن كم مولود يولد في هذه اللحظة في مستشفيات الارض وكم مولود غير البشر من سائر الحيوانات والحشرات في البر والبحر هذا اثر اسم الله الخالق ! فكيف تقف عند اي اسم من أسماء الله الحسنى وهذا الذي يدعوك أن أعظم الإيمان الذي وهبك الله إياه وملأ صدرك به من بين ملايين من البشر. **قال بعضهم:لابد أن يكون نظرك للعبرة وصمتك للفكرة ونطقك للفائدة والموعظة .**

كان بعض السلف يعتريه الخشوع وهو خارج الصلاة، إذا تذكر عظمة الله يمشي غاضا لبصره، هذا محمد بن عبد الحكم أحد تلامذة مالك كان من شدة خشوعه يمشي وهو ينظر إلى الأرض فإذا جاء إلى بيت الإمام مالك يستأذنه في الدخول للدرس ، الجارية كانت تراه هكذا دائما غاضا للطرف فتقول للامام مالك جاء تلميذك الأعمى كانت تظنه اعمى من شدة غض لبصره من مهابة الله...

هذا الحال لا يصل إليه كل الناس وليس مطلوبا من كل الناس ولكن من امتلأ قلبه من تعظيم الرب سيكون هكذا شاء أم أبى..

وها هنا مثال جيد: ولد صغير قال عندي مبلغ كبير ؛ وقال وزير مالية : جهزنا مبلغ كبير لميزانية الدولة كم يكون هذا كبير هذا وهذا كبير.

مثلا ولد صغير عمره ست سنوات قال عندي سيارة، وشاب عمره عشرين سنة قال عندي سيارة والوزير قال كذلك وهذا أفضل من هذا كله، ولله المثل الأعلى.

فمن علامات تعظيمك الله، تعظيمك لكلامه فانظر إلى عظمة الإيمان وعظمة القرآن في قلبك، اذا عظمت المتكلم عظمت الكلام ، وهذا اكبر باب من الأبواب التي تعطيك عظمة لله في قلبك وهو تدبر القرآن ، ونحن للأسف نقرأ قراءة عادية! نسأل الله أن يفتح علينا لأن عدم الشعور هو إشكالية لايشعر ببكاء أو فهم أو تدبر، أو فتح جديد ، لأن هناك حجب وأولها أن التعظيم لله ضعيف، مثلا بعد صلاة الجمعة ، اذا سمع الناس بيان لوزير الداخلية أو من إدارة المرور الا تفتح الناس آذانها ؟ الا ترى المصيبة التي نحن فيها لماذا لم تفتح أذنك للواعظ أو للخطيب أو المدرس،، ألا يهمك القرآن والسنة.

**** *** ****

3/ تعظيم الله تعالى بمراقبته في الحركة والسكون:

قال أحدهم : انظر الى المرافقين للملوك والأمراء، لايمكن أن يعصونهم ولو كان على حساب أنفسهم أو صحتهم أو أولادهم وأموالهم ولا يستطيعون مخالفة أوامرهم ، نحن نحتاج للشعور بقوله تعالى :(**إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا**) [النساء ١].

كما ضرب أحدهم مثلا قال : لما تدخل محل تجاري كبير تجد لافتة (**المحل مراقب بالكاميرا**) هل يستطيع أحد أن يسرق أو يعاكس فتاة لماذا؟ لأنه لا يفارقه شعور ان المحل مراقب بالكاميرا ، فالكون كله مراقب بالله .

هذا باب كبير من باب عظمة الايمان تعظيم الله في القلب معرفة أسماء الجلال كاسمه : العلي، الاعلى ، الحي القيوم ، العظيم ، المتكبر، المهيمن ، المنتقم، استحضار هذه الأسماء ومعانيها باستمرار، سبب لتعظيم الله تبارك وتعالى والتعظيم سبب للخوف من الله.

قال رجل للشيخ: إنا لا أخاف من الله قال له الصبي لايخاف من الأسد أي انت مثل الصبي ، الصبي لأنه لايعرف الاسد لايخاف منه.

هكذا معرفة هذه الأسماء من دلائل تعظيم الإيمان في القلوب أن تحمل شيئا ثمينا وتحمل شيئا عظيما فيكون المحافظة عليه والازدياد منه بتحريك هذه المعاني في القلوب.

قال أحدهم لأحد الصالحين وهو يمشي في الطريق : قف لأحدثك،قال له : اوقف الشمس،(ماعندي وقت).**لهذا رفع الله شأن هؤلاء الصالحين ابتداء من الصحابة مرورا بالتابعين وتابعيهم والأئمة الاجلاء والفقهاء وغيرهم لأنهم كانوا يراعون هذا الجانب في تعاملهم مع الله تعالى.**

**** *** ****

4/ تعظيم الله تعالى بمراقبته في العلاقات الاجتماعية والمالية:

إن تنازع الناس في العلاقات الإجتماعية، الاساءات بين الرجل وزوجته أو بين الاولاد فيما بينهم أو بين الجيران أو بين الزملاء أو بين الأقارب أو بين الأصدقاء، هذه كلها سببها غياب عظمة الله في القلوب، انت ستلاقي الله! ماذا يعني أن فلانا تكلم فيك بكلمة لا تليق بمقامك ؛ والمشكلة الكبرى أن البعض يظل ينقل الكلام بين الناس ؛ أن فلانا قال في حقي كذا وكذا ... بالله عليك هل وصلت درجة انك نسيت الله فانشغلت بهؤلاء المخاليق ينبغي للنفس أن تكون أشرف وأعلى فتنشغل بالإيمان بالله وتنشغل بلقاء الله ،صدقوني لحظة احتضار الانسان

يرى أن كل شيء دون معرفة الله كان تفاهة من التفاهات،كان من سفاسف الامور، عش لحظة الاحتصار قبل أن تاتيك اذا لم تعشها كنت مع هؤلاء الغافلين.

أعطيك مثالا : ورد في الأثر أن يونس بن عبيد رحمه الله ، كان عنده محل قماش وذات مرة دخل وقت الصلاة فقال للصبي الذي يعمل معه ، سوف أصلي وارجع وحدد له ثمن القماش وهو مثلا 200 درهم، ولما رجع وجد الصبي قد باعه ب 400 درهم فأخذ الفلوس وبحث عن المشتري في السوق حتى وجده، فقال له: ياهذا إما أن تأخذ مالك وترد لي قماشي أو تأخذ 200 درهم ، قال : لِمَ ياعبد الله؟ قال : لأن سعره 200 درهم ؛ والصبي باعك إياه ب400 درهم ، قال له : من أنت ؟ ومَن يفعل كفعلك هذا ؟ قال له يونس بن عبيد : أنا رجل من المسلمين ، قال وما الذي حملك على هذا ؟ قال : حملني عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) – رواه البخاري – ؛ قال: اسألك بالله ما اسمك؟ قال : أنا يونس بن عبيد ؛ قال الرجل: يا يونس بن عبيد انا كنت في الجيش في الحدود على الثغر في المعركة سمعت الناس يستشفعون إلى الله بك أن ينصرهم).انظر لهذا الخُلق في هذا الجانب سواء كان في تجارة أو غيرها .

لكن إذا غابت عظمة الرب من القلب فلا تسأل عن حال الناس. كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى :**(إذا خرج الخوف من القلوب فلا تسأل عن حال الناس)**؛ وكما قال عمر رضي الله عنه: **(لولا الآخرة لكان الحال غير ما ترون)**.

فالذي يتنازل عن بعض الحلال خشية الوقوع من الحرام هو شخص فاهم لأنه يخاف من الآخرة ، كما قال أبو حامد الغزالي **(المال حلاله حساب وحرامه عقاب)**.

ماذا يعني أن تكون عندك مليارات وانت ستحاسب عليها فما زاد عن الحاجة فإنه يسأل عنه كما في الحديث **(لا تزولُ قدمَا عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يسألَ عن عمُرِه فيمَ أفناه، وعن**

علمِه فيمَ فعَل، وعن مالِه من أين اكتسَبه وفيمَ أنفقَه، وعن جسمِه فيمَ أبلاه) أخرجه الترمذي والدارمي فالمال هو أكثر الاشياء التي يظهر فيها عظمة الله تبارك وتعالى لأنه شيئا محبب إلى النفوس فتحتاج النفس لتعظيم الله ليكون كما قال بعضهم التبر كالتراب أي الذهب مثل الطين كلامها سواء ! ولكن هذه درجة لا يصل إليها كل أحد.

**** *** ****

تعظيم الله مطلب الجميع وله أسباب تزيده في القلب من أهمها ما يلي[1]:

أولا : من أجل ما يجلب التعظيم لله تعالى التأمل في أسمائه وصفاته وعظمته وقدرته فسبحانَ الله وبحمده، هو الملك لا شريكَ له، والفرد لا ندَّ له، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ، لن يطاعَ إلا بإذنِه ، ولن يعصَى إلا بعلمِه، يطاع فيشكر، ويُعصى فيعفو ويغفِر؛ أقربُ شهيد وأجلّ حفيظ وأوفى بالعهد وأعدلُ قائمٍ بالقِسط، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وكتب الآثار، ونسخ الآجال؛ فالقلوب له مفضية، والسِّرّ عنده علانية، والغيبُ لديه مكشوف، وكلّ أحدٍ إليه ملهوف ، عنتِ الوجوه لنور وجهه ، وعجزتِ العقول عن إدراكِ كُنهِه ، أشرقَت لنور وجههِ الظلمات ، واستنارت له الأرضُ والسماوات ، وصلَحَت عليه جميع المخلوقات ؛ أزمَّة الأمور كلّها بيده، ومَرادُّها إليه ، مستَوٍ على سريرِ مُلكِه ، لا تخفى عليه خافيةٌ في أقطار مملكتِه ، تصعَد إليه شؤون العباد وحاجاتهم وأعمالهم ، فيأمر سبحانه بما شاء فينفُذُ أمره ، ويغلب قهره، يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، يغفر ذنبًا، ويكشف كربًا ، ويفكّ عانيًا ، ويجبر كسيرًا ، وينصر ضعيفًا ، ويغني فقيرًا ، يحيي ويميت ، ويُسعِد ويشقِي ، ويُضلّ ويهدِي ، ويُنعم على قوم ويَسلب نعمتَه عن آخرين ، ويعزّ أقوامًا ويذلّ آخرين (هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ

[1] - نقلا عن مقال : مالكم لا ترجون لله وقارا – منديل الفقيه – موقع ملتقى الفقهاء.

الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

له القدرةُ المطلقَة والإرادَة التامّة ، كلَّم موسى تَكليمًا ، وتجلَّى للجبل فجعله دكًّا هشيمًا ، وهو سبحانه فوق سمواته لا تخفى عليه خافية، يسمع ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرةِ الصّماء في الليلةِ الظلماء، لا تشتبِه عليه الأصوات مع اختلافِ اللغات وتنوّع الحاجات، ولا تتحرَّك ذرّةٌ في الكون إلا بإذنه، قال تعالى : **(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** .

وقال تعالى : **(اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ).**

وفي الحديث (**حجابه النور، لو كشَفه لأحرقَت سبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره**)، فإذا كانت سبحاتُ وجهه الأعلى لا يقوم لها شَيءٌ من خلقه فما الظنّ بجلال ذلك الوجهِ الكريم وجمالِه وبهائه وعظمَته وكبريائه؟! لذا كان أعظم نعيمِ أهل الجنة التلذُّذ بالنّظر إلى وجهِ الكريم جلّ جلاله، وهو موقفٌ عظيمٌ يتجلّى فيه كبرياء الله وعظمته وجماله وجلاله.

فمتى ما تأمل المسلم أسماء الله وصفاته زاد تعظيمه لربه وإجلاله لخالقه وعظم خوفه وخشيته : منه وصدق من قال (**من كان بالله أعرف كان منه أخوف**).

ورأى أنَّ كل ما يعمله من عبادة لا تساوي شيئا من عظيم حقه عليه ، وعن رجلٍ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إِنَّ لله تعالى: ملائكة ترعد فرائِصَهُمْ مِنْ خيفَتِهِ، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلاَّ وقعت على ملك يصلي، وإِنَّ منهم ملائكة سجوداً منذ خلقَ اللهُ السَّمواتِ والأَرْضِ لم يرفعوا رؤوسهمْ ولا**

يرفعونها إلى يوم القيامة، وإنَّ منهم ملائكةً ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذُ خلقَ الله السَّمواتِ والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل فقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)[1].

**** *** ****

ثانيا : ومما يجلب التعظيم لله تعالى الإقبال على هذا الكتاب العظيم الذي هو كلام الرب سبحانه قراءة وتدبرا وعملا واستشفاءً كما قال تعالى : (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا).

ثالثا : ومما يجلب التعظيم لله تعالى التفكر في مخلوقات الله كالسموات والأرض والشجر والجبال والإنسان وما فيها من عجائب قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .وقال تعالى : (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ).

رابعا : ومما يجلب التعظيم لله تعالى العلم بالكتاب والسنة وكلما ازداد العبد علما كلما زاد تعظيمه لله وخشيته منه (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

---

[1] - رواه المروزي في ((تعظيم قدر الصلاة)) (١/ ٢٦٧). قال ابن كثير في ((تفسيره)) (٨/ ٢٧٢): وهذا إسنادٌ لا بأس به.

خامسا : ومما يجلب التعظيم لله تعالى تذكر نعم الله وإحسانه على العبد والتي لا تعد ولا تحصى فمن أعظم ما تستجلب به محبة الخلق الإحسان إليهم ولا أحد أعظم إحسانا على الخلق من الله تعالى (**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ**).

وأجل النعم نعمة الإسلام وهذا الشرع المطهر فهل تفكرتم أيها المسلمون في نعمة الله بهذه الشريعة العظيمة التي جاءت لحفظ أنفسنا وعصمة أموالنا ودمائنا وأعراضنا وعقولنا ؟ ألم يورثنا ذلك تعظيم الله ومعرفة قدره فلو سرق مال أحدنا قطعت يد السارق من أجله ولو اعتدى علينا أحد منا أو قذفنا أقيم عليه الحد من أجلنا فتذكر النعم يستوجب تعظيم المنعم والقيام بشكرها بالقلب واللسان والجوارح.

**** *** ****

إذن تعظيم الله تبارك يزيد في تعظيم الإيمان في القلوب فيكون العبد يعيش بالله ولله وعلى الله ، لذا كان الدعاء اللهم اجعلنا بك ولك..

الذي يلاحظ ان الله تبارك وتعالى ملأ صدره من خشيته وعظمته وكبريائه ولاحظ تلك النصوص سيعيش بالله ولله لذا كان هذا الدعاء النبوي العظيم (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك) ،ليس اجعلني اخشاك بل المعنى الاعمق ان تقسم لي خشية بها اخشاك ، وليس خشية من عندي، لان من عندك مشكلة **(ومن طاعتك)** أي أنت تعطيني الطاعة **(ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك) الخشية التي تجتنب بها المعصية اذا تكلفها العبد ربما تغيب في أي يوم فيعصي الله،لكن اذا اعطاك الله الخشية ، لن تغيب.**

نختم بالاية الكريمة التي في سورة الجمعة والبقرة ربنا تبارك خاطب اليهود في الموضعين ، ماذا قال لهم **(فتمنوا الموت إن كنتم)** مفهوم المخالفة : هم غير صادقين فربنا تحداهم، قال إذا كنتم صادقين بأن لكم صلة بالله ، تمنوا الموت،، الصادق من الأمة المحمدية هو الذي يتمنى الموت

اي متى ما جاء الموت فهو مستعد له، قال بعضهم في دعائه :اللهم طيبنا للموت وطيب الموت لنا، اللهم اجعلنا نحب لقاءك .

وفي الحديث (**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**)، وهذا الحب كله مبني على معرفتك بالله وتعظيمك لله وامتلاء قلبك بالايمان بالله تبارك وتعالى نسأل الله أن يجعلنا كذلك.

لهذا لما سئل الإمام أحمد متى الراحة يا إمام؟ قال عند وضع أول قدم في الجنة! انظر الى الأكابر كيف يتكلمون فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : لو أن رجلي اليمنى داخل الحنة واليسرى خارجها ما أمنت مكر الله لذا كانت الجنة شأنها عظيم ، لقاء الله شأنه عظيم ..

**** *** ****

ثمرات التفكّر في قدرة الله وعظمته[1]:

الثمرة الأولى: أن يوحِّد العبدُ ربَّه سبحانه، ولا يخاف إلّا منه ولا يرجو سواه، ولا يتحاكم إلّا له، ولا يَذِلّ ولا يخضع إلّا لعظمته –جلّ وعلا–؛ فإبراهيم –عليه السلام– حينما ناظر قومه وأثبت لهم عدم أهلية معبوداتهم للعبادة، وجّههم لعبادة الإله الحقّ العظيم الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما، فقال: **{يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**[الأنعام: 78، 79]، وهذا ما ينبغي أن يترسّخ في قلب المؤمن بعد مشاهدة عظمة الله وقدرته.

الثمرة الثانية: شعور العبد بالاطمئنان والعزّة والرفعة، وعدم الشعور بالخوف أو الذلّ أو الهُون حتى في أصعب الظروف وفي أشدّ الأحوال؛ لأنه يأوي إلى ركن شديد، ولقد جسّد لنا النبي

[1] - **مقال بعنوان : استشعار عظمة الله (أهميته، وسائله، ثمراته) – للكاتب محمد الخولي – موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية.**

صلى الله عليه وسلم هذا الشعور في أصعب المواقف التي مرّ بها عند الهجرة، حينما وقف الكفار أمام الغار فخاف أبو بكر عليه، فقال له: «لا تخف إن الله معنا»، فقد قال تعالى: **{إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**[التوبة: 40].

وكذلك عندما تيقّن بنو إسرائيل من الهلاك على يد فرعون قال لهم موسى –عليه السلام–: {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}، فقد قال تعالى: **{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}**[الشعراء: 61، 62].

الثمرة الثالثة: أنْ نخشاه سبحانه ونعظِّمه، فلو علمَ العبدُ ما لله من عظمةٍ ما عصاه، ولو علم أسماءَه وصفاته وكماله وجلاله ما أحبّ غيره، ولو علم فضله وكرمه ما رجا سواه، فقد قال تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}**[فاطر: 28].

يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله–: (إنما يخشاه حقّ خشيته العلماءُ العارفون به؛ لأنه كلّما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى –كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر).

الثمرة الرابعة: أن يعرف العبد قدره، وأن لا يغترّ بقدرته، ويعلم أنه مهما بلغ من القوة والعلم فإنه في قبضة الله وتحت قهره سبحانه، فقد قال تعالى: **(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)** [الأنعام: 18].

يقول ابن كثير –رحمه الله–: (أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلّت له الجبابرة، وعَنَت له الوجوه، وقهر كلّ شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوّه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره).

الثمرة الخامسة: الاجتهاد في طاعة الله والعمل على مرضاته، فمَن عرف عظمة الله سبحانه احتقر أعماله وشعر بالتقصير في جنابه، فقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يقوم الليل حتى تتفطر قدماه لتأدية حقّ شكر الله؛ لأنه أعرف الناس بالله سبحانه.**يقول ابن القيم – رحمه الله–**: **(كلما شَهِدْتَ حقيقة الربوبية وحقيقة العبودية، وعرَفْتَ الله، وعرفت النفس، وتبيّن لك أن ما معك من البضاعة لا يصلح للمَلِك الحقّ ولو جئتَ بعمل الثقلين؛ خشيت عاقبته. وإنما يقبله بكرمه وجوده وتفضُّله، ويثيبك عليه أيضًا بكرمه وجوده وتفضله)**[1].

الثمرة السادسة: اللجوء إليه سبحانه في الشدائد، والتضرع إليه سبحانه عند نزول المصائب، فقد قال –عز وجل–: **(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)**[يونس: 107].لذلك وجَب علينا هذه الأيام أن نلجأ إلى الله سبحانه بالدعاء والرجاء والتضرّع أن يرفع عنا هذا البلاء، فلا كاشف له إلّا هو سبحانه برحمته وفضله –عز وجل–.

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع الحادي عشر

قوله تعالى : (مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ)

لا زلنا نتفيأ ظلال القرآن في مدحه للمؤمنين والمؤمنات، فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم الايمان الراسخ واليقين الصادق والمحبة الكاملة لله ورسوله عليه الصلاة والسلام..

الإيمان وُصف في القرآن بأنه نور ، في عدة آيات، لعل أبرزها قوله تعالى **(ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ**

[1] - مدارج السالكين – لابن القيم- (1/ 194)

يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ اللهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) سورة النور (35).

وقوله تبارك وتعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ سورة الأنعام (122).

وقوله تعالى :**﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** سورة الحديد (28).

ووصْف الإيمان بأنه نور جاء مربوطا بالنور الكوني التكويني أي الله نور السموات والأرض أن الله منور السموات والأرض بالنور الحسي الذي نراه الان وهو نور الكواكب نور الشمس نور القمر.

الله تعالى ضرب للإيمان مثلا لهذا النور الحسي ، لذلك قال **(ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)** لا أحد يختلف في وجود النور الحسي، متى ما طلعت الشمس اطفئت الانوار ، نور حسب مشاهد للكل ، لكن الاشكالية عند البشر في النور المعنوي ؛ هذا النور المعنوي هو الايمان.

من أضاء مصباحا في النهار ألا يقال عنه أنه مجنون ؟ طيب لو جاء أحدهم وأبدى رأيه مع نور الشريعة ! هل رأيتم أين العمى واين الظلمة !! إن نور القران ونور الإيمان ونور الشريعة المفترض أنها تجعل الإنسان يستحيي إن يبدي رأيه مع هذه الانوار ؛ تماما مثل الذي يضيء مصباحا في النهار.

وهذه مقدمة لمعرفة قيمة النور المعنوي وهو نور الايمان الذي جعله الله في قلوبنا.

بل قرأت لبعضهم أنه قال : لو كُشف للمؤمن عن نور الإيمان الذي في قلبه لوجده أضوأ من الشمس ، وهذه الآية التي سنقف عندها ستشير لهذا المعنى أو توضحه بجلاء فقوله تعالى (

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ) أي منورها أو موجدها من العدم لأن النور يظهر الاشياء، والله أظهر السموات والأرض اي أوجدها من العدم هذا معنى محتمل .

**** *** ****

قوله تعالى (مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ) نريد أن نصور هذا المشهد ؛ تخيل عندك غرفة بها شباك غير نافذ أي مفتوح من جهة الغرفة لكن الجهة الأخرى مغلقة – وهذا لا يزال موجودا في بعض القرى – وقد وُضع في الكوة مصباحا ليتجمع الضوء ، سيكون بهذه الطريقة النور أضوأ وأقوى للمكان ولعل هذا يكفي، لكن العجيب أن الآية بيَّنت أن **(ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ)** اي وضع المصباح نفسه في زجاجة ليكون أشد تلألؤا ، وضياء؛ و**(ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ)** مثل المشتري أو الزهرة أو غيره ؛ فانظر إلى لمعان تلك الكواكب الدرية ! .

وكون هذا المصباح في زجاجة يصور لك قوة نور المصباح، ولم يكتف الله عز وجل بهذا المشهد بل وصف أن داخل المصباح وكيف يضيء والزيت الذي يضيء والفتيل التي تمتص الزيت ، الزيت **(يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ)** شجرة مباركة ، المقصود بها شجرة الزيتون وزيتها من أصفأ انواع الزيوت .

ثم وصفت الزيتونة إنها **(لا شرقية ولا غربية)** ، قال بعضهم : لاشرقية فهي غربية ولا غربية فهي شرقية ، إذن أين هي؟ قالوا؛ إن الآية تقصد أنه لا يغيب عنها ضوء الشمس، لأنها لو كانت شرقية كانت ستغرب عنها الشمس سريعا، أو العكس فينقص امتصاصها لضوء الشمس فيكون هناك نقص في ثمرتها.

انظر الى قوله تعالى **(مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ)** ننتبه لكلمة مباركة، **المبارك:** هو الشيء الذي يكثر نفعه، شجرة الزيتون ينتفع بثمرها وزيتها وورقها فهي تستعمل في الاكل

والادهان وإضاءة المصابيح ،شجرة مباركة قيل أنها من أطول الأشجار عمرا ، يمكن يصل عمرها إلى مئتي سنة وهدا يدل على كثرة ثمارها ونفعها.

وما أحسن قول أبي تمام في مدح الأمير أحمد بن المعتصم العباسي:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

ولما قال له يعقوب بن إسحاق الكندي ، و كان حاضرا : الأمير أكبر في كل شئ ممن شبهته به ، رد على البديهة:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى و الباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة و النبراس

**** *** ****

قوله تعالى : (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) : يكاد يضيء من شدة صفائه ولمعانه ، هذا الزيت الذي يكاد يضيء بنفسه ، فكيف لو وضع في الفتيل وأشعل ،، فانظر كيف يضيء المصباح الذي قلنا أنه وضع في زجاجة، والزجاجة كأنه كوكب دري.

الآن انظر الى قوله تعالى **(نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ)** نور الزيت على نور المصباح على نور الشعلة على نور الكوكب الدري ، وهذا كله تصوير حسي.

قال الرازي رحمه الله تعالى : وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى زَيْتَهَا بِأَنَّهُ يَكَادُ يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ لِأَنَّ الزَّيْتَ إِذَا كَانَ خَالِصًا صَافِيًا ثُمَّ رُؤِيَ مِنْ بَعِيدٍ يُرَى كَأَنَّ لَهُ شُعَاعًا، فَإِذَا مسه النار ازداد ضوأ عَلَى ضَوْءٍ، كَذَلِكَ يَكَادُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِالْهُدَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْعِلْمُ، فَإِذَا جَاءَهُ الْعِلْمُ ازْدَادَ نُورًا عَلَى نُورٍ وَهُدًى عَلَى هُدًى، قَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ (قَلْبُ الْمُؤْمِنِ يَعْرِفُ

الْحَقَّ قَبْلَ أَنْ يُبَيَّنَ لَهُ لِمُوَافَقَتِهِ لَهُ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ).

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ الْمُرَادُ مِنَ الزَّيْتِ نُورُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ يَكَادُ نُورُهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ يَكَادُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ قَبْلَ الْوَحْيِ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: (نُورٌ عَلى نُورٍ) الْمُرَادُ تَرَادُفُ هَذِهِ الْأَنْوَارِ وَاجْتِمَاعُهَا، قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: (الْمُؤْمِنُ بَيْنَ أَرْبَعِ خِلَالٍ إِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ وَإِنِ ابْتُلِيَ صَبَرَ وَإِنْ قَالَ صَدَقَ وَإِنْ حَكَمَ عَدَلَ، فَهُوَ فِي سَائِرِ النَّاسِ كَالرَّجُلِ الْحَيِّ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ الْأَمْوَاتِ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسٍ مِنَ النُّورِ، كَلَامُهُ نُورٌ وَعَمَلُهُ نُورٌ وَمَدْخَلُهُ نُورٌ وَمَخْرَجُهُ نُورٌ وَمَصِيرُهُ إِلَى النُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

قَالَ الرَّبِيعُ : (سَأَلْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ عَنْ مَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ فَقَالَ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ).

يقول نفطويه في أحد إشراقات هذه الآية، هذا مثلٌ، ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول: **يكاد منظره يدلّ على نبوته وإن لم يقل قرآنًا**، وقد سمى الله تعالى محمدًا بالنور وبالسراج المنير في موضعين من القرآن: قوله تعالى :﴿**يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَّمُبَشِّرًا وَّنَذِيْرًا وَّدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِه وَسِرَاجًا مُّنِيْرًا**﴾ الأحزاب(46).

وقوله تعالى : ﴿**قَدْ جَآءَكُمْ مِنَ اللهِ نُوْرٌ وَّكِتَابٌ مُّبِيْنٌ* يَّهْدِيْ بِه اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَه سُبُلَ السَّلَامِ**﴾ المائدة (15-16).

وذلك؛ لأن الله قد جعل النبي صلى الله عليه وسلم نورًا من نوره يهدي به الخلق إلى الله وإلى الصراط المستقيم.

❋❋❋❋ ❋❋❋ ❋❋❋❋

هذه الكلمات في الآية الكريمة لها مايقابلها في القضية التي نحن بصددها[1]:

أولاً : المشكاة : فهي مثل الصدر: لأنها هي التي يتجمع فيها الضوء ، فصدر المؤمن يحتوي على نور الإيمان ، وشيئا من علوم القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وبها ينشرح صدره وتتسع مداركه وتستنير بصيرته ، وتتحسن أخلاقه.

ثانياً : الزجاجة : وهي مثل القلب : وشبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافا هي في قلب المؤمن، وهي الصفاء والرقة والصلابة:

فأما الصفاء : فلأنه يرى به الحق والهُدى وذلك عندما يتصفح القرآن الكريم فتنعكس آياته في قلبه الصافي فيرى فيها الجمال والنور ويشعر معها بالحبرة والسرور ويجد معها الاطمئنان والراحة، بخلاف من تكدر صفاؤه بنفاق أو كبيرة من الكبائر فلن يجد شيئا من ذلك.

وأما الرقة : فتحصل بها الرأفة والرحمة والشفقة عندما يرى محتاجا أو يزور مريضا أو يقبل طفلا أو يرى يتيما فيكون إيجابيا في المجتمع بسبب الرقة التي يجدها في قلبه .

وأما الصلابة : فهي الشدة التي بها يجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشتد في الحق، ويصلب فيه بصلابته.

ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ولا تعارضها بل تساعدها وتعاضدها **(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)** الفتح (29) وقال تعالى: **(فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)** آل عمرن (159) وقال تعالى: **(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)** التوبة (66).

[1] - التفسير القيم – لابن القيم – بزيادة مثل الفتيلة - المكتبة الشاملة .

ثالثاً : الفتيلة: هي الفطرة وهي قابلة للفساد، والفطرة قابلة للفساد ايضا، لذلك تحتاج هذه الفطرة إلى محافظة ، زيت الزيتون الذي أشعل به المصباح هو نور المصباح هو أن يتشرب القلب أنوار الوحي من الكتاب والسنة ،لذا ما لم يستمد المؤمن علومه من الكتاب والسنة فهو على خطر لأن هناك كثير من المشوشات وكثير من الشبهات التي تُلقى على الناس في المجالس أو على الانترنت أو عبر وسائل التواصل وغيرها وهذه كلها تلقى على الفكر الصافي والقلب الصافي الذي يستمد علومه من الوحي فلربما فسد القلب بسببها ما لم يلجأ إلى الله تعالى ليصرفها عنه ويحفظه من شرورها ، ومن هنا نصح العلماء بأن يبتعد المسلم عن قراءة الشبهات أو مجالسة أهلها أو مشاهدتها عبر تلك القنوات لكي لا تقع شبهة في قلبها ولا يجد خلاصا منها .

إذن الفتيلة هي الفطرة التي لو ظلت سليمة فإنها تمتص أنوار الإيمان فيكون نور الفطرة على نور الايمان على نور القرآن فانظر الي النور الذي في قلب المؤمن الذي استمد الانوار من هذه الأمور كلها.

**** *** ****

قال بعضهم : والأنوار أنواع ، فهناك أنوار الإيمان وأنوار الحب والخشية والخوف والرجاء والعلم والحفظ ... الخ حتى ذكر أكثر من عشرين نوعا من الأنوار التي توجد بالقلب؛ ثم قال : وكل نور من هذه الأنوار له أهله ولهم حالهم.

قال صلى الله عليه وسلم (**أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْبُ**).

وانظر الى الختام (**يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ الله**) هنا – إن صحت العبارة – مربط الفرس ! ليس بحولك ولا قوتك أن يوجد هذا النور في قلبك، فإذا لم يهدك الله لهذا النور انظر لضوء

الشمس كل البشر يعترفون به لكنهم لا يعترفون بنور الإيمان ، مليارات لايرون هذا النور.. (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ).

قال الرازي : وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي اعْتَبَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْمِثَالِ مِمَّا تُوجِبُ كَمَالَ الضَّوْءِ:

فَأَوَّلُهَا: الْمِصْبَاحُ لِأَنَّ الْمِصْبَاحَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمِشْكَاةِ تَفَرَّقَتْ أَشِعَّتُهُ، أَمَّا إِذَا وُضِعَ فِي الْمِشْكَاةِ اجْتَمَعَتْ أَشِعَّتُهُ فَكَانَتْ أَكْثَرَ إِنَارَةً، وَالَّذِي يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَنَّ الْمِصْبَاحَ إِذَا كَانَ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ ضَوْئِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَظْهَرُ فِي الْبَيْتِ الْكَبِيرِ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ الْمِصْبَاحَ إِذَا كَانَ فِي زُجَاجَةٍ صَافِيَةٍ فَإِنَّ الْأَشِعَّةَ الْمُنْفَصِلَةَ عَنِ الْمِصْبَاحِ تَنْعَكِسُ مِنْ بَعْضِ جَوَانِبِ الزُّجَاجَةِ إِلَى الْبَعْضِ لِمَا فِي الزُّجَاجَةِ مِنَ الصَّفَاءِ وَالشَّفَافِيَّةِ وَبِسَبَبِ ذَلِكَ يَزْدَادُ الضَّوْءُ وَالنُّورُ، وَالَّذِي يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ إِذَا وَقَعَ عَلَى الزُّجَاجَةِ الصَّافِيَةِ تَضَاعَفَ الضَّوْءُ الظَّاهِرُ حَتَّى أَنَّهُ يَظْهَرُ فِيمَا يُقَابِلُهُ مِثْلُ ذَلِكَ الضَّوْءِ، فَإِنِ انْعَكَسَتْ تِلْكَ الْأَشِعَّةُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ جَوَانِبِ الزُّجَاجَةِ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ كَثُرَتِ الْأَنْوَارُ وَالْأَضْوَاءُ وَبَلَغَتِ النِّهَايَةَ الْمُمْكِنَةَ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ ضَوْءَ الْمِصْبَاحِ يَخْتَلِفُ بِحَسْبِ اخْتِلَافِ مَا يَتَّقِدُ بِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الدُّهْنُ صَافِيًا خَالِصًا كَانَتْ حَالَتُهُ بِخِلَافِ حَالَتِهِ إِذَا كَانَ كَدِرًا وَلَيْسَ فِي الْأَدْهَانِ الَّتِي تُوقِدُ مَا يَظْهَرُ فِيهِ مِنَ الصَّفَاءِ مِثْلَ الَّذِي يَظْهَرُ فِي الزَّيْتِ فَرُبَّمَا يَبْلُغُ فِي الصَّفَاءِ وَالرِّقَّةِ مَبْلَغَ الْمَاءِ مَعَ زِيَادَةِ بَيَاضٍ فِيهِ وَشُعَاعٍ يَتَرَدَّدُ فِي أَجْزَائِهِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ هَذَا الزَّيْتَ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ شَجَرَتِهِ، فَإِذَا كَانَتْ لَا شَرْقِيَّةً وَلَا غَرْبِيَّةً بِمَعْنَى أَنَّهَا كَانَتْ بَارِزَةً لِلشَّمْسِ فِي كُلِّ حَالَاتِهَا يَكُونُ زَيْتُونُهَا أَشَدَّ نُضْجًا، فَكَانَ زَيْتُهُ أَكْثَرَ صَفَاءً وَأَقْرَبَ إِلَى أَنْ يَتَمَيَّزَ صَفْوُهُ مِنْ كَدَرِهِ لِأَنَّ زِيَادَةَ الشَّمْسِ تُؤَثِّرُ فِي ذَلِكَ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ

هَذِهِ الْأُمُورُ الْأَرْبَعَةُ وَتَعَاوَنَتْ صَارَ ذَلِكَ الضَّوْءُ خَالِصًا كَامِلًا فَيَصْلُحُ أَنْ يُجْعَلَ مَثَلًا لِهِدَايَةِ اللَّه تَعَالَى.

**** *** ****

قوله تعالى : ﴿**قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [النمل ٥٩].الى آخر هذه الآيات كلها تشير الى أن الإيمان وأنوار هذا الإيمان أوضح من نور الشمس في ضحاها والقمر اذا تلاها لكن(**يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ الله**).

لذا قال بعضهم لا بد للعبد أن يتسبب في أن يهديه الله إلى أنوار الإيمان ! اذا كان الإنسان معرِض وهو يرى الآيات الكونية صباح ومساء ولم يجتهد لكي يتعرف على ربه تبارك وتعالى، الانسان اذا أتي له بجوال لابد أنه سيحاول أن يعرف بلد الصنع ليعرف الجودة .

إذن اين بلد صنع السماء والشمس والكواكب!؟ ألم يسأل نفسه ؟ اذا صح السؤال ! ألا يعرف أنه لابد لكل صنعة من صانع وكل حدث من محدث.فلا بد للعبد أن يتقدم خطوة ليطلب معرفة الله بعد ذلك (**يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ الله**).

**** *** ****

كنا نتكلم عن كيف أسلم البعض ووجدنا أن الأسباب مختلفة مثلا ذكر أحدهم قصة نصرانية قرأت القرآن بنية الانتقاد فلما قرأت الآية ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [المائدة ٨٢].قالت : علمت أن هذا كلام الله لأنه واقع النصارى فعلا، فكانت هذه الآية سبب إسلامها.

قلت للرجل الذي حكى قصة النصرانية : والاعجب من ذلك أن يهوديا وقف على نفس الآية فوجد أن واقع اليهود مع الإسلام هو عداوة المسلمين منذ ظهور الاسلام ، واسلم بسببها وقال : أن اليهود لم يهادنوا المسلمين قط ولو على سبيل التمثيل، وغالب هؤلاء اليهود يعادون الاسلام ولا يمكن أن يتراجعوا ، وهو الذي كان يريد أن يشوش على المسلمين فاسلم،، وجد الحق في القرآن ووجد الحق في الاسلام.

**** *** ****

المراد بالنور في قوله تعالى (مَثَلُ نُورِهِۦ) : **قال الطبري** : **واختلف أهل التأويل في المراد من النور** هنا على أقوال : **قال بعضهم** : القرآن ، **وقال بعضهم** : قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.**وقال الحسن البصري** (أي مثل نور الله في قلب المؤمن لأن أنوار الأنبياء فوق أن توصف).

(**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ**) هذا النور مخلوق لكن النور كصفة لله لا تدخل هنا اطلاقا لأنه لايطاق ولا حتى وصفه ! كما في الحديث (حجابه النور) إذا كان حجابه النور وهو النور إذن الكلام يتوقف هنا.

ارجع وتأمل : (مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ) تأمل هذا المثل وانظر في نفسك لابد أن يكون له أثر هذا الأثر في الآية في سورة الانعام (**أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ منها**) نور الايمان به تمشي بين الناس وليس بمزاجك معاملاتهم اخلاقك سولكك عبادتك كلها على ضوء الإيمان الذي جعله الله في قلبك ،قال(**يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ**) هل رأيت أحدا يمشي داخل أحد! (**في**) هنا تفيد الظرفية ،الماء في القارورة، الكتاب في الدرج، معناها انك بين الناس لا تفارقهم وتخالطهم كامل المخالطة، ولكن النور الذي في قلبك ميزك عنهم، ما يلفت الإنتباه هو تميز أحدهم عن الآخرين

،انت مؤمن تتميز بإيمانك بين الناس ولو كنت بين الملايين يقولون هذا من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم كل من يراك يقول هذا من المسلمين..

في اية الحديد (**وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ**) هنا قال (**يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ**) معناها هنا حتى لو كنت لوحدك..

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : (لا تستوحش طريق الحق وإن قل سالكوه).

ومما جاء في سيرة ابن المبارك رحمه الله أنه كان في بلده مرو عالما مشهورا يرجع إليه العلماء وطلاب العلم وبيته عامرا بطلاب العلم هذا يستفتي وهذا يطلب العلم ومكتبته مليئة، يعني البيت به حركة دائمة ، لما جاء بغداد لا يعرفه أحد ولا احد يطلب العلم عنده.ثم جاء رجل من أهل مرو فوجده يعيش وحده ويسكن في غرفة قريبة من المسجد يصلي ويرجع، ولا يعرفه أحد قال له يا شيخ أنت تركت الشهرة والعز وجئت هنا ولا أحد يعرفك! قال ابن المبارك : والله مكاني هنا افضل من هناك انا لا استوحش تعال وانظر من معي، الغرفة فيها كتب أهل العلم وسير الصحابة وفيها كلام المفسرين والمحدثين ، قال : هؤلاء معي ،انا لست وحدي ،كيف يكون وحيدا من كان هذا حاله إذن ،تمشون به في الناس ، المؤمن لا تختلف حاله.

لهذا قال بعضهم في قوله تعالى (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ الله) قال صاحب هذا النور لا يشرك بالله ولا يرائي في أعماله لأن نور الإيمان قد ملأ قلبه وصدره..

**** *** ****

دعونا ننظر في السنة النبوية وهي تتحدث عن النور :

وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأعمال بأنها نور ألم نقل سابقا أن نور الإيمان غذاؤه الوحي غذاؤه السنة ، وقد ذكر على سبيل المثال قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لما قال له أوصني، قال : (عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله).

وفي رواية (**عليك بتقوى الله فإنه زين أمرك**) **قال زدني يا رسول الله ،قال** : (**عليك بتلاوة القرآن ،فإنها ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض**) .

وفي رواية (**عليك بتلاوة القرآن وذكر الله تعالى فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء**) ، **يعني أهل السماء يذكرونك، فلان صاحب القرآن فلان من الذاكرين الله كثيرا**..الشاهد (**نور لك في الأرض**).

وقال صلى الله عليه وسلم : (**بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة**).

وقال عليه الصلاة والسلام (**الصلاة نور والصبر ضياء**) **ومعنى** (**الصلاة نور**) :أنها :تكون سببا في تصحيح مسارك في أمورك الدينية والدنيوية استعينوا بالصبر والصلاة.

ومعنى (**الصبر ضياء**) ،الضياء أقوى من النور، قال العلماء بأنه وصف الصبر بالضياء الصبر في فعل الطاعات واجتناب المعاصي والشهوات والرضا بمقدور الله تعالى مما ترك النفس البشرية لهذا (**استعينوا**)قدم الصبر لأنك تحتاح له لتصلي والصبر رأس ترك المحرمات والشهوات والابتعاد عن الفتن..

الصلاة رأس فعل الطاعات من قدر على الصلاة سهلت عليه بقية الطاعات ،لكن الصلاة ليست بالتي يصليها البعض كنقر الغراب لايكاد يخشع فيها هذه قل ما تنفع صاحبها.

عن خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص رضي الله عنهم (**أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مرَّ برجلٍ لا يُتِمُّ ركوعَه ، ولا سجودَه قال : لو مات هذا على ما هو عليه لمات على غيرِ ملةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، فأتِمُّوا الركوعَ والسجودَ ، فإنَّ مَثَلَ**

الذي يُصلّي ، ولا يُتِمُّ ركوعَه ، ولا سجودَه كمَثَلِ الجائعِ الذي لا يأكُلُ إلا التمرةَ والتمرتينِ لا تُغنِيانِ عنه شيئًا) [1].

.

**** *** ****

وهذا النور الإيماني نفعه في الدنيا بما ذكرنا من الاستقامة على طاعة الله ويدخل في التلذذ بطاعة الله عز وجل في سورة الحديد قال تعالى﴿**يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۚ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣**﴾ ،، هاتان الأيتان تبينان من الذي جاء في الاخرة بنور الايمان الصادق ومن الذي جاء بالنفاق والكذب فينطفئ نوره ،لاحظ(**يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ**) لم يذكر الناحية الشمال لأن الشمال هذه النار ، وهم على الصراط ، قال العلماء انوار الناس في الصراط على قدر نور إيمانهم في الدنيا ، كلما كان نوره في الدنيا قويا كان كذلك في الآخرة.

**** *** ****

وفي حديث طويل قال صلى الله عليه وسلم:(**يجمَعُ اللهُ الأوَّلينَ والآخِرينَ لميقاتِ يومٍ معلومٍ، قيامًا أربعينَ سَنةً**) إلى أن قال : (**فيُعطيهم نورَهم على قَدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَن يُعْطى نورَهُ مِثْلَ الجبلِ العظيمِ يَسْعى بينَ يدَيْهِ، ومنهم مَن يُعْطى نورَهُ أصغرَ مِن ذلكَ، ومنهم مَن يُعْطى مِثْلَ النَّخلةِ بيمينِهِ، ومنهم مَن يُعْطى (نورًا) أصغرَ مِن ذلكَ، حتَّى يكونَ آخِرُهم رجُلًا**

[1] - إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة -للعلامة أحمد بن أبي بكر البوصيري وقال : فيه الوليد بن مسلم مدلس وقد رواه بالعنعنة.

يُعْطى نورَهُ على إبهامِ قَدَمِهِ، يُضيءُ مَرَّةً ويُطْفِئُ مرَّةً، فإذا أضاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ (فمَشَى)، وإذا أُطفِئَ قام) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب. لهذا لابد من الاهتمام بالنور في الدنيا لتجوز الصراط في الآخرة.

وفي سورة التحريم **(يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾** [التحريم ٨].

لما تربط آية التحريم بآية الحديد نجد أن دعاء المؤمنين على الصراط بأن يتم الله نورهم يكون لما رأوا من انطفاء نور المنافقين ،، المنافقون يقولون **(ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)** يقولون **(نَقْتَبِسْ)** هذه فيها إشارة إلى قوة النور ، لأن القبس لا يكون الا من النار والنار ضوؤهاا قوي وفيها لمحة إلى الضياء **(قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۚ)** الرجوع إلى الدنيا **(فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۚ)** ولكن هيهات ثم انقع التواصل بين الفريقين فقال تعالى :**(فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ)** .

(يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ) تأمل الآن **(أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ)** اي كنا معكم في الصلوات الخمس والجمعة والدروس ونصوم رمضان ونحج البيت، ونتصدق ،لكن انوارهم مزيفة عملوا كل هذه الأعمال وفي قلوبهم شك وفي قلوبهم رياء ومرض وحسد لهذا كان النور مزيفا ولذا انطفأ، **(قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ)** [الحديد ١٤] هذا سبب انطفاء أنوارهم المزيفة.**وبناءا عليه فلتنتبه ولتتحقق هل أنت مخلص في عملك أم مع الناس فقط ، مثلا سوداني توفي ، تجد كل الناس يسرعون وبعضهم لا يعرف من المتوفَّى المهم أنه سوداني ! هل تريد المشاركة بسبب الأجر أم لأنه سوداني أم لأنك تخاف من اللوم ،وهذا في كل العالم ، إذن أنت لابد أن تمحص عملك.**قيل لأحد التابعين فلان مات نذهب لنشهد الجنازة! وهو في نفس منطقته وهو يعرفه، قال: لا أذهب لأني لا اجد نية !ماعندي نية بحثت عن نية صادقة لأصلي بها فلم أجدها .

**** *** ****

إذن الجماعة الذين قالوا (**ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ**) هذا كله يحتاج لتمحيص النور من هنا، الآية الكريمة التي وضحت نور الصراط ومن اين يوجد هذا النور وأنه في الدنيا (**قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ**) طبعا الرجوع مستحيل ، هم قالوا (**نَقۡتَبِسۡ**) وهؤلاء ردوا عليهم قالو (**فَٱلۡتَمِسُوا**) انظر الالتماس شيء سهل اذا قلت التمس لي رغيفا من الفرن معناها ستجده سريعا ، لايمكن اقول لك: التمس لي سيارة من المعرض ،لأنك ستحتاج لأيام لتجدها، لايمكن اقول التمس لي شقة للإيجار ، ساقول فتش ، لكن قالوا (**فَٱلۡتَمِسُوا**) يعني كان الأمر ميسرا سهلا في الدنيا لكنكم أهملتم القضية!! فتأمل هذه الآيات والأحاديث في نور الإيمان تجد أن الأصل هو المحافظة على نور الايمان.

**** *** ****

ولن تجد محافظة على النور أفضل مما ارشدنا الله إليه في الآية التالية مباشرة (**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ**) لأن المساجد منبع الانوار الإلهية، منبع العلم بالوحي والعلم بالشريعة وبالسنة، المساجد محل التربية والاعكتاف والأدب والعبادة والإقبال على الله تعالى .

لذا لا تنس وانت في قيامك للصلاة أن تدعو (**اللهم تقبلنا واقبل منا اللهم ارزقنا الخشوع في الصلاة اللهم ارزقنا حسن الوقوف بين يديك**) قله قبل أن تكبر لعلك تجد قلبا خاشعا ولعل الله أن يرزقك هذا.

ننظر الآن في بداية الآية قال(**مثل نوره**) قال (**في بيوت**) (**نور**) مفرد ، و(**فِي بُيُوتٍ**) جاءت بالجمع ، لماذا لم يقل في(**بيت**) لأنه قال (مثل نوره) وهذا إشارة إلى أن كل بيت من بيوت الله فيه نور من انوار الله، ولهذا لا تخصص هذه الآية مساجد معينة، لا المسجد الحرام ولا

المسجد النبوي ولا الأقصى بل كلها ، وان كان هذه المساجد أنوارها زائدة، لكن كل المساجد فيها انوار من نور الله عز وجل ما فيها.

وايضا لابد أن تأتي (**نور**) بالتوحيد بالافراد وليس بالجمع لأن الحديث عن الإيمان والإيمان هو عين التوحيد لذلك قال :(**مثل نوره كمشكاة**).

بارك الله لي ولكم، هذه الآيات وهذه الأحاديث تجعل الانسان أولا يشعر كما بدأنا او اثناء هذه السلسة بنعمة الايمان ، يشعر بنور الإيمان ، كذلك هناك إشارة في قوله تعالى(**نور على نور**) إشارة إلى القرآن، والقرآن سمي نورا في عدد من الآيات و (**لكن جعلناه**).

فأعظم الانوار تقتبس من كتاب الله عز وجل لهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم (**نور لك في الأرض وذكر لك في السماء**).

إذن على الإنسان ألا يغفل عن تلاوة ورده اليومي من كتاب الله عز وجل يجد فيه النور والهدى.

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع الثاني عشر

قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ)

لا زلنا نواصل بعون الله تعالى الحديث عن الآيات التي تمدح المؤمنين والمؤمنات وفي هذه الحلقة سنتحدث حول قوله تبارك وتعالى ﴿**وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ**﴾ [الحشر ٩].

هذه الآية نزلت في وصف الأنصار رضي الله عنهم، حيث استقبلوا المهاجرين ، الغريب في وصف الإيمان هنا وصفه بشيء حسي **(وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ) التبوئة** : هي تجهيز الشيء وإعداده ليستفاد منه ، وهذا غالبا يكون في البيوت وما شاكلها ﴿**وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ [يونس ٨٧] جهزوا لهم مساكن ، كما قال أحد الباحثين : التبوؤ جاء في القرآن صفة المدح، لم يأت أبدا صفة الذم.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :**(مَن غَدَا إلى المَسْجِدِ ورَاحَ، أعَدَّ اللَّهُ له نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّما غَدَا أوْ رَاحَ)** ، وقال صلى الله عليه وسلم **(من عاد مريضًا ناداه مُنادٍ من السَّماءِ : طِبتَ وطاب ممشاك ، وتبوأَتَ من الجنَّةِ منزلًا)**أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد .

فقوله تعالى :(وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ) (الدار) هي المدينة المنورة ، يعني الأنصار سبقوا المهاجرين في كون أنهم سكان المدينة ، هيأوها من الناحية الإسلامية حيث كان غالبية بيوت المدينة دخلت في الاسلام فصارت دار إسلام ،ولما وصل المهاجرون وجدوا هذه البيوت كلها مسلمة وجاهزة لاستقبالهم..

ننبه بأن المؤرخين قالوا لم توجد هجرة عبر التاريخ من مكان إلى آخر خلت من الدماء – لا بد أن يحصل فيها دماء وهتك أعراض ونهب أموال قلّت أو كثرت – لم يحصل أن هاجر أو سافر أو نزح قوم أو أناس من بلد إلى آخر إلا وحصل فيها بعض تلك الأشياء أو كلها ، ماعدا هجرة المهاجرين الى المدينة المنورة ،لأن الانصار جعلوا بيتوهم جاهزة لاستقبال المهاجرين ، ونعلم كيف آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، فهذا التبوء الحسي (والذين تبوأ).

**** *** ****

فما هو التبوء المعنوي – أنا أتبوأ المكان هذا واضح – لكن كيف يُتبوّأ الإيمان؟ كيف تبوأت الأنصار الإيمان ؟ هذا دليل على أن الإيمان أصبح بالنسبة لهم الشيء الذي يلجأون إليه في كل صغيرة وكبيرة.

ولكي يتضح المعنى أقول : الإنسان لا يرتاح ولا يطمئن إلا في بيته ؛ فلو ذهبت إلى صديقك مثلا مهما كنت تحبه – ومهما كانت العلاقة بينكما – إنما هي ساعات قليلة وترجع إلى بيتك، لأنك لن ترتاح إلا في بيتك.**فالايمان أصبح بالنسبة للأنصار رضي الله عنهم ، موطن الراحة والطمأنينة والسكينة ، أضف إلى ذلك أصبح هو الأساس الذي ينطلقون منه وبأوامره يعملون ،بالمناسبة الإيمان يأمر وينهى كما في حديث القرآن عن بني إسرائيل (قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** البقرة (93) .

(وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ): هذا التبوأ للإيمان ظهرت آثاره في تعامل الأنصار مع المهاجرين رضي الله عن الجميع ، الاثار ربنا نص عليها **(يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)** فلولا الايمان لما اتصفوا بهذه الصفات الثلاث، لو رجعت إلى تاريخ العرب لوجدت أن هذه من أصعب الاشياء.

تضحيات الأنصار من أجل المهاجرين :

قام الأنصار بعرض نخيلهم على النبي صلى الله عليه وسلم ليقسم الثمر بينهم وبين إخوانهم المهاجرين، ويقومون هم بالعمل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، **(لما قدِمَ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله. ما رأينا قوماً أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل، من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ (كفونا العمل وأشركونا في الثمر)** رواه الترمذي وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم: اقسم بيننا وبين إخواتنا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفونا المؤونة ونشرككُم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا**) رواه البخاري.

وهذا الحديث يفيد أن الأنصار عرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى قسمة أموالهم بينهم وبين إخوانهم المهاجرين، وقد كانت أموالهم هي النخيل، فأبَىَ النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد أمراً تكون فيه المواساة مع عدم زوال ملكية الأنصار أموالهم منهم، فقال الأنصار للمهاجرين: تكفوننا المؤونة ـ أي العمل في النخيل من سقيها وإصلاحها ـ ونشرككم في الثمرة، فلما قالوا ذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا الرأي ضمن سد حاجة المهاجرين مع الإرفاق بالأنصار فأقرهم على ذلك، فقالوا جميعا: سمعنا وأطعنا.

وعن أنس رضي الله عنه قال: (قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة، فآخى النبي صلى الله عليه سلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وكان سعد ذا غنى، **فقالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، ولِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُما إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قالَ: بَارَكَ اللَّهُ لكَ في أَهْلِكَ ومَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ علَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَما انْقَلَبَ إِلَّا ومعهُ فَضْلٌ مِن أَقِطٍ وسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مَهْيَمْ، قالَ: تَزَوَّجْتُ، قالَ: كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟. قالَ: نَوَاةً مِن ذَهَبٍ – أو وزن نواة من ذهبٍ – قال: أَوْلِمْ ولو بشاة**) رواه البخاري.

ومن الملاحظ هنا أن عطاء وكرم سعد بن الربيع رضي الله عنه قابله عبد الرحمن بن عوف بنُبْلٍ وعزة نفس، فذهب إلى السوق وتاجر بالقليل، واستطاع بعد أيام قليلة أن يكسب ما ينفق به على نفسه ويتزوج. ولم يكن مسلك عبد الرحمن بن عوف خاصًّا به، بل إن الكثير من المهاجرين

كان مكوثهم يسيراً في بيوت إخوانهم من الأنصار ثم باشروا العمل والكسب واشتروا بيوتاً لأنفسهم وتكفلوا بنفقة أنفسهم، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم.

وفي ذلك دلالة على ما كان عليه الأنصار من العطاء والبذل والإيثار بإخوانهم المهاجرين، وما كان عليه المهاجرون من تعفف وتقدير لهذا الكرم حق قدره، فلم يستغلوه ولم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم حياتهم حتى يجدوا سبيلاً للعمل.

لولا الإيمان لايمكن أن يحدث مثل هذا! وانا قلت لكم عبر التاريخ لم تحدث هجرة بهذا المستوى من الاستقبال ومن التضحية ومن النفقة حتى قال بعضهم : إن الأنصار على ما كان في بيوتهم من تواضع وعلى ما كان بهم من فاقة إلا أن تلك البيوت وسعت المهاجرين، ولقد شكر المهاجرون للأنصار فعلهم ومواقفهم الرفيعة في الإيثار والكرم ، وقالوا **(يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلا في كثير ، ولقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ – يعني كفونا العمل ، وأشركونا في الثمرة – حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال " لا " ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم)** رواه أحمد.

هذا الاستقبال وهذه المحبة،ولا أظن في اللغة العربية تعبير عن امر معنوي بأمر حسي بهذا المستوى ،انت الآن لا يمكن تتخيل الإيمان ، لأنه شيء معنوي لكن بنص الآية **(وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ)** يجب أن تتخيل أن الإيمان هذا بيت يُمكنك أن تسكنه و تستطيع أن تقيم فيه ما شئت من أعمال ! هذا البيت ملئ بالأعمال الصالحة ، انظر القلب اذا جَعل الإيمان بيته جاءت فيه جميع صفات المرضية لله تبارك وتعالى ، من حب ،وخشية ، وإنابة ، وتوبة ، ومراقبة ، ومحاسبة إلى آخره.

**** *** ****

نريد أن نتخيل قلوبنا وماذا يوجد فيها من صفات هذه الدار التي تبوأها الانصار رضي الله عنهم:

قد تستقبل شخصا غريبا لأول مرة تراه لا تدري ماهي أخلاقه وصفاته وكيف كانت تربيته ، لابد أن تتوجس منه خيفة.. لكن الانصار نظروا لصفة واحدة في المهاجرين وهي أن هؤلاء الناس مؤمنون ،بايمان المهاجرين وإيمان الأنصار الذي في قلوبهم صار الأمن وصار الاتفاق وصار الوفاء وصار الحب بين الطرفين الأنصار والمهاجرين ، لهذا (**والذين تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ من قبلهم**) هل الإيمان سابق في مكة أم المدينة ؟ لاشك في مكة ،لكن الله يقول (**من قبلهم**) هنا الكلام يعود على المدينة، ليس من ناحية سبق الإيمان في أي البلدين، لكن من ناحية أن المهاجرين جاءوا فوجدوا المدينة مؤمنة،من قبل مجيء المهاجرين، وهذا فيه مدح عظيم لمدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنت تعملون أن هناك عددا كبيرا من المهاجرين ، هاجروا قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ، كمصعب بن عمير رضي الله عنه ،وعمر بن الخطاب رضي الله عنه هاجر ومعه مجموعة كبيرة نحوا من عشرين صحابيا ، ومن أوائل المهاجرين مثل أبو سلمة وأم سلمة وغيرهم رضي الله عنهم .

إذن قضية الأنصار هي الإيمان الذي جعلهم يستقبلون المهاجرين حتى قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم فعلم من ذلك معنى قوله تعالى (**والذين تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ والإيمان من قبلهم**).

**** *** ****

ولنا أن نسأل : هذا الإيمان الذي وصف به الأنصار هل يمكن يتبوأه أحد بعدهم ؟ الإجابة نعم! لكن ليس بنفس المستوى كل بحسب عطاء الله تبارك وتعالى ، أنت تلاحظ أن المؤمنين درجات ،كما نص أهل السنّة والجماعة أن المؤمنين يتفاضلون فيما بينهم بالايمان،فإذا حولت الإيمان إلى صفة حسية وحاولت أن تعيش هذا بخيالك فستتعرف على نقاط الضعف والنقص في إيمانك.

فلنتخيل سويا أن بيتا بني ليسكن فلابد أن يهيأ من جميع النواحي من توصيل للماء والكهرباء وصبغ بل حتى ما يسمى الديكور وهذه الجماليات لا بد منها، هنا تأتي قضية شعب الإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام : **(الإِيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ)** رواه مسلم.

دعونا نقول هذه الشُّعَب بمثابة كل ناحية في البيت تسد خللا ما ، وهي جزء من هذا البيت ، على هذا لو تخيل كل واحد منا إيمانه بيتا فينظر ماذا ينقصه من الشعب ، لماذا نقول هذا الكلام؟! لأنه لو وجد أدني خلل في البيت – في الأمور الأساسية – فأنت ستعيش غير مرتاح ،لكن متى ما كان البيت كاملا ستكون في قمة السعادة والراحة .

**** *** ****

وبناءً عليه نقول : إنما يصبح إيمانك كاملا على قدر ما حققته من تلك الشُّعب ، فتكون بذلك متبوئا للإيمان ، فهذا التبوء درجات،لأن التبوء ، دعنا نقول عنه تمكن، لأن البيت – كما في المثال – جُهز فتبوئ ، فكان ذلك سببا للسكنى فيه وهكذا يجب أن يكون الإيمان ، وهذا يحتاج الى الأساسيات في حياة المؤمن ، وهي بالإجمال ينظر إلى الشعب الأساسية للإيمان وهي أركان الإيمان الخمسة هذه من شعب الإيمان ، بل أعلى شعب الإيمان ، ولا يجوز أن نفصل بين أركان الإسلام وشعب الإيمان ،الصلاة من أعظم شعب الإيمان بل إن الله عبر عنها بالإيمان ،**(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)** البقرة (143) أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، وعبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة بالإيمان، فقال : **(الطهور شطر الإيمان)** رواه مسلم ؛ يعني أن ثواب الوضوء يصل إلى نصف أجر الصلاة ، فيكون الاهتمام بشعب الإيمان ابتداء من أركان الإسلام يكون على قدر التبوء.

**** *** ****

لو أن شخصا يسكن بيتا منذ عشرين أو ثلاثين سنة، هل يستطيع أن يفارقه بسهولة ؟ لا يستطيع، لماذا ؟ لذكرياته لمحبته ، لأعماله التي يزاولها فيه ولو انتقل من البيت ستصيبه مشقة جسدية ونفسية أيضا هناك.

ناحية أخرى وهي أن هذا البيت يحتاج لصيانة بين فترة وأخرى ،هذا الكلام نقوله ،كما قلنا إن الإيمان يتبوا كما تتبوأ الدار لهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : **(جدِّدوا إيمانَكم) قالوا : يا رسولَ اللَّهِ، فكيفَ نجدِّدُ إيمانَنا؟ قالَ (جدِّدوا إيمانَكم بقولِ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ)** أخرجه أحمد وعبد بن حميد في مسنده والبزار ،وقال في حديث آخر **(نَّ الإيمانَ ليخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يخلَقُ الثَّوبُ فسَلُوا اللهَ تعالى أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم)** أخرجه الطبراني والحاكم وصححه السيوطي في الجامع الصغير.

لماذا هذه العبارات ؟ لمراجعة الإيمان بين الحين والآخر ، هل هو في قوة أو ضعف أو في زيادة أو نقص، أو في ترقٍّ أو في تراجع ، لأن الاستمرارية على وتيرة واحدة ، في الأعمال الصالحة تضعف الإيمان وتجعله الثول الخلق ، فلا بد من وجود شئ من التغيير إلى الأفضل ؛ فمثلا لا ينبغي أن تكون صلاتك على وتيرة واحدة طيلة أو شهور ، لازم تراجع خشوعك فيها وأذكارك بين الحين والآخر.

فإذا تساوت عندك صلاتان في يوم واحد على مستوى الخشوع والحضور ! فأنت مغبون،يجب ان تكون الثانية هي الأفضل وصلاة غدا افضل من صلاة اليوم، كما أنك مثلا تصبغ البيت عندما يتغير لونه ، وتغير الاثاث وتجدد أواني المطبخ، نحن نتعامل مع الإيمان مثل تعاملنا مع البيت سواء بسواء، فإذا كان ذلك في شأن البيت فهكذا أيضا يجب أن يكون في الإيمان ، افعل ذلك مع الصلاة انظر لحضورك في الصلاة وانظر إلى تتدبرك للقرآن وبكائك عند تلاوته، وانظر أيضا الى الأعمال القلبية من الخشوع والخشية والإنابة والتوكل واليقين والشوق والحب ونحوها.

أنت تسكن في بيت الإيمان فيجب أن تتعاهده بالصيانة والاهتمام يعني المراجعة المعنوية **(وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ)** .

انظر للمحبة بين للمسلمين تبدأ بمحبة لوجه الله ثم لما تمتد إلى عدد من السنين تتحول الى مصالح ، انت تنفعني وانا أنفعك! وهذا مشاهد استدين منك وتستدين مني. وإلى هذا أشار ابن القيم قال : (**مع طول المدة قد تتلاشى العلاقة الأولى التي كانت قائمة على الإيمان فتتحول مجرد أن يأنس بعضهم ببعض**)، يعني ضاعت العلاقة القائمة على الإيمان ، فتقول انا ارتاح له لأنه لديه قصص وطرائف..و..و .. ، وصارت الجلسات بدل أنها إيمانية تتحول الى جلسات دنيوية ، ويمكن أن تزور أخاك في الله وتجلسون قرابة ساعتين قبل الغداء وبعد الغداء ، وتكون كل السوالف كلها خارج الإطار – إن صحت العبارة – وبعضهم يخرب عليك برنامجك التعبدي فلا نفعك بكلام طيب ،تفسير آية أو شرح حديث ومسألة فقهية يضيع عليك الوقت بكلام فارغ،ويقول انا أخوك في الله!!

**** *** ****

قوله تعالى : (وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ) أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها.

ويدل ذلك على أن المهاجرين، أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصرة والهجرة. **خصاصة** : تعني أنه في أمس الحاجة إلى الشيء ويعطيه أخاه.

يجب أن تكون المحبة هي الأصل (**وَلَا يَجِدُونَ**) هذا العطاء الذي كان من الانصار كان بسخاء نفس، لهذا قال الله تعالى (**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ**) ليس لديه حرج في أن يأخذ أخوه ماشاء من المال ، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين آثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جياعا، والإيثار عكس الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل والشح، ومن رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه (**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعا منقادا، منشرحا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين.

**** *** ****

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه، سأل التابعين : لو جاء أحدكم إلى أخيه فأدخل يده في جيبه وأخذ من ماله هل ينظر كم أخذ ؟ قالوا نعم ! قال : (**هذه ليست أخوة في الله**).

وهذا الحسن البصري رحمه الله جاءه جماعة من إخوانه ولم يكن موجودا في البيت فأدخلتهم الجارية فدخلوا وأكلوا مافيها من طعام ففرح الحسن البصري واعتق الجارية ، هذا هو الأصل!

كما جاء في القصة التي كانت في زمن التابعين – والقصة المشهورة – كان هناك ثلاثة ممن تآخوا في الله ، في مرة احتاج أحدهم إلى شيء من المال! فقالت له زوجته : لماذا لا تذهب

وتستقرض أخاك ؟ فذهب إليه فأقرضه أخوه في الله 500 دينار، وبمجرد ما وصل بيته جاء صاحبهم الثالث يستقرض منه مالا ، فقال لزوجته ماذا نفعل؟ فقالت له زوجته : ربما هو أحوج منا إلى المال ! فأعطاه المال كله، ثم إن صاحبهم الأول الذي أقرضه المال ذهب يستقرض من هذا الثاني هذا فرجع له ماله وقد عرفه من الصرة التي كان يضعه فيها !! فقال للأول أنا استقرضتك المال فلماذا أعطيته فلان ؟ قال هو جاءني محتاج فاعطيته إياه ،قال له الاول: انا كنت في أمس الحاجة للمال فأعطيتك إياه ! ثم جئت استقرض من صاحبنا فاقرضني مالي الذي أعطيتك إياه ؛ فانظر إلى سخاوة النفس وإلى صدق الأخوة ثم انظر كيف صارت حياتنا الآن ! صارت حياتنا معقدة !صرنا نحتاج إلى موعد والى استئذان و..و. مافي بساطة في الحياة ، الإيمان يحتاج إلى بساطة ، البساطة ، التواضع.

فلا يمكن أن تبحث في زوايا هذه الدار الإيمانية فتجد فيها خللا ،لامتلائها بأعمال الإيمان.

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع الثالث عشر

قوله تعالى : (أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ)

لا زلنا نتفيأ ظلال القرآن في مدحه للمؤمنين والمؤمنات، فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم الايمان الراسخ واليقين الصادق والمحبة الكاملة لله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

جاء في أواخر سورة المجادلة ﴿**لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة ٢٢].

قال البغوي في سبب نزولها : وَرَوَى مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: (وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ" يَعْنِي: أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ قَتَلَ أَبَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْجَرَّاحِ يَوْمَ أُحُدٍ "أَوْ أَبْنَاءَهُمْ" يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ دَعَا ابْنَهُ يَوْمَ بَدْرٍ إِلَى الْبِرَازِ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَكُنْ فِي الرِّحْلَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَتِّعْنَا بِنَفْسِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ "أَوْ إِخْوَانَهُمْ" يَعْنِي: مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ قَتَلَ أَخَاهُ عَبِيدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَوْمَ أُحُدٍ "أَوْ عَشِيرَتَهُمْ" يَعْنِي عُمَرَ قَتَلَ خَالَهُ الْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَعَلِيًّا وَحَمْزَةَ وَعُبَيْدَةَ قتلوا يوم بدرعتبة وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ).

سيكون حديثنا حول ما مدح الله به المؤمنين والمؤمنات في قوله تعالى (**أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**) والكتابة تعني الفرض وتعني التثبيت وتعني الرسوخ ، الله تعالى يقول ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ**﴾ [البقرة ١٨٣] يعني فرض عليكم الصيام.

فكتابة الإيمان قي قلوب هؤلاء ، لا يمكن أن يمحى الإيمان ،ولا يمكن أن يدخله نقص ولا يمكن أن تدخله شائبة لماذا استحق هؤلاء كتابة الإيمان في قلوبهم ؟! للصفة السابقة عدم موادة الكفار فبهذه المفاصلة لأهل الكفر ، كما بينه سبب النزول.

قال في أضواء البيان : (وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمانَ﴾ أيْ ثَبَّتَهُ فِي قُلُوبِهِمْ بِتَوْفِيقِهِ.وَما تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ مِن تَثْبِيتِ الإيمانِ فِي قُلُوبِهِمْ جاءَ مُوَضَّحًا فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إلَيْكُمُ الإيمانَ وزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكم وكَرَّهَ إلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيانَ أُولَئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ * فَضْلًا مِنَ اللَّهِ ونِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧ - ٨]) .

**** *** ****

وانظر تجد بعض المسلمين في عصرنا يناقشون هل يمكن أن نهئ النصارى بعيد الميلاد أو الكريسماس أو شم النسيم ؟!

أقول هذه القضية لا تحتاج إلى مناقشة فقهية لأن المؤمن يجب أن تكون عنده مناعة ضد كل ما يبغضه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، تماما كالجسم الصحيح لا يمكن أن يقبل دخول جرثومة، لكن الجسم المريض هو الذي يقبل الجراثيم ! هذه قضية عقائدية وليست فقهية ؛ لأن النصارى أنفسهم لا يعترفون بهذا العيد فالبرجوع إلى النصارنية الغير محرفة وجدنا أن أحبارهم يحكمون ببدعية هذا العيد.

إذ كيف يحتفل إنسان مسلم بعيد ميلاد الرب ؟!! وهو يقرأ (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) وتقول اهنئه أو لا !؟.... الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان تكون عندهم حساسية مفرطة ضد هذه النوعية؛ مافي مجال ، وللاسف عبر المنصات يقول بعضهم يجوز ، وبعضهم قال "مستحب " انظر الى أي حال وصلنا بينما المذهب الحنفي قال:من أهدى إلى نصراني في يوم عيده بيضة فقد كفر بالله.

(كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ) يعني ثبَّت الإيمان ورسَّخه في قلوبهم، وآثار ذلك؛ أنهم لا يرضون بشيء يكرهه الله تبارك وتعالى ، بل يسعون في مرضات الله عز وجل، تأمل قوله (في) يعني صارت (قُلُوبِهِمُ) ظرفا للكتابة للإيمان، هذا يحتاج منا للتفكر هل الإيمان مكتوب في قلبي أم لا؟ هذا

الأمر ليس خاصا بالصحابة، لأنا مطالبون بكل الصفات المذكوره في الآية الكريمة.كما قال البقاعي رحمه الله تعالى:﴿**كَتَبَ**﴾ أيْ وصَلَ وأثْبَتَ وصْلًا وهو في لُحْمَتِهِ كالخَرَزِ في الأدِيمِ، وكالطِّرازِ في الثَّوْبِ الرَّقِيمِ، فَلا انْفِكاكَ لَهُ ﴿**فِي قُلُوبِهِمُ الإيمانَ**﴾ فَجَعَلَها أوْعِيَةً لَهُ فَأثْمَرَ ذَلِكَ نُورَ الباطِنِ واسْتِقامَةَ الأعْمالِ في الظّاهِرِ.

قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى : ﴿**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمانَ**﴾ المعْنى أنَّ مَن أنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ العَظِيمَةِ كَيْفَ يُمْكِنُ أنْ يَحْصُلَ في قَلْبِهِ مَوَدَّةُ أعْداءِ اللَّهِ، واخْتَلَفُوا في المرادِ مِن قَوْلِهِ: ﴿**كَتَبَ**﴾ أمّا القاضِي فَذَكَرَ ثَلاثَةَ أوْجُهٍ:

أحَدُها: جَعَلَ في قُلُوبِهِمْ عَلامَةً تَعْرِفُ بِها المَلائِكَةُ ما هم عَلَيْهِ مِنَ الإخْلاصِ.

وثانِيها: المرادُ شَرَحَ صُدُورَهم لِلْإيمانِ بِالألْطافِ والتَّوْفِيقِ.

وثالِثُها: قِيلَ في: ﴿**كَتَبَ**﴾ قَضى أنَّ قُلُوبَهم بِهَذا الوَصْفِ.

وقالَ أبُو عَلِيٍّ الفارِسِيُّ: مَعْناهُ: جَمَعَ، والكَتِيبَةُ: الجَمْعُ مِنَ الجَيْشِ، والتَّقْدِيرُ: أُولَئِكَ الَّذِينَ جَمَعَ اللَّهُ في قُلُوبِهِمُ الإيمانَ، أيِ اسْتَكْمَلُوا فَلَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَقُولُونَ: ﴿**نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ونَكْفُرُ بِبَعْضٍ**﴾ [النساء: ١٥٠] ومَتى كانُوا كَذَلِكَ امْتَنَعَ أنْ يَحْصُلَ في قُلُوبِهِمْ مَوَدَّةُ الكُفّارِ، وقالَ جُمْهُورُ أصْحابِنا: ﴿**كَتَبَ**﴾ مَعْناهُ أثْبَتَ وخَلَقَ، وذَلِكَ لِأنَّ الإيمانَ لا يُمْكِنُ كَتْبُهُ، فَلا بُدَّ مِن حَمْلِهِ عَلى الإيجادِ والتَّكْوِينِ.

**** *** ****

قوله تعالى ﴿**وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾ أي: وقواهم ببرهان منه. وذلك النور والهدى الذين يجعلها الله عز وجل في قلب من يشاء. وقيل بروح منه: بجبريل ينصرهم ويؤيدهم ويوفقهم. ثم وعدهم بالجنة.

قال الآلوسي رحمه الله تعالى : ﴿**وأيَّدَهُمْ**﴾ أيْ قَوّاهم ﴿**بِرُوحٍ مِنهُ**﴾ أيْ مِن عِنْدِهِ عَزَّ وجَلَّ عَلى أنَّ مِنَ ابْتِدائِيَّةٌ، والمُرادُ بِالرُّوحِ نُورُ القَلْبِ وهو نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ تَعالى في قَلْبِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ تَحْصُلُ بِهِ الطُّمَأْنِينَةُ والعُرُوجُ عَلى مَعارِجِ التَّحْقِيقِ، وتَسْمِيَتُهُ رُوحًا ، لِأنَّهُ سَبَبٌ لِلْحَياةِ الطَّيِّبَةِ الأبَدِيَّةِ.

وقال الفخر الرازي: قَوْلُهُ: ﴿وأيَّدَهم بِرُوحٍ مِنهُ﴾ وفِيهِ قَوْلانِ:

الأوَّلُ: قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: نَصَرَهم عَلى عَدُوِّهِمْ، وسَمّى تِلْكَ النُّصْرَةَ رُوحًا؛ لِأنَّ بِها يَحْيا أمْرُهم.

والثّانِي: قالَ السُّدِّيُّ: الضَّمِيرُ في قَوْلِهِ: ﴿**مِنهُ**﴾ عائِدٌ إلى الإيمانِ، والمَعْنى أيَّدَهم بِرُوحٍ مِنَ الإيمانِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿**وكَذَلِكَ أوْحَيْنا إلَيْكَ رُوحًا مِن أمْرِنا**﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال البقاعي: ﴿**وأيَّدَهُمْ**﴾ أيْ قَوّاهم وشَدَّدَهم وأعانَهم وشَجَّعَهم وعَظَّمَهم وشَرَّفَهم ﴿**بِرُوحٍ**﴾ أيْ نُورٍ شَرِيفٍ جِدًّا يَفْهَمُونَ بِهِ ما أوْدَعَ في كِتابِهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مِن كُنُوزِ العِلْمِ والعَمَلِ فَهو لِقُلُوبِهِمْ كالرُّوحِ لِلْأبْدانِ، فَلا يَفْعَلُونَ شَيْئًا مِن أحْوالِ [أهْلِ] الجاهِلِيَّةِ كالمُظاهَرَةِ، وزادَ هَذا التَّأْيِيدَ شَرَفًا بِقَوْلِهِ: ﴿**مِنهُ**﴾ أيْ أحْياهم بِهِ فَلا انْفِكاكَ لِذَلِكَ عَنْهم في وقْتٍ مِنَ الأوْقاتِ فَأثْمَرَ لَهُمُ اسْتِقامَةَ المَناهِجِ ظاهِرًا وباطِنًا، فَقَهَرُوا بِالدَّلائِلِ والحُجَجِ، وظَهَرُوا بِالسَّيْفِ المُفْنِي لِلْمُهَجِ، وعَمِلُوا الأعْمالَ الصّالِحَةَ فَكانُوا لِلدُّنْيا كالسُّرُجِ، فَلا تَجِدُ شَيْئًا أدْخَلَ في الإخْلاصِ مِن مُوالاةِ أوْلِياءِ اللَّهِ ومُعاداةِ أعْدائِهِ، بَلْ هو عَيْنُ الإخْلاصِ، ومَن جَنَحَ إلى مُنْحَرِفٍ عَنْ دِينِهِ أوْ داهَنَ مُبْتَدِعًا في عَقْدِهِ نَزَعَ اللَّهُ نُورَ التَّوْحِيدِ مِن قَلْبِهِ.

وقال بعضهم : الضمير يعود إلى الايمان فصار الإيمان هو الروح، كما قال تعالى ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام ١٢٢] **أحييناه** : الحياة تكون بالروح ،فصار الإيمان هو الروح ،روحك التي تحيا بها الحياة الجسدية تحتاج– اذا كنت مؤمنا – تحتاج الى روح شبيهة بها لتحيا بها، فيكون هو الإيمان، مثل قوله تعالى﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ**

وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[الأنفال ٢٤] طيب قبل النداء انت حي أم ميت ؟ انت حي وتسمع هذا النداء!

إذن ما معنى لما يحييكم؟ معناها هناك حياة اخرى تختلف عن الحياة التي تحياها ، ماهي هذه الحياة؟

الاستجابة لله وللرسول تعطيك حياة أخرى جديدة ،لهذا لما تجمع آية المجادلة مع آية الانفال (وأيدهم بروح منه) هنا تصبح حياتك هي الإيمان ؛ لأن الإيمان أصبح روحك ، فقال الله (أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

**** *** ****

قضية مهمة في هذه الآية وهي أن التأييد الإلهي له علامتان :

الأولى : تجد نفسك في تقدم وفي مسارعة إلى طاعة الله عز وجل ، إلا أنه بالنسبة للطبيعة البشرية ، أعمالك الصالحة لابد أن ينتابها شيء من الضعف والتكاسل والانشغال ، لو لم توجد تلك الروح **(وأيدهم بروح منه)** لابد أن يحصل شيء من التقهقر والتراجع!

الأخرى : الامتناع عن المعاصي والبعد عن المنكرات لولا التأييد الإلهي ، أنت بغرائزك البشرية لن تستطيع الامتناع والكف عنها..

ذكر أحدهم أنه جاء رجل إلى الشيخ وقال له : ادع الله لي أن يصيبني بالعمى! قال له الشيخ : ماهذا الكلام !؟؟ قال له أنا أتمنى أن اعمى ، لأني لا أستطيع أن أكف بصري عن النظر الى النساء ، لأنهن في كل مكان! سواء في الشاشات أو في الواقع!

لو انتبه هذا الرجل إلى هذه القضية بأن الإيمان هو الذي يكفه وليست مجاهدته لنفسه ، وأن تأييد الله له بروح منه يجعله يستطيع أن يغض بصره وأنه لو نظر الى امرأة! لا يكون لديك فارق بأن هذه شجرة أو امرأة ! جدار أو امرأة !! هذا الذي أيد بروح من الله أو بروح من الإيمان، يستطيع أن يكف عن سائر المعاصي ،﴿**وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ**﴾ [الحجرات ٧].

تلك كلها صفات للإيمان أسأل أن يرزقنا إياها وأن يغفر ذنوبنا ويستر عيوبنا، واختم بالصالحات أعمالنا ، وبالسعادة آجالنا، وبلغنا ما يرضيك عنا ، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا آتنا في الدنيا حسنه وفي الآخره حسنة وقنا عذاب النار ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون .

والحمد لله رب العالمين

**** *** ****

الموضع الرابع عشر

قوله تعالى : (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

نواصل بعون الله تبارك وتعالى حديثنا عن الآيات المادحات للمؤمنين والمؤمنات ، وفي هذه الحلقة يدور حديثنا حول أعظم مدح وثناء لأولئك المؤمنين حيث بلغوا الغاية التى ترتجى في هذه الدنيا ألا وهي محبة الله تعالى لهم فأخبر سبحانه مادحا لهم **(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)**.

جاء ذلك الثناء في عدد من الآيات منها:

قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة :54].

وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)[البقرة : 165**]**.

وقوله تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آل عمران :31].

ووقفتنا في توضيح معالم هذا الثناء لأهل الإيمان حيث نالوا محبة الرحمن من خلال أقوال العلماء في آية المائدة:

قال القشيري رحمه الله تعالى:قوله جلّ ذكره: **(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)**: جعل صفة من لا يرتدُّ عن الدين أن اللهَ يحبه ويحبُّ الله، وفي ذلك بشارة عظيمة للمؤمنين لأنه يجب أن يُعْلَمَ أن من كان غير مرتد فإنَّ الله يحبه.

وفي إشارة دقيقة فإن من كان مؤمناً يجب أن يكون لله محباً، فإذا لم تكن له محبة فالخطر بصحة إيمانه.

ومحبة الحق للعبد لا تخرج عن وجوه: إمَّا أن تكون بمعنى الرحمة عليه أو بمعنى اللطف والإحسان إليه، والمدح والثناء عليه.

وأمَّا محبة العبد لله – سبحانه – فهي حالة لطيفة يجدها في قلبه، وتحمله تلك الحالة على إيثارِ موافقة أمره، وتَرْكِ حظوظ نفسه، وإيثارِ حقوقه – سبحانه – بكل وجه.

وتحصل العبارة عن تلك الحالة على قدر ما تكون صفة العبد في الوقت الذي يعبَّر عنه؛ فيقال المحبة ارتياح القلب لوجود المحبوب، **ويقال المحبة** ذهاب المحِبِّ بالكلية في ذكر المحبوب، **ويقال المحبة** خلوص المحب لمحبوبه بكل وجه، **والمحبة** بلاء كل كريم، **والمحبة** نتيجة الهمة فمن كانت همته أعلى فمحبته أصفى بل أوفى بل أعلى.

ويقال المحبة دَهَشٌ في لقاء المحبوب يوجِب التعطُّلَ عن التمييز، ويقال المحبة بلاء لا يُرْجَى شفاؤه، وسقام لا يعرف دواؤه.

ثم بيَّن الله تعالى صفة المحبين فقال: **(أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ)**. يبذلون المهَجَ في المحبوب من غير كراهة، ويبذلون الأرواح في الذَبِّ عن المحبوب من غير ادخار شظية من الميسور.

ثم قال تعالى في صفتهم: (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) أي يجاهدون بنفوسهم من حيث استدامة الطاعة، ويجاهدون بقلوبهم بقطع المنى والمطالبات، ويجاهدون بأرواحهم بحذف العلاقات، ويجاهدون بأسرارهم بالاستقامة على الشهود في دوام الأوقات.

ثم قال: **(وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ)** أي لا يلاحظون نُصْحَ حميم، ولا يركنون إلى استقلال حكم، ولا يجنحون إلى حظ ونصيب، ولا يزيغون عن سَنَنِ الوفاء بحالٍ.

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى: المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها

كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولا قبل المحبة إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقال: لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال.

ثم قال رحمه الله تعالى: اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وأن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب.

ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**) وقوله تعالى (**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**) وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه.

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة منها: (**ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ**) متفق عليه.

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال:(**أحِبوا اللهَ لما يغْذوكم من نعَمِه ، وأحِبُّوني بحُبِّ اللهِ ، وأَحِبُّوا أهلَ بيتي بحُبِّي**) رواه الترمذي.

وقال يحيى بن معاذ: إلهي إني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيراً أخذتني إليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك ونقلتني وقلبتني في الأعمال ستراً وتوبةً وزهداً وشوقاً ورضاً وحباً تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازماً لأمرك ومشغوفاً بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيراً وقد اعتدت هذا منك صغيراً فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة إليك همهمة لأني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف.

وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإنما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به.

ثم قال رحمه الله تعالى: من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وحب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه.

ثم قال رحمه الله تعالى: جميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الأزلي الذي لا أول لوجوده الأبدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم إمكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت والمتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الأسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء الإقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين: (**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**).

**** *** ****

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

منزلة المحبة : وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون. وإليها شخص العاملون. وإلى علمها شمر السابقون. وعليها تفانى المحبون. وبروح نسيمها تروح العابدون. فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون. وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات. والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات. والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام. واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه. تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها. وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها. وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها. وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائما إلى الحبيب. وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب.

وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه. تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها. وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها. وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها. وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائما إلى الحبيب. وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب.

تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة. إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب. وقد قضى الله – يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة –: أن المرء مع من أحب. فيا لها من نعمة على المحبين سابغة.

تالله لقد سبق القوم السعاة، وهم على ظهور الفرش نائمون. وقد تقدموا الركب بمراحل، وهم في سيرهم واقفون.

من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدا وتجي في الأول

أجابوا منادي الشوق إذ نادى بهم: حي على الفلاح. وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم، وكان بذلهم بالرضا والسماح. وواصلوا إليه المسير بالإدلاج والغدو والرواح. تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم. وشكروا مولاهم على ما أعطاهم. وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح.

فَحَيَّهَلًا إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَّةٍ فَقَدْ حَدَا بِكَ حَادِي الشَّوْقِ فَاطْوِ الْمَرَاحِلَا

وَقُلْ لِمُنَادِي حُبِّهِمْ وَرِضَاهُمْ إِذَا مَا دَعَا لَبَّيْكَ أَلْفًا كَوَامِلَا

وَلَا تَنْظُرِ الْأَطْلَالَ مِنْ دُونِهِمْ فَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى الْأَطْلَالِ عُدْنَ حَوَائِلَا

وَلَا تَنْتَظِرْ بِالسَّيْرِ رُفْقَةَ قَاعِدٍ وَدَعْهُ فَإِنَّ الشَّوْقَ يَكْفِيكَ حَامِلَا

وَخُذْ مِنْهُمْ زَادًا إِلَيْهِمْ وَسِرْ عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالْفَقْرِ تُصْبِحُ وَاصِلَا

وَأَحْيِ بِذِكْرَاهُمْ سُرَاكَ إِذَا وَنَتْ رِكَابُكَ فَالذِّكْرَى تُعِيدُكَ عَامِلَا

وَإِمَّا تَخَافَنَّ الْكَلَالَ فَقُلْ لَهَا أَمَامُكِ وِرْدُ الْوَصْلِ فَابْغِ الْمَنَاهِلَا

وَخُذْ قَبَسًا مِنْ نُورِهِمْ ثُمَّ سِرْ بِهِ فَنُورُهُمْ يَهْدِيكَ لَيْسَ الْمَشَاعِلَا

وَحَيِّ عَلَى وَادِ الْأَرَاكَ فَقِلْ بِهِ عَسَاكَ تَرَاهُمْ فِيهِ إِنْ كُنْتَ قَائِلَا

وَإِلَّا فَفِي نُعْمَانَ عِنْدَ مُعَرِّفِ الْ أَحِبَّةِ فَاطْلُبْهُمْ إِذَا كُنْتَ سَائِلَا

وَإِلَّا فَفِي جَمْعٍ بِلَيْلَتِهِ فَإِنْ تَفُتْ ، فَمَتَى ؟ يَا وَيْحَ مَنْ كَانَ غَافِلَا

وَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ بِقُرْبِهِمْ مَنَازِلُكَ الْأُولَى بِهَا كُنْتَ نَازِلَا

وَلَكِنْ سَبَاكَ الْكَاشِحُونَ لِأَجْلِ ذَا وَقَفْتَ عَلَى الْأَطْلَالِ تَبْكِي الْمَنَازِلَا

فَدَعْهَا رُسُومًا دَارِسَاتٍ فَمَا بِهَا مَقِيلٌ فَجَاوِزْهَا فَلَيْسَتْ مَنَازِلَا

رُسُومٌ عَفَتْ يَفْنَى بِهَا الْخَلْقُ كَمْ بِهَا قَتِيلٌ ؟ وَكَمْ فِيهَا لِذَا الْخُلُقِ قَاتِلَا

وَخُذْ يَمْنَةً عَنْهَا عَلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي عَلَيْهِ سَرَى وَفْدُ الْمَحَبَّةِ آهِلَا

وَقُلْ سَاعِدِي يَا نَفْسُ بِالصَّبْرِ سَاعَةً فَعِنْدَ اللُّقَا ذَا الْكَدِّ يُصْبِحُ زَائِلَا

فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقَضِي وَيُصْبِحُ ذُو الْأَحْزَانِ فَرْحَانَ جَاذِلَا

ثم قال ابن القيم رحمه الله :

لَا تُحَدُّ الْمَحَبَّةُ بِحَدٍّ أَوْضَحَ مِنْهَا . فَالْحُدُودُ لَا تَزِيدُهَا إِلَّا خَفَاءً وَجَفَاءً . فَحَدُّهَا وُجُودُهَا . وَلَا تُوصَفُ الْمَحَبَّةُ بِوَصْفٍ أَظْهَرَ مِنَ الْمَحَبَّةِ. وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِي أَسْبَابِهَا وَمُوجِبَاتِهَا ، وَعَلَامَاتِهَا وَشَوَاهِدِهَا ، وَثَمَرَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا . فَحُدُودُهُمْ وَرُسُومُهُمْ دَارَتْ عَلَى هَذِهِ السِّتَّةِ . وَتَنَوَّعَتْ بِهِمُ الْعِبَارَاتُ . وَكَثُرَتِ الْإِشَارَاتُ ، بِحَسَبِ إِدْرَاكِ الشَّخْصِ وَمَقَامِهِ وَحَالِهِ، وَمِلْكِهِ لِلْعِبَارَةِ .

**** *** ****

من فوائد السعدي في الآية: قال رحمه الله:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**). يخبر تعالى أنه الغني عن العالمين، وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا، وإنما يضر نفسه. وأن لله عبادا مخلصين، ورجالا صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافا، وأقواهم نفوسا، وأحسنهم أخلاقا، أجلُّ صفاتهم أن الله: {**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**} فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لابد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: **(قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)**.

كما أن من لازم محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الله: (وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).

ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل.

**** *** ****

صفات الذين يحبهم الله تعالى ويحبونه :

قال صاحب تفسير المنار (بتصرف) :وصف الله هؤلاء الكملة من المؤمنين بست صفات:

الصفة الأولى: أنه تعالى يحبهم: فالحب من الصفات التي أسندت إلى الله تعالى في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، فهو تعالى يحب ويبغض كما يليق بشأنه، ولا يشبه حبه حب البشر، لأنه لا يشبه البشر **(ليس كمثله شيء)** [الشورى: 11] وكذلك علمه لا يشبه علم البشر، ولا قدرته تشبه قدرتهم.

فمحبته تعالى لمستحقيها من عباده شأن من شئونه اللائقة به، لا نبحث عن كنهها وكيفيتها، وحسن الجزاء من المغفرة والإثابة قد يكون من آثارها، قال تعالى : **(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آل عمران :31]. فجعل اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم سببا لمحبة الله تعالى للمتبعين وللمغفرة. فكل من المحبة والمغفرة جزاء مستقل; إذ العطف يقتضي المغايرة.

الصفة الثانية: أنهم يحبون الله تعالى، وحب المؤمنين الصادقين لله تعالى ثبت في آيات غير هذه من كتاب الله تعالى كقوله: **وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)**[البقرة : 165].

وفي حديث أنس المرفوع في الصحيحين: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) .

وحديثه الآخر في الصحيحين أيضاً: **جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب) قال أنس رضي الله عنه: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك.**

وقد تأول هذا الحب بعض الناس أيضا، قالوا: إن المراد به المواظبة على الطاعة; إذ يستحيل أن يحب الإنسان إلا ما يجانسه، ويرد هذا قوله تعالى: **(أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ)** [التوبة: 24] فإنه جعل الجهاد غير الحب، وحديث الأعرابي المذكور آنفا، فإنه فرق بين الحب والعمل، وجعل عدته للساعة الحب دون كثرة العمل الصالح. نعم، إن الحب يستلزم الطاعة ويقتضيها بسنة الفطرة، كما قيل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

**** *** ****

الصفتان الثالثة والرابعة: الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين، والمروي في تفسيرهما أنهما بمعنى قوله تعالى: **(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)** [الفتح: 29] وقال الزمخشري: " أذلة " جمع ذليل، وأما **(ذلول)** فجمعه ذلل **(ككتب)** ووجه قوله: **(أذلة على المؤمنين)** دون **(أذلة للمؤمنين)** بوجهين: **أحدهما** :أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف،كأنه قال: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم، وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم.

قال السعدي: **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)** فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله- أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: **(وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) وقال تعالى: (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)** فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى : ويفهم من هذه الآيات أن المؤمن يجب عليه أن لا يلين إلا في الوقت المناسب للين، وألا يشتد إلا في الوقت المناسب للشدة، لأن اللين في محل الشدة ضعف، وخور، والشدة في محل اللين حمق، وخرق، وقد قال أبو الطيّب المتنبي:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جَهل

الصفة الخامسة: الجهاد في سبيل الله، وهو من أخص صفات المؤمنين الصادقين، وأصل الجهاد احتمال الجهد والمشقة، وسبيل الله طريق الحق والخير الموصلة إلى مرضاة الله تعالى، وأعظم الجهاد بذل النفس والمال في قتال أعداء الحق، وهو أكبر آيات المؤمنين الصادقين.

وهل المراد بهذا الجهاد هنا قتال المرتدين، أم هو على إطلاقه؟ الظاهر الثاني، ولكنه يتناول مقاتلي المرتدين في الصدر الأول، أولا وبالأولى.

الصفة السادسة: كونهم لا يخافون لومة لائم، وجملة هذا الوصف معطوفة على التي قبلها أو مبينة لحال المجاهدين، وفيها تعريض بالمنافقين الذين كانوا يخافون لوم أوليائهم من اليهود لهم إذا هم قاتلوا مع المؤمنين، والأبلغ أن تكون للوصف المطلق؛ أي إنهم لتمكنهم في الدين، ورسوخهم في الإيمان لا يخافون لومة ما من أفراد اللوم أو أنواعه من لائم ما كائنا من كان؛ لأنهم لا يعملون العمل رغبة في جزاء أو ثناء من الناس، ولا خوفا من مكروه يصيبهم منهم؛ فيخافون لوم هذا أو ذاك، وإنما يعملون العمل لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وتقرير المعروف، وإزالة المنكر ابتغاء مرضاة الله تعالى بتزكية أنفسهم وترقيتها.

قال السعدي: **(وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ)** بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم.

**** *** ****

قوله تعالى : (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) :

قال صاحب تفسير المنار : أي ذلك الذي ذكر من الصفات الست فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، فيفضلون غيرهم به، وبما يترتب عليه من الأعمال، وقد بينا مرارا أن مشيئته، سبحانه، لمثل هذا الفضل، تجري بحسب سنته التي أقام بها أمر النظام في خلقه، فمنهم الكسب والعمل النفسي والبدني، ومنه سبحانه آلات الكسب والقوى البدنية والعقلية، والتوفيق والهداية الخاصة، واللطف والمعونة .

وقال الشعراوي رحمه الله تعالى: ويذيل الحق سبحانه هذا القول الكريم: (ذلك فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ) نعم إنه فضل من الله؛ لأنهم ما داموا يحبهم الله ويحبون الله وهم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين فقد جعلهم سبحانه حملة لواء منهجه لتكون كلمة الله هي العليا. وذلك تفضل من الله.

ولنعلم أن الخير لا يعود منا على الله؛ لأنه سبحانه هو واهب كل خير، ولم يأت لنا الخير من بعد خلقنا، ولكن نحن الذين طرأنا على الخير، نحن طرأنا على الأرض، وعلى السماء بما فيهما من كل كنوز الخير، ففي الأرض العناصر والمعادن والقوت، وفي السماء الشمس والقمر والنجوم، وكل ذلك فضل الخالق على المخلوق.

إن فضل الله يؤتيه سبحانه وتعالى من يشاء وتتسع قدرته لكل مطلوب؛ لذلك لا يمن المؤمن على الله بإيمانه، فليس عند الله أزمة في الذين يؤمنون به، وهو قادر على أن يأتي بقوم يحملون دعوته، فإذا ما ارتفعت رأس الباطل فهذا دليل على أن قطافها قد حان؛ لأن الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الأرض.

فكأن الله حين يندب المؤمنين لمهمة إيمانية فلا يقال: إن المؤمنين إنما يفعلون ذلك لمصلحة ربهم. لا، ولكن ذلك فضل من الله على المؤمنين حين يختارهم لمهمة حمل البلاغ عن الله، ويعود الخير إلى المؤمنين ثمرة مضاعفة. إذن فحين يكون اختيار الله للمؤمن لمهمة إيمانية فهذا

فضل من الله على المؤمن. ونعرف أن الفضل هو الأمر الزائد عن العدل فالحق سبحانه وتعالى قد قال: **(قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)** [يونس: 58].

ولهذا نجد الحق يقول: (قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمَانِ) [الحجرات: 17].

المنّة إذن لله حين تفضل على الخلق الذين أطاعوه بحسن حياتهم في إطار تكاليفه الإيمانية، وفوق ذلك هناك الثواب، وهذا هو عين التفضل من الحق على الخلق المؤمنين: **(قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)** [يونس: 58].

وساعة نسمع «بفضل الله» فلنعلم أن فضل الله لا حدود له. وقد نجد من يقول: ولكن الحق سبحانه وتعالى قال: **(وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سعى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يرى)** [النجم: 39-40].**ونقول:** لنفترض أن إنسانًا مات، ونجد الأمر من الخالق سبحانه وتعالى بأن نصلي عليه؛ لندعو له بالرحمة. ودعاؤنا للميت بالرحمة يأتي له بخير أكثر مما فعل هو في حياته، ولولا أن صلاتنا على الميت تثيب الميت وتثيبنا في آن واحد لولا ذلك ما أمرنا الحق بأداء هذه الصلاة.**وقد يقول قائل:** هذا الخير الذي يأتي إلى الميت من دعاء المصلين عليه ليس من سعي الميت، **ونقول:** إن «اللام» في قوله الحق: {**لِلإِنسَانِ**}هذه اللام تفيد الاستحقاق والملكية. وهو قول كريم يحدد العدل ولا يحدد الفضل.

ونضرب مثلًا من حياتنا نحن البشر- ولله المثل الأعلى- تجد السيد يقول للخادم عنده: إن لك أجرًا عندي يساوي مائة جنيه. ثم يجيء السيد في آخر الشهر ويقول للخادم: خذ مائة وخمسين جنيهًا. العدل إذن هو أن يأخذ الخادم أجره وهو مائة جنيه، ولكن الخمسين جنيهًا الزائدة هي الفضل الزائد عن الأجر.

إننا حين يأمرنا الحق سبحانه وتعالى بأن نصلي على الميت فهذا تفضل من الله على الميت وعلينا أيضًا. هذا لون من تفضل الله على خلقه. وسبحانه يجازي كل إنسان بما عمل ويمنحه

فوق ذلك، ومن قصّر في شيء من العمل. ويصلي عليه الناس ويدعون له بالرحمة فتفيض رحمة الله على العبد وعلى غيره من العباد. وهذا هو مناط قول الحق: **{قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [يونس: 58].

❋❋❋❋ ❋❋❋ ❋❋❋❋

الموضع الخامس عشر

قوله تعالى : (رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ)

نواصل بعون الله تبارك وتعالى حديثنا عن الآيات المادحات للمؤمنين والمؤمنات ، وفي هذه الحلقة يدور حديثنا حول أعظم مدح وثناء لأولئك المؤمنين حيث منحهم أجمل وصف وأثني عليهم أبلغ ثناء فقال تعالى (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ) **ولا أظن وراء ذلك مرمى ولا أن بعده هدفا يرجى أو غاية يلتفت لها، جاء ذلك الثناء في عدد من الآيات منها:**

قوله تعالى :﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة 119].

وقوله تعالى :﴿وَيُدْخِلُهم جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ورَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ألا إنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] .**وقوله تعالى :﴿خالِدِينَ فِيها أبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ورَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ﴾** [البينة: ٨]. **وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾** [التوبة ٧٢]. **وقوله تعالى : ﴿والسّابِقُونَ الأوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهم بِإحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ورَضُوا عَنْهُ وأعَدَّ لَهم جَنّاتٍ تَجْرِي تَحْتَها الأنْهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾** [التوبة: ١٠٠]. **سنقف مع ثلاث آيات لنعلم حقيق الرضا الذي مدح الله به المؤمنين والمؤمنات:**

الوقفة الأولى مع آية المائدة: قوله تعالى :(قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ) [المائدة 119].

**** *** ****

الفرق بين الرضا بالله والرضا عنه من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى:

جاء في تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى:

فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآياتُ: جَزاءَهم عَلى صِدْقِهِمْ وإيمانِهِمْ، وأعْمالِهِمُ الصّالِحَةِ، ومُجاهَدَةِ أعْدائِهِ، وعَدَمِ ولايَتِهِمْ، بِأنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم. فَأرْضاهم. فَرَضُوا عَنْهُ. وإنَّما حَصَلَ لَهم هَذا بَعْدَ الرِّضا بِهِ رَبًّا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وبِالإسْلامِ دِينًا. **ها هُنا ثَلاثَةُ أُمُورٍ:** الرِّضاءُ بِاللَّهِ، والرِّضا عَنِ اللَّهِ، والرِّضا بِقَضاءِ اللَّهِ.

فالرِّضا بِهِ رَبًّا فَرْضٌ. بَلْ هو مِن آكَدِ الفُرُوضِ بِاتِّفاقِ الأُمَّةِ. فَمَن لَمْ يَرْضَ بِهِ رَبًّا، لَمْ يَصِحَّ لَهُ إسْلامٌ ولا عَمَلٌ ولا حالٌ.**وَأمّا الرِّضا بِقَضائِهِ: فَأكْثَرُ النّاسِ عَلى أنَّهُ مُسْتَحَبٌّ.** ولَيْسَ بِواجِبٍ.**وَقِيلَ:** بَلْ هو واجِبٌ، وهُما قَوْلانِ في مَذْهَبِ أحْمَدَ.

فالفَرْقُ بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ فَرْقُ ما بَيْنَ الفَرْضِ والنَّدْبِ. وفي الحَدِيثِ الإلَهِيِّ الصَّحِيحِ **(يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: ما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أداءِ ما افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ)** فَدَلَّ عَلى أنَّ التَّقَرُّبَ إلَيْهِ سُبْحانَهُ بِأداءِ فَرائِضِهِ أفْضَلُ وأعْلى مِنَ التَّقَرُّبِ إلَيْهِ بِالنَّوافِلِ.

وَأيْضًا: فَإنَّ الرِّضا بِهِ رَبًّا يَتَضَمَّنُ الرِّضا عَنْهُ، ويَسْتَلْزِمُهُ. فَإنَّ الرِّضا بِرُبُوبِيَّتِهِ: هو رِضا العَبْدِ بِما يَأْمُرُهُ بِهِ، ويَنْهاهُ عَنْهُ، ويَقْسِمُهُ لَهُ ويُقَدِّرُهُ عَلَيْهِ، ويُعْطِيهِ إيّاهُ، ويَمْنَعُهُ مِنهُ. فَمَتى لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَضِيَ بِهِ رَبًّا مِن جَمِيعِ الوُجُوهِ. وإنْ كانَ راضِيًا بِهِ رَبًّا مِن بَعْضِها. فالرِّضا بِهِ رَبًّا مِن كُلِّ وجْهٍ: يَسْتَلْزِمُ الرِّضا عَنْهُ، ويَتَضَمَّنُهُ بِلا رَيْبٍ.

وَأيْضًا: فالرِّضا بِهِ رَبًّا مُتَعَلِّقٌ بِذاتِهِ، وصِفاتِهِ وأسْمائِهِ، ورُبُوبِيَّتِهِ العامَّةِ والخاصَّةِ، فَهو الرِّضا بِهِ خالِقًا ومُدَبِّرًا، وآمِرًا وناهِيًا، ومَلِكًا، ومُعْطِيًا ومانِعًا، وحَكَمًا، ووَكِيلًا ووَلِيًّا، وناصِرًا ومُعِينًا، وكافِيًا وحَسِيبًا ورَقِيبًا، ومُبْتَلِيًا ومُعافِيًا، وقابِضًا وباسِطًا، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِن صِفاتِ رُبُوبِيَّتِهِ.

وَأمّا الرِّضا عَنْهُ: فَهو رِضا العَبْدِ بِما يَفْعَلُهُ بِهِ، ويُعْطِيهِ إيّاهُ، ولِهَذا لَمْ يَجِئْ إلّا في الثَّوابِ والجَزاءِ. كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿**ياأيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾ [الفجر: ٢٧] فَهَذا بِرِضاها عَنْهُ لِما حَصَلَ لَها مِن كَرامَتِهِ. كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿**خالِدِينَ فِيها أبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ورَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ [البينة: ٨]. **والرِّضا بِهِ:** أصْلُ الرِّضا عَنْهُ، والرِّضا عَنْهُ: ثَمَرَةُ الرِّضا بِهِ. **وَسِرُّ المَسْألَةِ:** أنَّ الرِّضا بِهِ مُتَعَلِّقٌ بِأسْمائِهِ وصِفاتِهِ. والرِّضا عَنْهُ: مُتَعَلِّقٌ بِثَوابِهِ وجَزائِهِ.

وَأيْضًا: فَإنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّقَ ذَوْقَ طَعْمِ الإيمانِ بِمَن رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا. ولَمْ يُعَلِّقْهُ بِمَن رَضِيَ عَنْهُ، كَما قالَ صلى الله عليه وسلم **(ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وبِالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا).** فَجَعَلَ الرِّضا بِهِ قَرِينَ الرِّضا بِدِينِهِ ونَبِيِّهِ. وهَذِهِ الثَّلاثَةُ هي أُصُولُ الإسْلامِ، الَّتِي لا يَقُومُ إلّا بِها وعَلَيْها.

وَأيْضًا: فالرِّضا بِهِ رَبًّا يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدَهُ وعِبادَتَهُ، والإنابَةَ إلَيْهِ، والتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وخَوْفَهُ ورَجاءَهُ ومَحَبَّتَهُ، والصَّبْرَ لَهُ وبِهِ. والشُّكْرُ عَلى نِعَمِهِ: يَتَضَمَّنُ رُؤْيَةَ كُلِّ ما مِنهُ نِعْمَةً وإحْسانًا، وإنْ ساءَ عَبْدُهُ. فالرِّضا بِهِ يَتَضَمَّنُ شَهادَةَ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ والرِّضا بِمُحَمَّدٍ رَسُولًا يَتَضَمَّنُ شَهادَةَ أنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ والرِّضا بِالإسْلامِ دِينًا: يَتَضَمَّنُ التِزامَ عُبُودِيَّتِهِ، وطاعَتَهُ وطاعَةَ رَسُولِهِ. فَجَمَعَتْ هَذِهِ الثَّلاثَةُ الدِّينَ كُلَّهُ.

وَأيْضًا: فالرِّضا بِهِ رَبًّا يَتَضَمَّنُ اتِّخاذَهُ مَعْبُودًا دُونَ ما سِواهُ؛ واتِّخاذَهُ ولِيًّا ومَعْبُودًا، وإبْطالَ عِبادَةِ كُلِّ ما سِواهُ. وقَدْ قالَ تَعالى لِرَسُولِهِ ﴿**أفَغَيْرَ اللَّهِ أبْتَغِي حَكَمًا**﴾ [الأنعام: ١١٤] وقالَ ﴿**أغَيْرَ اللَّهِ أتَّخِذُ ولِيًّا**﴾ [الأنعام: ١٤] وقالَ ﴿**قُلْ أغَيْرَ اللَّهِ أبْغِي رَبًّا وهو رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فَهَذا هو عَيْنُ الرِّضا بِهِ رَبًّا.

وَأيْضًا: فَإنَّهُ جَعَلَ حَقِيقَةَ الرِّضا بِهِ رَبًّا: أنْ يَسْخَطَ عِبادَةَ ما دُونَهُ. فَمَتى سَخِطَ العَبْدُ عِبادَةَ ما سِوى اللَّهِ مِنَ الآلِهَةِ الباطِلَةِ، حُبًّا وخَوْفًا، ورَجاءً وتَعْظِيمًا، وإجْلالًا – فَقَدْ تَحَقَّقَ بِالرِّضا بِهِ رَبًّا، الَّذِي هو قُطْبُ رَحى الإسْلامِ.

وَإِنَّما كانَ قُطْبَ رَحى الدِّينِ لِأنَّ جَمِيعَ العَقائِدِ والأعْمالِ، والأحْوالِ: إنَّما تَنْبَنِي عَلى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ في العِبادَةِ، وسُخْطِ عِبادَةِ ما سِواهُ. فَمَن لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذا القُطْبُ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحًى تَدُورُ عَلَيْهِ. ومَن حَصَلَ لَهُ هَذا القُطْبُ ثَبَتَتْ لَهُ الرَّحى. ودارَتْ عَلى ذَلِكَ القُطْبِ. فَيَخْرُجُ حِينَئِذٍ مِن دائِرَةِ الشِّرْكِ إلى دائِرَةِ الإسْلامِ. فَتَدُورُ رَحى إسْلامِهِ وإيمانِهِ عَلى قُطْبِها الثّابِتِ اللّازِمِ.

وَأيْضًا: فَإنَّهُ جَعَلَ حُصُولَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الرِّضا مَوْقُوفًا عَلى كَوْنِ المَرْضِيِّ بِهِ رَبًّا – سُبْحانَهُ – أحَبَّ إلى العَبْدِ مِن كُلِّ شَيْءٍ، وأوْلى الأشْياءِ بِالتَّعْظِيمِ، وأحَقَّ الأشْياءِ بِالطّاعَةِ، ومَعْلُومٌ أنَّ هَذا يَجْمَعُ قَواعِدَ العُبُودِيَّةِ، ويُنَظِّمُ فُرُوعَها وشُعَبَها.

وقال الرازي: قَوْلُهُ تَعالى: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ورَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ [المائدة 119]. فَهو إشارَةٌ إلى التَّعْظِيمِ. هَذا ظاهِرُ قَوْلِ المُتَكَلِّمِينَ، وأمّا عِنْدَ أصْحابِ الأرْواحِ المُشْرِقَةِ بِأنْوارِ جَلالِ اللَّهِ تَعالى، فَتَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ورَضُوا عَنْهُ**﴾ أسْرارٌ عَجِيبَةٌ لا تَسْمَحُ الأقْلامُ بِمِثْلِها، جَعَلَنا اللَّهُ مِن أهْلِها، فَإنَّهُ ثَبَتَ عِنْدَ أرْبابِ الألْبابِ أنَّ جُمْلَةَ الجَنَّةِ بِما فِيها بِالنِّسْبَةِ إلى رِضْوانِ اللَّهِ كالعَدَمِ بِالنِّسْبَةِ إلى الوُجُودِ، وكَيْفَ والجَنَّةُ مَرْغُوبُ الشَّهْوَةِ، والرِّضْوانُ صِفَةُ الحَقِّ، وأيُّ مُناسَبَةٍ بَيْنَهُما، وهَذا الكَلامُ يَشْمَئِزُّ مِنهُ طَبْعُ المُتَكَلِّمِ الظّاهِرِيِّ، ولَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ.

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى:أن الرضا يُثمِر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا، وبرد القناعة واغتباط العبد بقسمه من ربّه، وفرحه بقيام مولاه عليه واستسلامه لمولاه في كل شيء ورضاه منه بما يجريه عليه وتسليمه له الأحكام والقضايا، واعتقاد حسن تدبيره وكمال حكمته، ويذهب عنه شكوى ربّه إلى غيره وتبرمه بأقضيته .. " [مدارج السالكين (2،220)].

**** *** ****

علامة رضاه عنك أنك ترضى عنه :

قال الدكتور محمد راتب النابلسي: علامة رضاه عنك أنك ترضى عنه ، والله أخ طبيب بالمستشفى جاءه مريض معه ورم خبيث منتشر بأمعائه، جلس في غرفة، كلما زاره رجل يقول له: اشهد أنني راضٍ عن الله، يا رب لك الحمد، عجيب! هذه الغرفة استقطبت الناس، يدخل الطبيب يرتاح، الممرض يرتاح، هناك أنوار في هذه الغرفة، وآلام لا تحتمل، صابر، وكلما جاءه شخص يقول له: يا رب إنني راضٍ عنك فارضَ عني، اشهد يا أخي أنني راضٍ عن الله، أربعة أيام أو خمسة توفاه الله، و هذه الغرفة منورة، وفيها تجليات رائعة.

أي المؤمن راض عن الله حتى في أشد الحالات صعوبة، حتى في المرض الشديد، راض لا يتكلم كلمة.

أخ من أخواننا توفاه الله بمرض خبيث، تقول زوجته: سنتان لم يتكلم كلمة غلطاً، سنتان و هو يعاني من آلام لا تحتمل، هذا حال الرضا، حال كبير جداً، أرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون من هؤلاء، العلماء قالوا: الرضا باب الله الأعظم.

الحقيقة: عندما يرضى بالله رباً يستقيمُ على أمرِهِ، وبالإسلامِ ديناً يتبّعُ أحكامَهُ، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيّاً يقتدي بِسُنتِهِ، إذاً: ليست لهُ ذنوب عندئذٍ تُمحى ذنوبُهُ وتُقبَلُ التوبة.

في نقطة دقيقة في الموضوع: الرِضا كسبيّ كما قُلت قبلَ قليل, يعني أنتَ إذا عرفتَ اللهَ رضيتَ عنه.

يعني إذا كان طفل صغير، رأى صديقَهُ يتلقّى ضرباتٍ من والِدِهِ, يقول هذا الطفل الصغير: هذا الأب ظالم، أمّا إذا كُنتَ أباً، وتعرِفُ مشاعِرَ الأب تجاهَ ابنِهِ، وحِرصَهُ على أخلاق ابنِهِ، وحِرصَهُ على مستقبل ابنِهِ، ورأى ابنَهُ منحرِفاً قليلاً فأدّبَهُ، فالأب يُفسّر التأديب لا

على أنهُ ظُلم، فسّرُهُ على أنهُ رحمة وحِكمة وعدل وحُب وتربية، فكُلما ارتقى مستواكَ الإيمانيّ ارتقى مع مستواكَ الإيمانيّ رِضاكَ عن الله عزّ وجل .

لذلك قالوا: من رضي عن ربِهِ فقد عَرَفَهُ، ومن عَرَفَ ربَهُ رضي عن ربِهِ.

يعني الرضا عن الله علامة معرِفة، ومعرِفةُ الله عزّ وجل تُثمِرُ الرِضا، علاقة تقابِل.

في نقطة دقيقة: هوَ أنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى حينما خلقَ العِباد خلقَهم ليُسعِدَهُم إذاً: هوَ أحبَّهُم لكن حينما هُم يستقيمونَ على أمرِهِ ويعبدونَهُ حقَّ العِبادة ويُحبونَهُ يُحِبهُم محبةً أُخرى ، واحد كرّمَ ابنَه دليل محبته أمّا حينما يكونُ هذا الابنُ بارّاً بأبيه يأتي حُبٌ آخر حُبُ البِرّ هُناكَ حُبُ النبوة وهُناكَ حُبُ البِرّ.

لذلك: أنتَ حينما ترضى عن اللهِ عزّ وجل يرضى اللهُ عنك؛ لأنكَ رضيتَ عنه، يعني أجمل موقف أنهُ عبد مؤمن تأتيهِ مُصيبة فيُخاطِبُ اللهَ عزّ وجل، يقول: يارب إني راضٍ عنك.

**** *** ****

الوقفة الثانية مع آية البينة :

قوله تعالى: ﴿خالِدِينَ فِيها أبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ورَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].قال الرازي رحمه الله تعالى:

اعْلَمْ أنَّهُ تَعالى لَمّا وصَفَ الجَنَّةَ أتْبَعَهُ بِما هو أفْضَلُ مِنَ الجَنَّةِ وهو الخُلُودُ أوَّلًا والرِّضا ثانِيًا، ورُوِيَ أنَّهُ – عَلَيْهِ السَّلامُ –قالَ: «إنَّ الخُلُودَ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الجَنَّةِ، ورِضا اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الجَنَّةِ»

أمّا الصِّفَةُ الأُولى: وهي الخُلُودُ، فاعْلَمْ أنَّ اللَّهَ وصَفَ الجَنَّةَ مَرَّةً بِجَنّاتِ عَدْنٍ، ومَرَّةً بِجَنّاتِ النَّعِيمِ، ومَرَّةً بِدارِ السَّلامِ، وهَذِهِ الأوْصافُ الثَّلاثَةُ إنَّما حَصَلَتْ لِأنَّكَ رَكَّبْتَ إيمانَكَ مِن أُمُورٍ ثَلاثَةٍ: اعْتِقادٍ وقَوْلٍ وعَمَلٍ.

وأمّا الصِّفَةُ الثّانِيَةُ: وهي الرِّضا، فاعْلَمْ أنَّ العَبْدَ مَخْلُوقٌ مِن جَسَدٍ ورُوحٍ، فَجَنَّةُ الجَسَدِ هي الجَنَّةُ المَوْصُوفَةُ، وجَنَّةُ الرُّوحِ هي رِضا الرَّبِّ، والإنْسانُ مُبْتَدَأُ أمْرِهِ مِن عالَمِ الجَسَدِ ومُنْتَهى أمْرِهِ مِن عالَمِ العَقْلِ والرُّوحِ، فَلا جَرَمَ ابْتَدَأ بِالجَنَّةِ وجَعَلَ المُنْتَهى هو رِضا اللَّهِ، ثُمَّ إنَّهُ قَدَّمَ رِضى اللَّهِ عَنْهم عَلى قَوْلِهِ: ﴿ورَضُوا عَنْهُ﴾ لِأنَّ الأزَلِيَّ هو المُؤَثِّرُ في المُحْدَثِ، والمُحْدَثُ لا يُؤَثِّرُ في الأزَلِيِّ.

إنَّما قالَ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ولَمْ يَقُلْ: رَضِيَ الرَّبُّ عَنْهم ولا سائِرَ الأسْماءِ؛ لِأنَّ أشَدَّ الأسْماءِ هَيْبَةً وجَلالَةً لَفْظُ اللَّهِ، لِأنَّهُ هو الِاسْمُ الدّالُّ عَلى الذّاتِ والصِّفاتِ بِأسْرِها أعْنِي صِفاتِ الجَلالِ وصِفاتِ الإكْرامِ، فَلَوْ قالَ: رَضِيَ الرَّبُّ عَنْهم لَمْ يُشْعِرْ ذَلِكَ بِكَمالِ طاعَةِ العَبْدِ لِأنَّ المُرَبِّيَ قَدْ يَكْتَفِي بِالقَلِيلِ، أمّا لَفْظُ اللَّهِ فَيُفِيدُ غايَةَ الجَلالَةِ والهَيْبَةِ، وفي مِثْلِ هَذِهِ الحَضْرَةِ لا يَحْصُلُ الرِّضا إلّا بِالفِعْلِ الكامِلِ والخِدْمَةِ التّامَّةِ، فَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يُفِيدُ تَطْرِيَةَ فِعْلِ العَبْدِ مِن هَذِهِ الجِهَةِ.

اخْتَلَفُوا في قَوْلِهِ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فَقالَ بَعْضُهم: مَعْناهُ رَضِيَ أعْمالَهم، وقالَ بَعْضُهم: المُرادُ رَضِيَ بِأنْ يَمْدَحَهم ويُعَظِّمَهم، قالَ: لِأنَّ الرِّضا عَنِ الفاعِلِ غَيْرُ الرِّضا بِفِعْلِهِ، وهَذا هو الأقْرَبُ، وأمّا قَوْلُهُ: ﴿ورَضُوا عَنْهُ﴾ فالمُرادُ أنَّهُ رَضُوا بِما جازاهم مِنَ النَّعِيمِ والثَّوابِ.

أمّا قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فَفِيهِ مَسائِلُ:

المَسْألَةُ الأُولى: الخَوْفُ في الطّاعَةِ حالٌ حَسَنَةٌ قالَ تَعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وقُلُوبُهم وجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] ولَعَلَّ الخَشْيَةَ أشَدُّ مِنَ الخَوْفِ: لِأنَّهُ تَعالى ذَكَرَهُ في صِفاتِ المَلائِكَةِ

مَقْرُونًا بِالإشْفاقِ الَّذِي هو أشَدُّ الخَوْفِ فَقالَ: ﴿هم مِن خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧] والكَلامُ في الخَوْفِ والخَشْيَةِ مَشْهُورٌ.

المَسْألَةُ الثّانِيَةُ: هَذِهِ الآيَةُ إذا ضُمَّ إلَيْها آيَةٌ أُخْرى صارَ المَجْمُوعُ دَلِيلًا عَلى فَضْلِ العِلْمِ والعُلَماءِ، وذَلِكَ لِأنَّهُ تَعالى قالَ: ﴿إنَّما يَخْشى اللَّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فَدَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلى أنَّ العالِمَ يَكُونُ صاحِبَ الخَشْيَةِ، وهَذِهِ الآيَةُ وهي قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ﴾ تَدُلُّ عَلى أنَّ صاحِبَ الخَشْيَةِ تَكُونُ لَهُ الجَنَّةُ، فَيَتَوَلَّدُ مِن مَجْمُوعِ الآيَتَيْنِ أنَّ الجَنَّةَ حَقُّ العُلَماءِ.

المَسْألَةُ الثّالِثَةُ: قالَ بَعْضُهم: هَذِهِ الآيَةُ تَدُلُّ عَلى أنَّ المَرْءَ لا يَنْتَهِي إلى حَدٍّ يَصِيرُ مَعَهُ آمِنًا بِأنْ يَعْلَمَ أنَّهُ مِن أهْلِ الجَنَّةِ، وجَعَلَ هَذِهِ الآيَةَ دالَّةً عَلَيْهِ. وهَذا المَذْهَبُ غَيْرُ قَوِيٍّ؛ لِأنَّ الأنْبِياءَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ قَدْ عَلِمُوا أنَّهم مِن أهْلِ الجَنَّةِ، وهم مَعَ ذَلِكَ مِن أشَدِّ العِبادِ خَشْيَةً لِلَّهِ تَعالى، كَما قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «أعْرَفُكم بِاللَّهِ أخْوَفُكم مِنَ اللَّهِ، وأنا أخْوَفُكم مِنهُ» واللَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أعْلَمُ. وصَلّى اللَّهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

**** *** ****

الوقفة الثالثة مع آية التوبة :

قوله تعالى : (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) [التوبة ٧٢].

قال الآلوسي رحمه الله تعالى: ﴿ورِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أيْ وقَدْرٌ يَسِيرٌ مِن رِضْوانِهِ سُبْحانَهُ (أكْبَرُ) ولِقَصْدِ إفادَةِ ذَلِكَ عَدَلَ عَنْ رِضْوانِ اللَّهِ الأحْصَرِ إلى ما في النَّظْمِ الجَلِيلِ، وقِيلَ: إفادَةُ العُدُولِ كَوْنُ ما ذُكِرَ أظْهَرَ في تَوَجُّهِ الرِّضْوانِ إلَيْهِمْ، ولَعَلَّهُ إنَّما لَمْ يُعَبِّرْ بِالرِّضا تَعْظِيمًا لِشَأْنِ اللَّهِ تَعالى في نَفْسِهِ لِأنَّ في الرِّضْوانِ مِنَ المُبالَغَةِ ما لا يَخْفى، ولِذَلِكَ لَمْ يُسْتَعْمَلْ في القُرْآنِ إلّا في

رِضاءِ اللَّهِ سُبْحانَهُ، وإنَّما كانَ ذَلِكَ أكْبَرَ لِأنَّهُ مَبْدَأٌ لِحُلُولِ دارِ الإقامَةِ ووُصُولِ كُلِّ سَعادَةٍ وكَرامَةٍ وهو غايَةُ أرَبِ المحِبِّينَ ومُنْتَهى أُمْنِيَةِ الرّاغِبِينَ.

وقَدْ أخْرَجَ الشَّيْخانِ، وغَيْرُهُما عَنْ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: **(قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ تَعالى عَلَيْهِ وسَلَّمَ:** «إنَّ اللَّهَ تَعالى يَقُولُ لِأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ والخَيْرُ في يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنا وما لَنا لا نَرْضى وقَدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: ألا أُعْطِيكم أفْضَلَ مِن ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وأيُّ شَيْءٍ أفْضَلُ مِن ذَلِكَ يا رَبَّنا؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكم رِضْوانِي فَلا أسْخَطُ عَلَيْكم بَعْدَهُ أبَدًا) **ولَعَلَّ عَدَمَ نَظْمِ هَذا الرِّضْوانِ في سِلْكِ الوَعْدِ عَلى طَرْزِ ما تَقَدَّمَ مَعَ عِزَّتِهِ في نَفْسِهِ لِأنَّهُ مُتَحَقِّقٌ في ضِمْنِ كُلِّ مَوْجُودٍ ولِأنَّهُ مُسْتَمِرٌّ في الدّارَيْنِ .**

﴿**ذَلِكَ**﴾ **أيْ: جَمِيعُ ما ذُكِرَ** ﴿**هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ دُونَ ما يَعُدُّهُ النّاسُ فَوْزًا مِن حُظُوظِ الدُّنْيا، فَإنَّها مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ فَنائِها وتَغَيُّرِها وتَنَغُّصِها بِالآلامِ لَيْسَتْ بِالنِّسْبَةِ إلى أدْنى شَيْءٍ مِن نَعِيمِ الآخِرَةِ إلّا بِمَثابَةِ جَناحِ البَعُوضِ، وفي الحَدِيثِ **(لَوْ كانَتِ الدُّنْيا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ ما سَقى مِنها كافِرًا شَرْبَةَ ماءٍ).**

ولِلَّهِ دَرُّ مَن قالَ:

تاللَّهِ لَوْ كانَتِ الدُّنْيا بِأجْمَعِها تَبْقى عَلَيْنا وما مِن رِزْقِها رَغَدا

ما كانَ مِن حَقِّ حُرٍّ أنْ يَذِلَّ بِها فَكَيْفَ وهي مَتاعٌ يَضْمَحِلُّ غَدا

وجاء في تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى:

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأنْهارُ خالِدِينَ فِيها ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدْنٍ ورِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أكْبَرُ﴾ كيف جاء بالرضوان مبتدأ منكرا مخبرا عنه بأنه أكبر من كل ما وعدوا به فأيسر شيء من رضوانه أكبر من الجنات وما فيها من

المساكن الطيبة وما حوته، ولهذا لما يتجلى لأوليائه في جنات عدن ويمنيهم أي شيء يريدون فيقولون ربنا وأي شيء نريد أفضل مما أعطيتنا؟ فيقول تبارك وتعالى: (**إن لكم عندي أفضل من ذلك أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا**).

ثم قال فائدة : إنَّ رِضا اللَّهِ عَنِ العَبْدِ أَكْبَرُ مِنَ الجَنَّةِ وما فِيها. لِأَنَّ الرِّضا صِفَةُ اللَّهِ والجَنَّةَ خَلْقُهُ، قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] **بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأنْهارُ خالِدِينَ فِيها ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدْنٍ ورِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هو الفَوْزُ العَظِيمُ﴾.**

وَهَذا الرِّضا جَزاءٌ عَلى رِضاهم عَنْهُ في الدُّنْيا، ولَمّا كانَ هَذا الجَزاءُ أَفْضَلَ الجَزاءِ، كانَ سَبَبُهُ أَفْضَلَ الأعْمالِ.

إنَّ العَبْدَ إذا رَضِيَ بِهِ وعَنْهُ في جَمِيعِ الحالاتِ: لَمْ يَتَخَيَّرْ عَلَيْهِ المسائِلَ. وأَغْناهُ رِضاهُ بِما يَقْسِمُهُ لَهُ ويُقَدِّرُهُ ويَفْعَلُهُ بِهِ عَنْ ذَلِكَ. وجَعَلَ ذِكْرَهُ في مَحَلِّ سُؤالِهِ. بَلْ يَكُونُ مِن سُؤالِهِ لَهُ الإعانَةُ عَلى ذِكْرِهِ، وبُلُوغُ رِضاهُ. فَهَذا يُعْطى أَفْضَلَ ما يُعْطاهُ سائِلٌ. كَما جاءَ في الحَدِيثِ (**مَن شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْألَتِي أعْطَيْتُهُ أفْضَلَ ما أُعْطِي السّائِلِينَ**) رواه الترمذي هذا حديث حسن غريب.

فَإنَّ السّائِلِينَ سَألُوهُ فَأعْطاهُمُ الفَضْلَ الَّذِي سَألُوهُ والرّاضُونَ رَضُوا عَنْهُ فَأعْطاهم رِضاهُ عَنْهُمْ، ولا يَمْنَعُ الرِّضا سُؤالُهُ أسْبابَ الرِّضا، بَلْ أصْحابُهُ مُلِحُّونَ في سُؤالِهِ ذَلِكَ.

ثم قال فائدة أخرى : يَسِيرٌ مِن رِضْوانِهِ – ولا يُقالُ لَهُ يَسِيرٌ – أَكْبَرُ مِنَ الجَنّاتِ وما فِيها.

وَفِي حَدِيثِ الرُّؤْيَةِ : (**فَواللَّهِ ما أعْطاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أحَبَّ إلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلى وجْهِهِ**) أخرجه مسلم.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : (**إنَّهم إذا رَأوْهُ – سُبْحانَهُ – لَمْ يَلْتَفِتُوا إلى شَيْءٍ مِمّا هم فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، حَتّى يَتَوارى عَنْهُمْ**) أخرجه ابن ماجه والآجري في «الشريعة».

والحمد لله رب العالمين

❋❋❋❋ ❋❋❋ ❋❋❋❋

الخاتمة

إن كان شيئا يقال في الخاتمة فهو : أن يكون ديدن العبد التأمل في تلك الآيات وتكرار النظر فيها مجردة أو مقترنة بتفسيرها والبحث عن مثيلاتها ؛ لأنه مما لا شك فيه أن ذلك مما يزيد في إيمان العبد ويقوي صلته بربه تعالى ، وذلك يدفع العبد دفعا إلى العمل الصالح والتلذذ به كما قال بعضهم إن هناك (ك) في القرآن تسمى ب(بالكاف التلذذية) وهي قوله تعالى (إياك نعبد) ، فكأنه يشير إلى أن الله تعالى شرفه بالنطق بها بين يديه في الصلاة فهو يريد أن يتلذذ بمخاطبته لربه.

ثم مما يمكننا أن ننوه عليه : أن القرآن الكريم ملئ بمعاني الكمال والجلال والجمال لله تعالى وذلك يحتاج منا إلى التأمل في الآيات التي تتحدث عن الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وهذا مما يزيد العبد معارف جديدة بربه تعالى ، وبذلك يصل المتدبر إلي الأنس بالله تعالى ويشعر بالألطاف الإلهية في حياته بل في حركاته وسكناته .

هي كثيرة تلك الموضوعات القرآنية المتعلقة بالإيمان ، فهناك آيات تتكلم عن حقيقة الإيمان وصفاته وأنواره وما يقويه وما يثبته ،كما أنك تجد فيه آيات صفات المؤمنين ، والآيات المبشرات للمؤمنين ، وغير ذلك ، وكما قال علي رضي الله عنه (لا تنقضي عجائبه).

والله أعلم وصلى على سيدنا محمد وآله وسلم.

قائمة المراجع

القرآن الكريم .

كتب التفسير:

التسهيل لعلوم التنزيل – ابن جزي.

تفسير القرطبي.

تفسير ابن كثير.

تفسير الرازي.

تفسير السعدي.

أضواء البيان – للشنقيطي.

تفسير المنار – للسيد محمد رشيد رضا.

التفسير الوسيط – للطنطاوي .

تفسير الشعرواي.

كتب الحديث :

صحيح البخاري.

صحيح مسلم.

سنن الترمذي.

سنن النسائي.

سنن أبي داود.

مسند أحمد.

الأدب المفرد – للبخاري.

مجمع الزوائد – للهيثمي.

الجامع الصغير – للسيوطي.

صحيح الترغيب والترهيب – للألباني.

صحيح الأدب المفرد – للألباني.

كتب الرقائق:

إحياء علوم الدين – للغزالي.

مدارج السالكين – لابن القيم.

الوابل الصيب – لابن القيم.

مواقع الإنترنت:

موقع الشبكة الإسلامية.

موقع شبكة الألوكة الشرعية.

موقع ملتقى الفقهاء.

موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية.

المحتويات

م	الموضوع	الصفحة

1	المقـدمــة.	3
2	الموضع الأول : قوله تعالى : (ربنا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ).	6
3	فوائد من قوله تعالى :(رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ).	8
4	يجب أن نأخذ منها معنى هاما وهو الإلتفات إلى جانب الربوبية كلمة (رب).	10
5	ثم توسلوا إلى الله بإيمانهم فقالوا في دعائهم.	14
6	الموضع الثاني : قوله تعالى : (فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً).	16
7	وقد وردت مادة نعمة ومشتقاتها في القرآن الكريم على عدة معان.	17
8	هل تعلم ما معنى أن تشعر بأنك مؤمن بالله؟	20
9	رؤيا رءاها شيخنا الشيخ عثمان صلاح رحمه الله توكيف نتعامل مع المسئ.	24
10	الذوق يختلف عن الفكر.	26
11	الموضع الثالث : قوله تعالى: (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ).	28
12	ما هي علامات صدقك في قولك : الله تعالى حبَّبَ إليَّ الإيمان؟	30
13	علامات ظاهرة على من حبب إليهم الإيمان.	32
14	هل زين الله الإيمان في قلوبنا؟	35
15	الموضع الرابع : قوله تعالى (بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ).	39
16	دلالة الامتنان في قوله تعالى : (بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ).	39
17	دلالة الامتنان في قوله تعالى :(وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ).	41
18	من الأمثلة الحية على الشعور بالامتنان في حياة الصحابة.	43
19	الشعور بالاستغناء عن الله له سببان.	45
20	الموضع الخامس : قوله تعالى : (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ).	47
21	وقد اختلف أهل التفسير في تحديد من هم السابقون الأولون ؟	47
22	السبق ليس خاصا بالصحابة رضي الله عنهم.	49
23	قوله تعالى (وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ).	51
24	ما كان عليه الصحابة من الاجتهاد في القيام بعبودية الله تعالى.	54

25	ما كان عليه الصحابة من مكارم الأخلاق.	55
26	قوله تعالى : (رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ).	59
27	قوله تعالى :(وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ).	60
28	الموضع السادس : قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ).	62
29	لدينا في الآية الكريمة أربع كلمات : آمنوا – تطمئن – قلوب – ذكر الله.	63
30	الدرجة الأولى : هو اطمئنان الإيمان.	63
31	الدرجة الثانية : الاطمئنان في درجته الوسطى.	65
32	الدرجة الثالثة : الاطمئنان في درجته العليا : وهم أصحاب مقام الاحسان.	69
33	الموضع السابع : قوله تعالى :(ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم).	72
34	من هنا نقول أن الولاية خمسة أنواع.	72
35	قوله تعالى : (يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ).	74
36	قوله تعالى (مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ) تكرر أربع مرات.	76
37	ومما يحسن ذكره في هذا المقام قصة الشعراوي مع طلبة الجامعة.	79
38	الآية الثانية التي تبين ولاية الله للمؤمنين وولاية الرسول صلى الله عليه وسلم.	82
39	الموضع الثامن : قوله تعالى :(أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ).	83
40	بعض معاني كلمة الحق في القرآن الكريم	84
41	وجاء في السنة ما يشير إلى الإيمان الحق.	86
42	شرح موجز لصفات أهل الإيمان الحق التي وردت في السياق الكريم.	88
43	الصفة الأولى: (ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ).	88
44	الصفةالثانية: (وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا).	90
45	الصفة الثالثة : (وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ).	91
46	الصفة الرابعة:(ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ).	94
47	وهناك أسبابٌ يُرجَى لمن فعلها أن يُرزَق الخشوع في الصلاة.	95
48	الصفة الخامسة: قال تعالى (وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ).	97

49	وللإنفاق في سُبل الخير فضائل عديدة؛ فمن فضائله.	98
50	ماذا لمن حقق هذه الصفات الخمس ؟	100
51	قوله تعالى : (لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ).	102
52	الموضع التاسع : الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ.	104
53	اختلف أهل التفسير في معنى يتلونه حق تلاوته على خمسة أقوال.	104
54	وضرب الأستاذ مثلا رجلا يرسل كتاباً إلى آخر فيقرأه.	105
55	قوله تعالى: (حَقَّ تِلاَوَتِهِ). وكيف فهمها الصحابة.	106
56	قوله: (أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ).	108
57	الآية الثانية : قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ).	109
58	كيف عاش الصحابة مع القرآن الكريم .	111
59	الموضع العاشر : قوله تعالى : (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ).	113
60	وردت ثلاث آيات مفتتحة بقوله تعالى: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ).	113
61	أما آية الزمر: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ).	114
62	وأما آية الأنعام : (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ).	115
63	ما هي العلامات التي تدل على أننا نعظم الله تعالى ؟	117
64	تعظيم الله مطلب الجميع وله أسباب تزيده في القلب.	123
65	ثمرات التفكّر في قدرة الله وعظمته.	127
66	الموضع الحادي عشر : قوله تعالى : (مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ).	130
67	قوله تعالى (مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ).	131
68	قوله تعالى : (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ).	132
69	هذه الكلمات (المشكاة والزجاجة والزيت) لها مايقابلها في القضية.	134
70	المراد بالنور في قوله تعالى (مَثَلُ نُورِهِۦ).	138
71	ارجع وتأمل : (مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ).	139
72	دعونا ننظر في السنة النبوية وهي تتحدث عن النور.	140

73	ولن تجد محافظة على النور أفضل مما ارشدنا الله إليه في قوله تعالى (فِى بُيُوتٍ).	143
74	الموضع الثاني عشر : قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ).	145
75	فما هو التبوء المعنوي؟	146
76	تضحيات الأنصار من أجل المهاجرين.	147
77	نريد أن نتخيل قلوبنا وماذا يوجد فيها من صفات هذه الدار التي تبوأها الانصار.	149
78	قوله تعالى : (وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ).	152
79	الموضع الثالث عشر : قوله تعالى : (أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ).	155
80	قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى : (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمانَ).	157
81	قوله تعالى :(وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ).	158
82	قضية مهمة في هذه الآية وهي أن التأييد الإلهي له علامتان.	159
83	الموضع الرابع عشر : قوله تعالى : (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ).	161
84	جاء ذلك الثناء في عدد من الآيات منها.	161
85	كلام حجة الإسلام رحمه الله تعالى في المحبة .	163
86	كلام ابن القيم رحمه الله تعالى في المحبة .	165
87	من فوائد السعدي في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ).	167
88	صفات الذين يحبهم الله تعالى ويحبونه .	168
89	قوله تعالى : (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).	172
90	الموضع الخامس عشر: قوله تعالى : (رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ).	174
91	الوقفة الأولى مع آية المائدة: قوله تعالى :(رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ).	174
92	الفرق بين الرضا بالله والرضا عنه من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى.	176
93	علامة رضاه عنك أنك ترضى عنه.	179
94	الوقفة الثانية مع آية المبينة : (خالِدِينَ فِيها أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ورَضُوا عَنْهُ)	180
95	أمّا قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فَفِيهِ مَسائِلُ.	181

96	الوقفة الثالثة مع قوله تعالى : (وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ).	182
97	الخاتمة.	186
98	قائمة المراجع.	189